

الكنز

في المسائل الصوفية

لفضيلة مولانا العارف بالله السيد

صلاح الدين التجاني



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٩

الكنز في المسائل الصوفية



الهيئة المصرية العامة للكتاب
إدارة التراث

رئيس مجلس الإدارة
د. سمير سرحان

المشرف على إدارة التراث ورئيس التحرير
سعيد عبد الفتاح

سكرتير التحرير
أميمة على أحمد

الغلاف
د. جمال قطب

إهداء

صفاءً ولا ماءً ولطفاً ولا هواً
 ونوراً ولا ناراً وروحاً ولا جسم
 إلى الشمس التي تشرق ولا تحرق. والبحر الذي يغرق.
 ولا يغرق والروح التي تسترق ولا تحتق.
 اهدي هذا الكنز المباح إلى الكنز المصون، المكنون.
 زوجتي الفاضلة الحسييه، النسبييه، فرع بيت النبوة
 أ. د. نادية الشامي.

صلاح الدين التجاني

تقديم

سعيد عبدالفتاح

«اللهم لك الحمدُ حمداً دائماً مع خلودك، ولك الحمدُ حمداً لا ينتهي له دون مشيئتك، ولك الحمدُ حمداً لا يزيد قائلها إلا رضاك، ولك الحمدُ حمداً ملياً عند كل طرفة عينٍ وتنفُسٍ نفسٍ..»

اللهم صلّ علي سيدنا محمد الفائح لما أُغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلي صراطك المستقيم وعلي آله حق قدره ومقداره العظيم. ثم

أما بعد

فهذا هو الإصدار الأول لسلسلة **التراث** التي تصدرها إدارة التراث بالهيئة المصرية العامة للكتاب. وهو كتاب (الكنز في المسائل الصوفية) لفضيلة مولانا الشيخ صلاح الدين التجاني رحمته الله، الشريف الحسيب النسيب الذي ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسن

ابن علي رضي الله عنهما من ذرية السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت سيدنا رسول الله ﷺ. وهو من العلماء العاملين، الذين من الله عليهم بالعلم فأحسنوا العمل لله، فكان مثلاً يُحتذى به في تربية المريدين، وقد تخرج على يديه أجيال كلهم الآن يصلح للتربية بفضل همته العالية، ولقد عرفته عن قرب؛ فنعم الشيخ الصوفي المربي زاده الله علماً وبهاءً. وكان من ثمره القرب منه أن منحنا المولى عز وجلّ على يديه لطائف مننه، وسحائب فضله، وتنسّمنا في جواره رائحة المحبين من أهل القرب والإحسان والذوق الصوفي الراقى. والله الحمد.

يقول أبو محمد الجريدي؛ رحمته الله:

«قوام الأديان، ودوام الإيمان، وصلاح الأبدان، في خلال ثلاث: الاكتفاء، والاتقاء، والاحتماء. فمن اكتفى بالله صلحت سيرته، ومن اتقى ما نهى عنه استقامت سيرته، ومن احتفى ما لم يوافق ارتاضت طبيعته.

فثمره الاكتفاء: صفو المعرفة.

وعاقبة الاتقاء: حسن الخليفة.

وغاية الاحتماء: اعتدال الطبيعة.

فوالله لقد رأيت فيه خلال الثلاث زاده الله صفواً، وحسناً، واعتدالاً. ومما أثمرته هذه المعرفة عنده بصفاها جودة التأليف في كتب القوم وعلوم الشرع الشريف. فقد وضع عدداً من المؤلفات الهامة في عدد من العلوم، ومن هذه المؤلفات: كتاب التوحيد، كتاب

كشف الغيوم عن بعض أسرار القطب المكتوم، جوامع الكلم من أحاديث النبي الأكرم، هداية المسلم من أحاديث النبي الأعظم، غرائب الرغائب، القبس في معرفة الطاهر والنجس، وغيرها كثير. ومن هذه المكتبة العامرة كتابه هذا (الكنز) سوف يرى القارئ الكريم معنى في هذا الكتاب أنه بالفعل وقف على كنز مملوء باليواقيت، والجواهر، والفصوص، والزبرجد من جيد المعاني، وبإحسرة من تشغله السفاسف عن الوقوف على ما في هذا الكنز.

يقول ابن عطاء الأدمي:

«من تأدب بآداب الصالحين فإنه يصلح لبساط الكرامة، ومن تأدب بآداب الأولياء فإنه يصلح لبساط القرية، ومن تأدب بآداب الصديقين فإنه يصلح لبساط المشاهدة، ومن تأدب بآداب الأنبياء فإنه يصلح لبساط الأنس والانبساط».

وكل هذه الآداب، والأحوال، والمقامات، والمنازل سوف يعيش معها القارئ خلال هذا الكتاب، الذي غاص مؤلفه في بطون الأصول من كتب الصوفية مثل: الفتوحات المكية لابن عربي، والحكم لابن عطاء الله السكندري، والمواقف والمخاطبات للنفري، وليس الغوص سهلاً ميسوراً كما يتصور البعض، إنما على الغواص النابه امتلاك أدواته، والتسلح بعلمه، وإبراز المنح الإلهية للذوق العالي الرفيع الذي يمكن صاحبه من التفريق والتدقيق ليس بين الحصى والدر، فهذا للأطفال يُترك، ولكن بين أنواع الأحجار الكريمة جميعاً، بل بين جيد اليواقيت واليواقيت، والجواهر والجواهر، والزبرجد

والزيرجد. بعين الناقد البصير. حتى يخرج إلينا وكأنما أتى بكل ما يصلحنا ويهجننا. وهذا ما نراه في هذا الكتاب.

فصاحبه مشهود له بأنه من أجود الغواصين، وأغناهم. ويدل على ذلك عمله في هذا الكتاب، ومؤلفاته الأخرى.

فانظر مثلاً إلى ياقوتة من هذه اليواقيت، وقارنها بما هو مكتوب في كتاب الفتوحات، وانتبه كيف صفاها من الزيادات ونقاها مما تحمله من كثرة الترددات دون أن يؤثر ذلك على أصل المعنى هنا وهناك ودون الإخلال بجوهر ومضمون ما في الفتوحات بل أستطيع أن أقول إن هذا الكتاب سوف يخدم - إن شاء الله - مساحة بل مساحات شاسعة في معارفنا، ويحقق لمحبى الذوق الصوفى الرفيع حلماً وأملاً طال انتظاره، وخاصة قارئ كتب الأصول الصوفية لأنه سوف يكون ميزاناً جديداً يفهم به هذه الأصول والأمهات من كتب القوم مثل الفتوحات المكية وغيرها. فمن قرأ هذا الكتاب فكأنما عاش مع أهم مصادر التراث الصوفى وفهم الروح السارى فيها. جزى الله عنا مؤلف الكتاب خيراً. وسوف يسعد القارئ الكريم بما فى هذا الكتاب كما سعدنا به جميعاً.

المقدمة

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح والخاتم

وبعد :

فالناس ثمانية أصناف منهم من أراد الدنيا للدنيا، ومنهم من أراد الدنيا للآخرة، ومنهم من أراد الآخرة للدنيا، ومنهم من أراد الآخرة للآخرة، ومنهم من أراد الآخرة لله، ومنهم من أراد الله للدنيا، ومنهم من أراد الله للآخرة ومنهم من أراد الله لله.

وهذا الصنف الأخير هو محل نظر الله من خلقه، فهم المخلصون المقربون الأخفاء الأنقياء الأتقياء.

وهؤلاء جعلهم الله حجة على خلقه يوم القيامة، بهم يزن الله ما في قلوب الناس. فمن سماهم من الناس مؤمنون فهو مؤمن ومن سماهم مسلمون فهو مسلم، ومن سماهم محسنون فهو محسن ومن سماهم أولياء كذلك أو عارفون فهو معهم أو صوفية فله نصيب من حسن ظنه.

أما من سماهم ملاحدة وزنادقة وفسقة وغير ذلك، فإنما هي صورة ما في قلبه انعكست عليه ﴿من يشفع شفاعاً حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعاً سيئة يكن له كفل منها﴾^(١) وحسبك أن علماء الأمة الذين يؤخذ عنهم الحلال والحرام وترجع إليهم الأئمة في الفقه والتفسير والحديث والتوحيد قد أقرروا طريق السادة الصوفية ومدحوه وأثنوا عليه.

قال الإمام مالك رحمه الله:

من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن جمع بينهما فقد تحقق.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله:

فقيها وصوفيا فكن ليس واحداً فإنني وحق الله إياك أنصح فذلك قاس لم يذق قلبه تقى. وهذا جهول كيف ذو الجهل يصلح

وكان الإمام أحمد رحمه الله يحضر مجلس أبي عبد الله الحارث ابن أسد المجاسبي وكان رحمه الله يقول عنه أن كلامه يخرج من مشكاة النبوة وكانت إذا اعتاصت عليه المسائل ذهب إلى أبي حمزة البغدادي رضى الله عنه، وسأله، وكان يقول له: ماتقول يا صوفي في كذا وكذا، فيجيبه عليها، ومرة سأله عن مصدر علمه فقال له، قال رسول الله ﷺ: «من عمل بما علم الله ما لم يعلم، فقال الإمام أحمد والله ما رأيت أصدق من هذا المعنى في هذا الحديث.

وقال الإمام الغزالي رحمه الله مجدد القرن الخامس بغير منازع:
لوجمعت حكمة الحكماء وعلم العلماء وفقه الفقهاء ما خرج عما يقوله
الصوفية قيد أنملة.

أما الحافظ أبو نعيم في كتابه الشهير حلية الأولياء، الذي يقول
عنه الحافظ السلفي: إنه لم يصنف مثل كتاب حلية الأولياء، ترجم
فيه زهاء ثمانمائة ترجمة من أعلام المحققين من الصوفية وأئمتهم
كما قال في مقدمته بدأهم بأبي بكر الصديق رضي الله عنه وذكر منهم أهل
البيت وأصحاب الصفة، وأهل بدر، وأصحاب الشجرة، وأهل العقبة،
والعشرة المبشرين بالجنة وغيرهم كثير.

قال الجنيد رحمه الله لو نعلم أن تحت أديم السماء أشرف من هذا
العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه.

وقال الشيخ عبدالرحمن الصقلي رحمه الله: كل من صدق بهذا
العلم فهو من الخاصة وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة وكل
من عبر عنه وتكلم فيه فهو النجم الذي لا يدرك والبحر الذي
لا ينزف.

وإذا نظرت إلى رجال الصوفية وجدتهم حملة علوم الشرع في
كل زمان ومكان ومنهم الحفاظ والقراء والفقهاء والمحدثون
والمفسرون والمجتهدون والمجددون فلا تخلو سلسلة من سلاسل
العنونة في أي علم من هذه العلوم منهم فلولاهم ما وصل إلينا قرآن
ولا سنة.

منهم أكابر الصحابة رضى الله عنهم كما ذكرهم الحافظ أبو نعيم
ومنهم الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز ومنهم الأئمة الأربعة
ومنهم أصحاب الكتب الستة ومنهم الإمام الغزالي، والسيوطي،
والحافظ الهروي، والحافظ السلفي، والحافظ أبو نعيم، والاسفرايني،
والجويني إمام الحرمين، والرازي، والفيروز آبادي، والعز بن عبد
السلام، والألوسي، والبلقيني، والحكيم الترمذي، وابن حجر الهيتمي،
والإمام النووي، وغيرهم كثير حتى ابن تيمية رحمه الله الذي ينتسب
إليه خصوم الصوفية سنده في العلوم ينتهي إلى سيدي عبدالقادر
الجيلاني رضى الله عنه ذكر ذلك الشيخ محمد بن سلمان الورداني
في كتابه صلة الخلف بموصول السلف.

كما ألف الشيخ ابن تيمية نفسه رسالته (الصوفية والفقراء) طبع
المنار سنة ١٩٢٨ ذكر فيها مكانة الصوفية بين العلماء وأثنى عليها
كل الثناء.

أما من نطق بعلومهم، وعبر عن مواجيدهم، ونشر مقاماتهم،
ووصف أحوالهم قولاً وفعلاً بعد الصحابة رضوان الله عليهم، فالحسن
البصري وعلي بن الحسن زين العابدين، وابنه محمد الباقر، وابنه
جعفر الصادق، وأويس القرني، وهرم بن حيان ومالك بن دينار،
وابن دينار المديني وعتبة الغلام وإبراهيم بن أدهم، والفضيل بن
عياض، وداود الطائي، وسفيان بن عيينة، وأبو سليمان الداراني،
وأبو الفيض ذو التون المصري، والسري بن المغلس السقطي،

وبشر الحافى، ومعروف الكرخى، ويوسف بن أسباط، وأبو يزيد البسطامى، وسهل بن عبد الله التستري، وأبو القاسم الجنيد، والحارث بن أسد المحاسبى، والسمرقندى، والجوزجاني، والشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى، وغيرهم كثير رضى الله عنهم أجمعين.

ومن المعلوم أن أخلاق الصوفية ومقاماتهم وأحوالهم إنما قررها رسول الله ﷺ وعلمها أصحابه وجاء الشرع بمدحها والثناء عليها ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾^(١) ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾^(٢) ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾^(٣) ﴿ألا إن أولياء الله﴾^(٤) ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعوا ربهم﴾^(٥) ﴿واذكروا الله ذكرا كثيرا﴾^(٦).

«رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك، اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله. الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه».

وغير ذلك كثير إلا أن لفظة صوفية لم تظهر إلا فى القرن الثانى من الهجرة.

قال القشيري رحمه الله: وأصل تسمية الصوفية صوفية كان حين ظهرت الأهواء والبدع فى عصر الإمام أحمد رحمته الله، فسموا من تمسك بالكتاب والسنة وعمل بها على ما كان عليه الصحابة والتابعون صوفيا دون غيره.

أما اشتقاقها فالصحيح لغويا أنها نسبة إلى الصوف وذلك أن هؤلاء الزهاد والعباد كانوا يلبسون الصوف، إذ كان من علامة الزهد آنذاك، وناهيك على ماورد في ارتداء رسول الله ﷺ والأنبياء قبله والصحابة لباس الصوف تزهدا وتقشفا.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال لابنه أبي بردة: يا بني لو رأيتنا ونحن مع النبي ﷺ وقد أصابتنا السماء حسبت أن ريحنا ريح الضأن.

أخرجه الترمذي وأبو داود وقال حسن صحيح

قال الترمذي معناه أنه كانت ثيابهم من الصوف
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال دخلت على عائشة فأخرجت إلينا كساء ملبدا من التي يسمونها الملبدة وإزارا غليظا مما يصنع باليمن وأقسمت بالله لقد قبضت روح رسول الله ﷺ في هذين الثوبين. وهي ثياب من صوف.

أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال كان على موسى عليه السلام يوم كلمه ربه سراويل صوف وجبة صوف وكساء صوف.

أخرجه أبو داود والترمذي

عن عائشة رضي الله عنها قالت خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود.

رواه مسلم

أما حكم الشرع فيه :

قال الإمام الغزالي رحمه الله : إنه فرض عين إذ لا يخلو أحد من عيب أو مرض إلا الأنبياء عليهم السلام.

قال الشاذلي : من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصراً على الكبائر. وما من علم إلا ويقع الاستغناء عنه في وقت ما إلا علم التصوف فلا يستغنى عنه أحد في وقت من الأوقات، ففرض عين على كل أحد التخلص من المهلكات، كالعجب، والكبر، والرياء، والحسد، والغضب، وشهوة البطن، وشهوة الفرج، وآفات اللسان، والبخل، وحب الجاه، وحب المال، والغرور، وطول الأمل.

كما أن استكمال المنجيات من هذه الآفات هو فرض عين أيضاً كالقوة، والصبر، والشكر، والرجاء، والخوف، والتواضع، والزهد، والورع، والصمت، والتوكل، والإخلاص، والصدق، والمحبة، والشوق، والأنس، والرضا، وقصر الأمل، وحب الموت.

وحيث كان هذا العلم فرض عين وجب السفر إلى من يؤخذ عنه هذا العلم إذا عرف بالتربية واشتهر الدواء على يديه وإن خالف في ذلك والديه.

أُسبِطَ من العلوم : فهو شرط في كل علم إذ لا علم ولا عمل إلا بصدق التوجه إلى الله، إذ الإخلاص شرط في الجميع.

أما فائدته : فتهذيب القلوب ومعرفة علām الغيوب.

أما فضله : فهو أفضل العلوم لتعلقه بالذات العلية.

واعلم أنه من تخصص فى الفقه قد سماه الناس: فقيها، وقد كانت مذاهب الفقهاء اثنى عشر مذهباً ثم تقرر فى أربعة مذاهب. ومن تخصص فى القراءة سماهم الناس: القراء، وكانوا خمسة وعشرين قراءة ثم تقرر فى عشرة. ومن تخصص فى النحو سماه الناس: نحوياء، وهم على مذهبين بصرى وكوفى. أما من تخصص فى تحلية قلبه من الأدراة والآفات وتحليته بأجمع الصفات فسموه: صوفياء، فهم لم يسموا أنفسهم، إذ لا التفات لهم إلى أنفسهم ولا إلى الناس أصلاً، إذ أن مذهبهم الأخذ بالأحسن فى كل شئ ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ (٨) والأحسن عندهم هو الأحوط لدينهم.

وإنما لم يضع المجتهدون كتاباً فى ذلك لقلّة الأمراض فى أهل عصرهم وكثرة سلامتهم وكان معظم همة المجتهدين إذ ذاك إنما هو فى جمع الأدلة المنتشرة فى المدائن والثغور مع أئمة التابعين وتابعيهم التى هى مادة كل علم وبها يعرف موازين جميع الأحكام فكان ذلك أهم من الاشتغال بمناقشة بعض أناس فى أعمالهم القلبية التى لا يظهر بها شعار الدين وقد لا يقعون فيها بحكم الأصل، ولا يقول عاقل قط أن مثل الإمام أبى حنيفة أو مالك أو الشافعى أو أحمد رضى الله عنهم يعلم أحدهم من نفسه رياء أو عجباً أو كبراً أو حسداً أو نفاقاً ثم لا يجاهد نفسه ولولا أنهم يعلمون سلامتهم من تلك الآفات لقدموا الاشتغال بعلاجها على كل علم.

فإن قيل: فلم لم يقتصر هؤلاء الصوفية على المشى على ظاهر الكتاب والسنة فقط؟ أليس ذلك كان يكفيهم كما كفى غيرهم! فالجواب أن هذا الاعتراض بعينه اعتراض على الأئمة المجتهدين ومقلديهم فإنهم لم يقفوا على ظاهر النصوص ولا اقتصروا عليه بل استنبطوا من النصوص ما لا يحصى من الأحكام والوقائع فإن رددت استنباط العارفين، لزمك أن ترد استنباط المجتهدين.

أما ميزانه: فهو الكتاب والسنة فقد قال الجنيد: «رحمه الله، طريقنا هذه مشيدة بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ الكتاب ويكتب الحديث لا يقتدى به فيها، وكان يقول: «قد أجمع أشياخ الطريق على أنه لا يجوز لأحد التصدر لتربية المريدين إلا بعد تبحره في الشريعة وآلاتها فإن لم يتبحر كانوا لا يأخذون عليه العهد أبداً».

فلا تصوف إلا بفقه إذ لا تعرف أحكام الله تعالى الظاهرة إلا منه ولا فقه إلا بتصوف، إذ لا عمل إلا بصدق، فالشريعة لإصلاح الجوارح الظاهرة، وهى تؤدى إلى الطريقة التى هى إصلاح السرائر الباطنة، وهى تؤدى إلى الحقيقة، وهى عبادة الله على المشاهدة.

ولنذكر عقيدة السادة الصوفية نقلاً عن الرسالة القشيرية للإمام الجامع بين الشريعة والحقيقة أبى القاسم عبد الكريم القشيري رحمته الله.

قال رحمته الله: «هذه فصول تشتمل على عقائدهم فى مسائل التوحيد ذكرناها على وجه الترتيب، قال شيوخ الطريقة على ما تدل عليه متفرقات كلامهم ومجموعاتهم ومصنفاتهم فى التوحيد، إن الحق،

سبحانه وتعالى، موجود، قديم، واحد، حكيم، قادر، عليم، قاهر، رحيم، مريد، سميع، مجيد، رفيع، متكلم، بصير، متكبر، قدير، حي، أحد، باق، صمد، وإنه عالم بعلم، قادر بقدره، مريد بإرادته، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، حي بحياة، باق ببقاء، وله يدان هما صفتان يخلق بهما ما يشاء سبحانه على التخصيص، وله الوجه الجميل، وصفات ذاته مختصة بذاته، لا يقال هي هو ولا هي أغيار، بل صفات له أزلية ونعوت سرمدية، وأنه إحدى الذات ليس يشبه شيئاً من المصنوعات ولا يشبهه شيء من المخلوقات وليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا صفاته أعراضاً، ولا يتصور في الأوهام ولا يتقدر في العقول، ولا له جهة ولا مكان ولا يجري عليه وقت وزمان، ولا يجوز في وصفه زيادة ولا نقصان، ولا يحله حادث ولا يحمله على الفعل باعث، ولا يجوز عليه لون ولا كون، ولا ينصره مدد ولا عون، ولا يخرج عن قدرته مقدور، ولا ينفك عن حكمه مفطور، ولا يعزب عن علمه معلوم، ولا هو على فعله كيف يصنع وما يصنع ملوم، لا يقال له أين ولا حيث ولا كيف، ولا يستفتح له وجود، فيقال استوفى الأجل والزمان، ولا يقال لم فعل مافعل، إذ لا علة لأفعاله ولا يقال ما هو إذ لا جنس له فيتميز بإمارة عن أشكاله، يرى لا عن مقابلة، ويرى غيره لا عن ماقلة، ويصنع لا عن مباشرة ومزاولة، له الأسماء الحسنى والصفات العلا، يفعل ما يريد ويذل لحكمته العبيد، لا يجري في سلطانه إلا ما شاء ولا يحصل في ملكه غير ما سبق به القضاء، ما علم أنه يكون من الحادثات أراد

أن يكون، وما علم أنه لا يكون مما جاز أن يكون لا يكون، خالق أكساب العباد خيرها وشرها، ومبدع ما في العالم من الأعيان والآثار قلها وكثرها، ومرسل الرسل إلى الأمم من غير وجوب عليه، ومتعبد الأنام على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما لا سبيل لأحد باللوم والاعتراض عليه، ومؤيد نبينا محمد ﷺ بالمعجزات الظاهرة، والآيات الزاهرة، بما أزاح به العذر وأوضح به اليقين والمنكر، وحافظ بيضة الإسلام بعد وفاته ﷺ بخلفائه الراشدين، ثم حارس الحق وناصره بما يوضحه من حجج الدين على ألسنة أوليائه، عصم الأمة الحنيفية عن الاجتماع على الضلالة، وحسم مادة الباطل بما نصب من الدلالة. وأنجز ما وعد من نصرة الدين بقوله ﴿ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾^(١) فهذه فصول، تشير إلى أصول المشايخ على وجه الإيجاز وبالله التوفيق.

ولنذكر هنا عقيدة العارف الكامل الإمام سيدي محيي الدين بن عربي رحمه الله منقولة من كتابه الفتوحات المكية، وبها يتضح لكل منصف براءته من كل مخالفة للشريعة المطهرة، وكل ما ينسب إليه مما يخالف ما أعلنه وأوضحه من الاعتقاد، فهو كذب عليه وزور، وقد دس عليه كما دس على غيره وكذب عليه كما كذب على من هو خير منه، ولا يصح الأخذ إلا بما تقلده شرعا، قال رحمه الله: في أوائل الجزء الأول من الفتوحات:

فيا أخوتي المؤمنين، ختم الله لنا ولكم بالحسنى، لما سمعت قوله تعالى على نبيه هود عليه السلام حين قال لقومه المكذبين به ورسالته ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ﴾ (١٠) فاشهد عليه السلام قومه - مع كونهم مكذبين به - على نفسه بالبراءة من الشرك بالله، والإقرار بأحديته، لما علم عليه السلام أن الله سبحانه سيوقف عباده بين يديه، ويسألهم عما هو عالم به لإقامة الحجة لهم أو عليهم حتى يؤدي كل شاهد شهادته، وقد ورد أن المؤذن يشهد له مدى صوته من رطب ويابس وكل من سمعه ولهذا يدبر الشيطان عند الأذان وله حصاص، وفي رواية وله ضراط، ذلك حتى لا يسمع نداء المؤذن بالشهادة فيشهد له، فيكون بتلك الشهادة له من جملة من يسعى في سعادة المشهود له، وهو عدو محض ليس له إلينا خير ألبتة، لعنه الله، وإذا كان العدو لا بد أن يشهد لك بما أشهدته به على نفسك، فأحرى أن يشهد لك وليك وحبيبك ومن على دينك وملتك، وأحرى أن تشهده أنت في الدار الدنيا على نفسك بالوحدانية والإيمان.

فيا أخوتي وأحبابي، رضى الله عنكم، أشهدكم عبد ضعيف مسكين فقير إلى الله تعالى في كل لحظة وطرفة وهو مؤلف هذا الكتاب ومنشؤه، أشهدكم على نفسه بعد أن أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضره من المؤمنين وسمعه، أنه يشهد قولاً وعقداً أن الله تعالى إله واحد لا ثاني له في ألوهيته، منزّه عن الصاحبة والولد، مالك لا شريك له، ملك لا وزير له، صانع لا مدبر معه، موجود بذاته من

غير افتقار إلى موجد يوجده، بل كل موجود سواه مفتقر إليه في وجوده فالعالم كله موجود به، وهو وحده متصف بالوجود لنفسه، لا افتتاح لوجوده ولانهاية لبقائه، بل وجود مطلق غير مقيد، قائم بنفسه، ليس بجوهر متحيز فيقدر له المكان، ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء، ولا بجسم فتكون له الجهة والتقاء، مقدس عن الجهات والأقطار، مرئي بالقلوب والأبصار إذا شاء، استوى على عرشه كما قاله وعلى المعنى الذى أراده، كما أن العرش وماسواه به استوى وله الآخرة والأولى، ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول، ولا يجده زمان ولا يقله مكان، بل كان ولا مكان وهو على ما عليه كان، خلق الممكن والمكان، وأنشأ الزمان، وقال أنا الواحد الحى لا يؤوده حفظ المخلوقات، ولا ترجع إليه صفة لم يكن عليها من صنعة المصنوعات، تعالى أن تحله الحوادث أو يحلها، أو تكون بعده أو يكون قبلها، بل يقال كان ولا شئ معه، فإن القبل والبعد من صيغ الزمان الذى أبدعه، فهو القيوم الذى لا ينام والقهار الذى لا يرأى، ليس كمثله شئ، خلق العرش وجعله حد الاستواء، أنشأ الكرسي وأوسع الأرض والسموات العلا، اخترع الروح والقلم الأعلى، وأجراه كاتباً بعلمه فى خلقه إلى يوم الفصل والقضاء، أبدع العالم كله على غير مثال سبق، وخلق الخلق وأخلق الذى خلق، وأنزل الأرواح فى أشباح أمناء، وجعل هذه الأشباح المنزلة لها الأرواح فى الأرض خلفاء، وسخر لنا مافى السموات ومافى الأرض جميعاً منه، فلا تحرك ذرة إلا إليه، وعنه، وخلق الكل من غير حاجة إليه، ولا موجب أوجب ذلك عليه،

لكن علمه سبق بأن يخلق ما خلق، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شئ قدير، أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ عددا، يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، كيف لا يعلم شيئا هو خلقه ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ (١) علم الأشياء قبل وجودها، ثم أوجدها على حد ما علمها، فلم يزل عالما بالأشياء ولم يتجدد له علم عند تجدد الإنشاء، بعلمه أتقن الأشياء وأحكمها وبه حكم عليها من شاء وحكمها، علم الكليات على الإطلاق كما علم الجزئيات، بإجماع من أهل النظر الصحيح واتفاق، فهو عالم الغيب والشهادة فتعالى الله عما يشركون، فعَال لما يريد، فهو المرید للكائنات في عالم الأرض والسموات لم تتعلق قدرته بشئ حتى أراد، كما أنه لم يرد حتى علمه، إذ يستحيل في العقل أن يريد ما لا يعلم، أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريد كما يستحيل أن توجد نسب هذه الحقائق في غير حى كما يستحيل أن تقوم الصفات بغير موصوف بها فما في الوجود طاعة ولا عصيان، ولا ربح ولا خسران، ولا عبد ولا حر، ولا برد ولا حر، ولا حياة ولا موت، ولا حصول ولا فوت، ولا نهار ولا ليل ولا اعتدال ولا ميل، ولا بر ولا بحر، ولا شفع ولا وتر، ولا جوهر ولا عرض، ولا صحة ولا مرض، ولا فرح ولا ترح، ولا روح ولا شبح، ولا ظلام ولا ضياء، ولا أرض ولا سماء، ولا تركيب ولا تحليل، ولا كثير ولا قليل، ولا غداة ولا أصيل، ولا بياض ولا سواد، ولا رقاد ولا سهاد، ولا ظاهر ولا باطن، ولا متحرك ولا ساكن، ولا يابس ولا رطب، ولا قشر ولا لب،

ولاشئ من هذه النسب المتضادات منها والمختلفات والمتماثلات،
إلا وهو مراد للحق تعالى، وكيف لا يكون مرادا له وهو أوجده فكيف
يوجد المختار ما لا يريد لا أراد لأمره ولا معقب لحكمه يؤتى الملك من
يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، ويضل
من يشاء ويهدي من يشاء، ماشاء كان وما لم يشأ أن يكون لم يكن،
ولو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيئا لم يرد الله تعالى أن
يريدوه ما أرادوه، أو يفعلوا شيئا لم يرد الله تعالى إيجاده وأرادوه
عندما أراد منهم أن يريدوه ما فعلوا ولا استطاعوا على ذلك ولا أقدرهم
عليه فالكفر والإيمان، والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه
وإرادته، ولم يزل سبحانه موصوفا بهذه الإرادة أزلا والعالم معلوم
غير موجود، وإن كان ثابتا في العلم في عينه ثم أوجد العالم من غير
تفكر ولا تدبر عن جهل - جل وعلا من ذلك - بل أوجده عن العلم
السابق وتعيين الإرادة المنزهة الأزلية القاضية على العالم بما أوجدته
عليه من زمان ومكان وأكوان وألوان، فلا مريد في الوجود على الحقيقة
سواه إذ هو القائل سبحانه ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (١٢)
وأنه سبحانه كما علم فأحكم، وأراد فخصص، وقدر فأوجد، كذلك
سمع ورأى وحرك أو سكن أو نطق في الورى من العالم الأسفل
والأعلى، لا يحجب سمعه البعد فهو القريب، ولا يحجب بصره القرب
فهو البعيد، يسمع كلام النفس في النفس وصوت المماساة الخفية عند
اللمس، ويرى السواد في الظلماء والماء في الماء، لا يحجبه الامتزاج
ولا الظلمات ولا النور وهو السميع البصير، تكلم سبحانه لا عن صمت

ولاسكوت متوهم - بكلام قديم أزلى كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته - كلم به موسى عليه السلام، سماه التنزيل والزيور والتوراة والإنجيل من غير حروف ولأصوات ولانغم ولا لغات، بل هو خالق الأصوات والحروف واللغات، فكلامه سبحانه من غير لهاة ولا لسان، كما أن سمعه من غير أصمخة ولا آذان، كما أن بصره من غير حدقة ولا أجفان كما أن إرادته من غير قلب ولا جنان، كما أن علمه من غير اضطرار ولا نظر في برهان، كما أن حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج الأركان، كما أن ذاته لا تقبل الزيادة والنقصان، فسبحانه سبحانه من بعيد دان عظيم السلطان عميم الإحسان جسيم الامتنان، كل ماسواه فهو عن وجوده فائض، وعدله الباسط له والقابض، أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه، لا شريك له في ملكه ولا مدبر معه في ملكه، إن أنعم فنعم فذلك فضله، وإن أبلى فعذب فذلك عدله، لم يتصرف في ملك غيره فينسب إلى الجور والحيث، ولا يتوجه عليه لسواه حكم فيتصرف بالجزع لذلك والخوف، كل ماسواه تحت سلطان قهره، ومتصرف عن إرادته وأمره فهو الملهم نفوس المكلفين التقوى والفجور، وهو المتجاوز عن سيئات من شاء الآخذ بها من شاء هنا في يوم النشور، لا يحكم عدله في فضله ولا فضله في عدله، أخرج العالم قبضتين وأوجد لهم منزلتين، فقال: هؤلاء للجنة ولأبالي وهؤلاء للنار ولأبالي، ولم يعترض عليه معترض هناك إذ لا موجود كان سواه، فالكل تحت تصريف أسمائه، فقبضة تحت أسماء بلائه، وقبضة تحت

أسماء آلائه ولو أراد سبحانه أن يكون العالم كله سعيدا لكان، أو شقيا لكان من ذلك فى شأن، لكنه سبحانه لم يرد فكان كما أراد، فمنهم الشقى ومنهم السعيد، هنا وفى يوم المعاد، فلا سبيل إلى تبديل ما حكم عليه القديم، وقد قال تعالى فى الصلاة هى خمس وهى خمسون، ﴿ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد﴾^(١٣) لتصرفى فى ملكى وإنفاذ مشيئتى فى ملكى، وذلك لحقيقة عميت عنها الأبصار والبصائر، ولم تعثر عليها الأفكار ولا الضمائر، إلا بوهب إلهى، وجود رحمانى، لمن اعتنى الله به من عباده وسبق له ذلك بحضرة إشهداه، فلم حين أعلم أن الألوهية أعطت هذا التقسيم، وأنه من رقائق القديم، فسبحان من لافاعل سواه، ولا موجود لنفسه إلا إياه، ﴿والله خالقكم﴾^(١٤) ﴿وماتعملون﴾ ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾^(١٥) ﴿فله الحجة البالغة، فلو شاء لهداكم أجمعين﴾^(١٦).

الشهادة الثانية:

وكما أشهدت الله وملائكته وجميع خلقه وإياكم على نفسى بالإيمان بمن اصطفاه واختاره واجتباه من وجوده، ذلك سيدنا محمد ﷺ، الذى أرسله الله إلى جميع الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فبلغ ﷺ ما أنزل من ربه إليه، وأدى أمانته ونصح أمته ووقف فى حجة وداعه على كل من حضر من أتباعه، فخطب وذكر، وخوف وحذر، وبشر وأنذر، ووعد، وأوعد

وأمطر وأرعد، وماخص بذلك التذكير أحدا من أحد، من إذن الواحد الصمد، ثم قال: ألا هل بلغت؟ فقالوا: بلغت يا رسول الله، فقال ﷺ: اللهم فاشهد، وإنى مؤمن بكل ما جاء به فقرر أن الموت عن أجل مسمى عند الله إذا جاء لا يؤخر، فأنا مؤمن بهذا إيماننا لا ريب فيه ولا شك، كما آمنت وأقررت أن سؤال فتانى القبر حق، وعذاب القبر حق، وبعث الأجساد من القبور حق، والعرض على الله تعالى حق، والحوض حق، والميزان حق، وتطير الصحف حق، والصراط المستقيم حق، والجنة حق، والنار حق، وفريقا فى الجنة وفريقا فى النار حق، وكرب ذلك اليوم حق على طائفة، وطائفة أخرى لا يحزنهم الفزع الأكبر، وشفاعة الملائكة والنبیین والمؤمنين، وإخراج أرحم الراحمين بعد الشفاعة من شاء حق، وجماعة من أهل الكبائر المؤمنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة والامتنان حق، والتأييد لأهل النار فى النار حق، وكل ما جاءت به الرسل من عند الله حق، فهذه شهادتى على نفسى أمانة عند كل من وصلت إليه أن يؤديها إذا سئلها حيثما كان، نفعا الله وإياكم بهذا الإيمان وثبتنا عليه عند الانتقال من هذه الدار إلى الدار الحيوان، وأحلنا منها دار الكرامة والرضوان. أ. هـ..

ومعنى قوله رضى الله عنه: تعالى أن تحله الحوادث أو يحلها أو تكون بعده أو يكون قبلها، المراد نفى القبلية الزمانية، أما سبق وجود الحق على الحوادث فهو تقدم ذاتى، مقدس عن الزمان، وهو غير التقدم الزمانى فإن الزمان مخلوق.

وإذا كان تقدم أمس مثلا على اليوم لاحتاج لزمن يتقدم فيه - كما ذكره المحققون - وإلا لاحتاج الزمن إلى زمن والزمن إلى زمن إلخ، فكيف بمن ليس كمثله شيء، ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ (١٧) ولذلك قال بعدها: فإن القبل والبعد من صيغ الزمان الذي أبدعه.

وبذلك يتبين أن المراد نفى القبلية الزمانية، وتقرير القبلية الذاتية، فإنها هي اللاتقة بالمنزه عن الزمان، وكما أنه تعالى منزّه عن المكان، وقد كان ولا مكان، ولما خلق المكان فما زال سبحانه على ما هو عليه، منزّه عن المكان، فكذاك الزمان.

ثم ذكر رحمته الله هذه العقيدة باصطلاح آخر ثم اصطلاح آخر، والمعنى واحد وإن كانت الألفاظ متغايرة، وكل ما تفرق في كتابه بل سائر كتبه يرجع إلى هذه العقيدة مهما اختلف التعبير، يعرف ذلك كل من كان من أهل هذا الشأن، وخالف اصطلاح الصوفية رضي الله عنهم، وتمكن في فهمه وبرىء من الهوى.

وكل ما لم يمكن حمله علميا على هذا الوجه فهو مدسوس عليه وهو برىء منه وأرجع إلى مقدمة كتاب: اليواقيت والجواهر للشيخ الشعراني، في إثبات أن ما خالف الشريعة مدسوس على الشيخ الأكبر رضي الله عنه، وكتاب: براءة ابن العربي عن طعن الغبي، للحافظ السيوطي وكتاب: الاغتباط للعلامة الفيروز آبادي صاحب القاموس، وقد رجع كثيرون ممن كان يظن فيه وفي الصوفية عن طعنه،

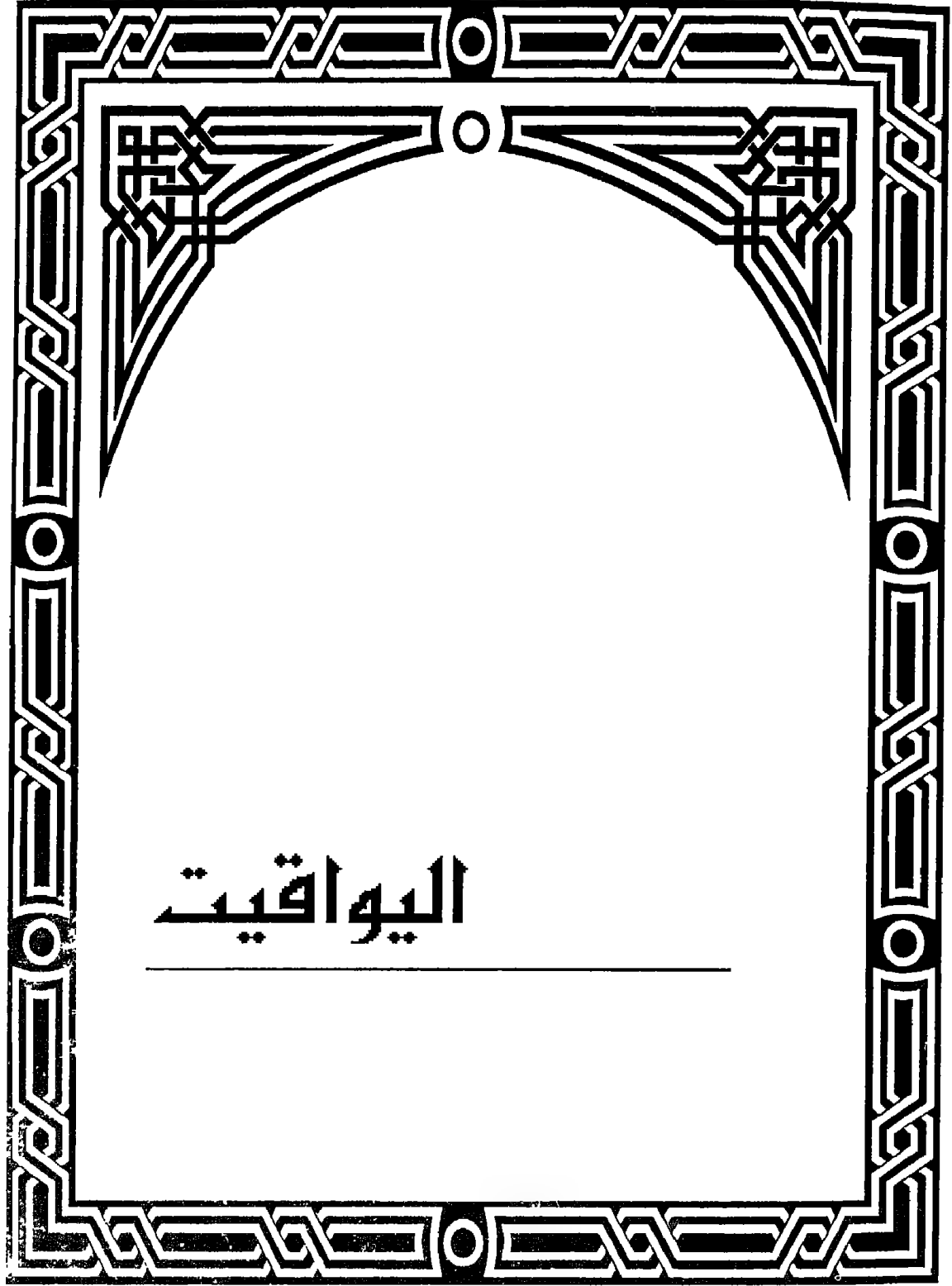
عندما تبين لهم أنهم لم يصيبوا مقاصدهم وأن مرادهم غير ماكانوا فهموه، وعلى كل حال الأصل في المؤمن البراءة، ومتهمه هو المطالب بإثبات تهمته، وحال المؤمن يحمل على الصلاح، وقد نقل قوم شيئاً من كلامه لم يفهموه، ثم أخذوا ينسبون إليه عقائد هو برىء منها، ومن عرف ماتواضع عليه الصوفية من التعبير لايجد فيه مخالفة لاتساقه بالواضح من كلامهم رضى الله عنهم والمنصف يرد إليه .

أما هذا الكتاب الذى بين يديك فقد جمعته من أمهات كتب الطريق غير زاعم أنى أتيت فيه بجديد وكيف يزعم ذلك أحد ونحن فى زمان كان يتعوذ منه النبى ﷺ وأصحابه من أن يلحقوه أو يروا أهله فنسأل الله لنا ولكم السلامة فى الدين والإخلاص فى العمل .

صلاح الدين التجانى

الهوامش

- (١) سورة النساء الآية (٨٥) .
- (٢) سورة التوبة الآية (١٠٨) .
- (٣) سورة النور الآية (٣٧) .
- (٤) سورة الفرقان الآية (٦٣) .
- (٥) سورة يونس الآية (٦٢) .
- (٦) سورة السجدة الآية (١٦) .
- (٧) سورة الأحزاب الآية (٤١) .
- (٨) سورة الزمر الآية (١٧) .
- (٩) سورة الصف الآية (٩) .
- (١٠) سورة هود الآية (٥٤) .
- (١١) سورة الملك الآية (١٤) .
- (١٢) سورة التکویر الآية (٢٩) .
- (١٣) سورة ق، الآية (٢٩) .
- (١٤) سورة الصافات الآية (٩٦) .
- (١٥) سورة الأنبياء الآية (٢٣) .
- (١٦) سورة الأنعام الآية (١٤٩) .
- (١٧) سورة الصافات الآية (١٨٠) .



ياقوتة في الجهاد

جاهد هواك ولا تكن ذا فترة فيه وكن للنائبات خليلا
لا تركزن إلى البطالة إنها تردى وكن للحادثات وصولا
قال تعالى ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾^(١)
﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾^(٢) وهذا خطاب
خاص بأهل المجاهدة والمكابدة فما قال لهم ذلك إلا بعد ملاقوه في
جهادهم تنفيسا لهم وتأنيسا. فلم تنزل إلا بعد قوله تعالى ﴿وجاهدوا
في الله حق جهاده هو اجتباكم﴾^(٣). وصاحب المجاهدة هو
الذي عليه في عمله مشقة وهي المجاهدة ومنهم من لا يجدها فلا
يكون صاحب مجاهدة. والمجاهدون أربعة أصناف:

- ١ - مجاهدون بدون تقييد ﴿وفضل الله المجاهدين﴾^(٤)
- ٢ - مجاهدون بتقييد في سبيل الله ﴿والمجاهدون في سبيل الله﴾^(٥).
- ٣ - المجاهدون فيه ﴿والذين جاهدوا فينا﴾^(٦).

٤ - المجاهدون في الله حق جهاده ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ (٧).

فالقسم الأول: هم المجاهدون بالله الذي ليس من صفته التقييد، فجهاده في كل شئ، وهذا مشقته أعظم لأن مجاهدته مطلقة، ولذلك كانت له عند الله درجات إذ كانت لغيره من المجاهدين درجة ﴿فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة﴾ (٨). وهؤلاء ما باعوا نفوسهم ولا اشتراها الله منهم، إذ أنهم نظروا فوجدوا نفوسهم هدية من الله إليهم فأهدوها إليه تعالى بغير بيع ولا شراء ولا عوض، فاستحقوا من الله الأجر العظيم.

والقسم الثاني: المجاهدون في سبيل الله. وهي الطريق إلى الله فهو في جهاد لأنه في طريق عرض نفسه في السلوك فيه إلى إتلاف ماله، ونفسه، ويتم أولاده، وفقد مألوفاته.

قال تعالى ﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ (٩). وقال تعالى ﴿يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون﴾ (١٠). ولما نظرنا إلى أعظم المشقات لم نجد أعظم من إتلاف المهج في سبيل الله، ولما علم نعالى من العباد مشقة ذلك عليهم قدم شراء الأموال والنفوس منهم حتى يرفع يدهم عنها فبقي المشتري يتصرف في سلعته كيف شاء، والبائع وإن أحب سلعته فالعوض الذي أعطاه فيه، وهو الثمن أحب إليه مما باعه فقال ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ (١١).

وبعد هذا الشراء أمر أن يجاهد بها في سبيل الله ليهون ذلك عليهم فهم يجاهدون بنفوس مستعارة أعنى النفوس الحيوانية القائمة بالأجسام، فهم كمن سافر على دابة مستعارة ومال غيره وقد رفع عنه الحرج مالها عندما أعاره إن نفقت الدابة وهلك المال، فهو مستريح القلب مما يناله من الطعن بالرماح والرشق بالسهم والضرب بالسيف، والإنسان مجبول على الشفقة الطبيعية فهو يشفق على مركوبه من حيث أنه حيوان لا من جهة مالكة، فالنفوس التي اشتراها الله في هذه الآية هي النفوس الحيوانية الجسيمة اشتراها من النفوس الناطقة المؤمنة ﴿اشترى من المؤمنين﴾^(١٢) وهي النفوس الناطقة الموصوفة بالإيمان، فالمؤمن لا نفس له إذ أن الله قد اشتراها وهو لا يشتري إلا نفساً مؤمنة، فمن ادعى الإيمان وله نفس فقد كذب في دعواه.

أما القسم الثالث: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾^(١٣) الذين قلنا لهم فيها ﴿ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾^(١٤) يعنى السبيل التي لكم فيها السعادة وإلا فالسبل كلها إليه ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾^(١٥)، ولما كان سبب الجهاد أفعالا تصدر من الذين أمرنا بقتالهم وجهادهم وتلك الأفعال أفعال الله فما جاهدنا إلا فيه لافى العدو إذ أنه تعالى الظاهر فى المظاهر فما فى الوجود إلا الله تعالى فما جاهد فيه سواه ﴿ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾^(١٦) ولذلك تم الآية بقوله ﴿وإن الله لمع

المحسنين ﴿١٧﴾ والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإذا رأيته علمت أن الجهاد إنما كان منه وفيه.

والقسم الرابع : الذين جاهدوا في الله حق جهاده وقوله تعالى ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ (١٨) فالهاء من جهاده تعود على الله وذلك لأن الجهاد وقع فيه ولا يعلم أحد كيف الجهاد في الله إلا الله، فالله المجاهد لا هم وإن كانوا محل ظهور الآثار فهم المجاهدون لا مجاهدون.

فهؤلاء لا ينظرون إلى العالم من حيث عينه وإنما من حيث هو مظهر لصفات الحق تعالى.

وأصحاب الأقسام الأربعة كلهم عارفون، إذ أن هذه الأقسام مركبة كلها من مقام الإحسان وهم أهل بلاء ومشقة ما هم بأهل دنيا ولا أهل أخرى ولكنهم هم أهل الله وخاصته.

قال السري رضي الله عنه: باسطنى ربي مرة فقال لى: ياسرى خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتى فخلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم وبقي معى العشر، فخلقت الجنة فهرب منى تسعة أعشار العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة أعشار عشر العشر، فقلت للباقيين معى لا الدنيا أردتم ولا الآخرة أخذتم فما تريدون؟ قالوا: إنك تعلم ما نريد، فقلت: إنى مسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم ما لا تقوم له الجبال الرواسى أتصبرون؟ قالوا: إن كنت أنت المبتلى فافعل ما شئت، هؤلاء عبادى حقاً آهـ.

فمن عرف قيمة ما يطلب هان عليه ما يبذل . فهؤلاء المجاهدون ينتقلون إلى الدار الآخرة بدون موت ولذا فهم لا يغسلون ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ (١٩) .
﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ (٢٠) .

ورسول الله ﷺ وأصحابه جاهدوا لله وفي سبيل الله فأحلت لهم الغنائم، أما الأمم السابقة فكانوا يقاتلون لأنفسهم ولديارهم وأموالهم ﴿وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ (٢١) فلم تحل لهم، بل كانت تنزل عليها نار من السماء فتأكلها .

يا قوتة في نفس الرحمن

جل جلاله

قال رسول الله ﷺ لما اشتد كربيه من المنازعين «إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن،

رواه أحمد

وهو من التنفيس من الشدة والضيق الذي كان فيه بالأنصار رضى الله عنهم أجمعين فنصر الله تعالى الدين بهم .

واعلم أن الله تعالى لما توجه إلى إيجاد المخلوقات إنما توجه على إيجادهم بأسماء الجبروت والكبرياء والعظمة والقهر والعزة فخرجوا أذلاء تحت هذا القهر الإلهي وتعرف إليهم حين أوجدتهم بهذه الأسماء ﴿والملائكة من خيفته﴾ (٢٢) ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (٢٣) وقال رسول الله ﷺ رأيت جبريل كالحلس البالي من خشية الله ﷻ تعالى.

رواه الطبراني في الأوسط بسند صحيح

فهم ومن دونهم يعبدون الله على الخشية لا على الحب والود، فلم يتمكن لمن خلق بهذه المثابة أن يرفع رأسه ولا أن يجد في نفسه طعما للكبرياء على أحد من خلق الله، فكيف على من خلقه!، وقد أشهد أنه في قبضته وتحت قهره، وشهدوا كشفا نواصيهم ونواصي كل دابة بيده ﴿ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها﴾ (٢٤) والأخذ بالناصية عند العرب إذلال ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ (٢٥).

وأما الثقلان فخلقهم تعالى بأسماء اللطف والحنان والرحمة فعندما خرجوا لم يروا عظمة ولا عزا ولا كبرياء ورأوا أنفسهم مستندة في وجودها إلى رحمة وعطف، ولم يبد الله لهم من جلاله ولا كبريائه ولا عظمتهم في خروجهم إلى الدنيا شيئا من العز والكبرياء، فلو شهدوا أن نواصيهم بيد الله شهادة عين ما عصوا الله طرفة عين وكانوا مثل

سائر المخلوقات يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ (٢٦) ولكن الله تعالى أراد منهم الإقبال عليه إقبال حب لا إقبال خشية، فلما ظهر لهم عن هذه الأسماء الرحمانية قالوا: ياربنا لم خلقتنا، قال: لتعبدون أي: لتكونوا أذلاء بين يدي، فلم يروا صفة قهر ولا جناب عز تذلم ولا سيما وقد قال لهم: لتذلوا إليّ فأضاف فعل الإذلال إليهم فزادوا بذلك كبرا فلو قال لهم ما خلقتكم إلا لأذلكم لفرقوا وخافوا فإنها كلمة قهر فكانوا يبادرون إلى الذلة من نفوسهم خوفا من هذه الكلمة، كما قال للسماوات والأرض ﴿ائتيا طوعا أو كرها﴾ (٢٧) فلم يقل كرها فإنها كلمة قهر حيث أتت.

فلما رأى الثقلان ذلك العطف والحنان عصوه فلم يطيعوه ﴿وعصى آدم ربه﴾ (٢٨) وعصى إبليس ربه، فمعصية إبليس كانت عن تكبر على الله، وذلك مما عصم منه آدم عليه السلام.

وإذا شاء الله تعالى أن يعتنى بعبده ويرزقه التوفيق يجعل عبوديته بين عينيه فيصير عبدا تام العبودية لله تعالى فإذا أداه ذلك إلى حرج وضيق وقهر، حينئذ يلتفت إلى الأسماء التي منها وجد، وهي أسماء الرحمة فيحن إليها ويطلبها لتزيل عنه ما هو فيه من الضيق والحرج ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ (٢٩) ويعرف أن لها سلطانا فتتنفس عنه ما يجده من ذلك، قال تعالى ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾ (٣٠) فالمتقى دائما

خائف مراقب لأسماء القهر ولا يكون أحد يشهد الرحمن الرحيم الرؤوف ويتقيه وإنما يشهد السريع الحساب الشديد العقاب المتكبر الجبار فيتقيه ويخاف منه فيؤمنه تعالى بأن يحشره إلى الرحمن ليخفف عنه، فهو تعالى بالرحمة أوجدنا وتأخرت المعصية فتأخر غضبه عن رحمته في الثقلين، ألا ترى أن الله تعالى إذا ذكر أسماءه لنا يبتدئ بأسماء الرحمة ويؤخر أسماء الكبرياء لناخذها بحكم التبعية فقبلنا أسماء العظمة، لما رأينا أسماء الرحمة قد قبلتها ولذلك بدأ كل سورة بسم الله الرحمن الرحيم حتى سورة التوبة، قالوا إنها وسورة الأنفال قبلها سورة واحدة، وقالوا أيضا أن بسملتها في سورة النمل، ألا ترى أنها كتبت بغير ألف بعد الباء كالتى في فواتح السور على خلاف ﴿إقرأ باسم﴾ (٣١) و﴿باسم الله مجراها﴾ (٣٢) فقد كتبت بألف، ثم انظر في اسمها سورة التوبة، والتوبة تطلب الرحمة ماتطلب التبرى وإن ابتداً جل وعلا بالتبرى فقد ختم بآية لم يأت بها ولا وجدت إلا عند من جعل الله شهادته شهادة رجلين وهو قوله تعالى ﴿لقد جاءكم رسول . . .﴾ (٣٣)، فإن كنت تعقل علمت ما فى هذه السورة من الرحمة المدرجة ولا سيما فى قوله تعالى «ومنهم»، «ومنهم»، وذلك كله رحمة بنا لنحذر الوقوع فيه فلم تتضمن سورة من القرآن فى حقنا رحمة أعظم من هذه السورة.

وقد يتطرق إلى الأذهان أن الجن والإنسان سواء لاشتراكهما فى أسماء العطف والرحمة هيهات هيهات فعندما قالت الملائكة ﴿وما

منا إلا له مقام معلوم ﴿٣٤﴾ وهكذا كل موجود له مقام معلوم فيه خلق وفيه عايش وفيه ينتهى، فالحجر حجر منذ خلق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها والملك ملك منذ أن خلق إلى منتهاه ماعدا الثقلين لهم مقامات غُيبت عنهما إليها ينتهى كل أحد منهما بانتهاء أنفاسه فأخر نفس هو مقامه المعلوم الذى يموت ويبعث عليه ولهذا دعوا إلى السلوك فسلكوا علواً بإجابة الدعوة المشروعة وسفلاً بإجابة الأمر الإرادى.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله ﷺ فسمعنا وجبة فقال النبى ﷺ «أتدرون ما هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا حجر أرسل فى جهنم منذ سبعين خريفاً فالآن انتهى إلى قعرها».

فما فرغ إلا والصراخ فى دار منافق من المنافقين مات وعمره سبعون عاماً فقال رسول الله ﷺ «الله أكبر، فعلم علماء الصحابة أن هذا الحجر هو ذاك المنافق، وأنه منذ خلقه الله يهوى فى نار جهنم فلما مات حصل قعرها».

والمقام المعلوم لصالحى الجن ليس كالمقام المعلوم لصالحى الإنس كما بين من قال ﴿قبل أن تقوم من مقامك﴾ ﴿٣٥﴾ وبين من قال ﴿قبل أن يوتد إليك طرفك﴾ ﴿٣٦﴾ فالإنس وحدهم لهم الخلافة عن الله ﴿إني جاعل فى الأرض خليفة﴾ ﴿٣٧﴾ وهم حاملو أمانة الحق وسره ﴿وحملها الإنسان﴾ ﴿٣٨﴾ خلقهم الله بيده وأسجد لهم ملائكته وخلقهم على صورته «إن الله خلق آدم على

صورته، وعرفهم عليه به إذ صار سمعهم وبصرهم وجميع قواهم فما عرف إلا نفسه بنفسه وأنى يتسنى ذلك للجن فما هم إلا خدم عند مقام العارفين من الانس.

وكذلك يظهر نفس الرحمن في الذين يغضب عليهم ربنا تعالى فإذا اشتد عليهم غضبه أرسل عليهم نفس الرحمن في صورة عذاب فيأخذهم فيذهب الغضب إذ أن الغضب من الله تعالى أشد من العذاب ألف مرة، وذلك مثل ما نفس الله به على حبيبه بقتال المشركين وكان ذلك عذابا على الكافرين ومن نفس الرحمن قوله ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ (٣٩) فلا تتكبدوا مشقة الإتيان إليه والبحث عنه، ومن نفس الرحمن مانقس به على الموجدات فأوجدتها بعد أن كانت عدما.

ياقوتة في الورع

أصله قول رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»، ومحله الأمور المشتبهات، وبينهما أمور مشتبهات.

فكلما حاك في صدورهم شيء من المكاسب تركوه حتى كانوا في أشد ما يكونون من الشدة، وحتى لم يجدوا حلالا إلا ما تنبت به الأرض من بقلها على ضفاف الأنهار وما يخرج به الله تعالى من النباتات في الصحارى والقفار، فبعث الله عليهم نفس رحمة حتى

صاروا يعرفون الحلال من الحرام عن طريق خرق العادة أو عن طريق علامة بينهم وبين ربهم، أو يقذف الله في قلوبهم نورا فيستفتون تلك القلوب السليمة فتخبرهم الخبر.

أما الورع في المنطق: فقد أداهم إلى العزلة والسياسة حتى لا يقعوا في الغيبة والنميمة، فلما ساحوا في بطون الأودية وفي الصحارى والقفار ووجدوا من الوحشة ما تنزل له الجبال، أدركهم نفس رحمة منه تعالى فأنسهم بسماع تسبيح الأحجار وخرير الماء وتسبيح كل أمة وسلامهم عليه حتى أنه يسمع تسبيح جوارحه وكل عضو فيه وتصير تكلمه السباع إما بلغته وإما يلهمه الله منطقتها وتخدمه فيأنس بهم من وحشته، ويصير يجالسه الروحانيون من الجن إلا أن مجالستهم رديئة لكثرة فضولهم فالهروب منهم أفضل، فالجان هم أجهل العالم الطبيعي بالله تعالى، ومجالستهم تورث التكبر على من يظن أنه دونه من عباد الله ويفتن بهم وبما يخبرونه من حوادث الأكوان وما يجري في العالم، فلا يصحبهم أحد فيحصل عنده منهم علم بالله غايتهم أن يمنحوه من علم خواص النباتات والأحجار والأسماء والحروف، فإذا رآهم في سياحته فليغض طرفه عنهم ولا يلتفت إليهم فإنهم سيتجنبوه، إن رأوه مشغولا بريه عنهم.

وفي هذه العزلة تتحجب إليه الملائكة وتجالسه، ونعم الجلساء هم «وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، فكيف بطالب الله تعالى، فالملائكة: من نور خلقوا، ولا يخرج منهم إلا كل علم إلهي عزيز.

ياقوتة في العزلة

وهي تسبق الخلوة وفيها يعود الإنسان نفسه على الجوع والعطش والصمت ومخالفة النفس وعلى الأُنس بالله دون غيره .

وهي ثلاثة أنواع :

١ - عزلة في حاله: بأن يعتزل كل صفة مذمومة وكل خلق دنى .

٢ - عزلته في قلبه: وهو أن يعتزل بقلبه عن التعلق بأحد من خلق الله، من أهل ومال وولد وصاحب، حتى عن خواطره وكل أحد يحول بينه وبين ذكر الله ولا يكن له هم إلا تعلقه بالله .

٣ - وعزلته في حسه: وهو أن يعتزل في الصحارى والقفار والفيافي والأماكن البعيدة عن العمار والخرابات والمساجد المهجورة .

والعزلة إما لنفسك أو لغيرك، فإذا كانت للمبتدئين فهي لأنفسهم حتى يجتمعوا على ربهم، وأما الواصلين فليس لهم نفس فهي لغيرهم لأنهم علموا أن الأرض تزهو وتفخر بذكر الله عليها وهم رضى الله عنهم أهل إيثار وسعى في حق الغير ورأوا أن المعمور من الأرض لا يخلو عن ذاكر لله فيه من عامة الناس وأن المفاوز المهلكة البعيدة عن العمران لا يكون فيها ذاكر لله من البشر فلزم بعض العارفين السياحة صدقة منهم على البيد التي لا يطرقها إلا أمثالهم، وسواحل البحار، وبطون الأودية، وقمم الجبال، والشعاب .

فالله تعالى يقول: ﴿يَاعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي
 واسعة فاياي فاعبدون﴾^(٤٠). وأرض الله كل أرض موات لا
 يكون عليها ملك لغير الله، فتلك أرضه الخاصة المضافة إليه البريئة
 من الشركة فيها، البعيدة من المعمورة فإن الأرض الميتة القريبة من
 العمران يمكن أن يصل إليها بعض الناس فيحييها بالذكر والعبادة
 فيملكها بإحيائها، من أحياء أرضاً ميتة فهي له، والبعيدة من العمران
 سالمة من هذا فأمرنا تعالى بأن نعبد فيه إذ ليس فيها ملك لغير الله،
 فرأوا من العجائب والآيات ما يبهر العقول وراثته لرسول الله ﷺ
 ﴿سبحان الذي أسرى بعبده لنريه من آياتنا﴾^(٤١)
 والجهاد في أرض الكفر التي لا يوحد الله تعالى فيها من هذا النوع،
 وهذه الأنواع من العزلة هي نسبة لا مقام.

أما عزلة العلماء فهي مقام وهي من المقامات المستصحية
 لصاحبها في الدنيا والآخرة وعزلة العلماء هي أن ينظر إلى أسمائه
 تعالى فلا يتخلق بشئ منها عبودية لله تعالى ويقول في نفسه إن
 الأليق بي أن أعتزل بأسمائي عن أسمائه ولا أزاحمه فيها فاعتزل
 صاحب هذا النظر عن التخلق بالأسماء الحسنی وانفرد بفقره وذله
 وعجزه وقصوره وجهله لأنه تعالى ذم من تسمى بأسمائه فقال
 ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾^(٤٢) وقال ﴿يطيع الله على كل
 قلب متكبر جبار﴾^(٤٣) فاعتزل عن هذه الأسماء وإن ظهر بحكمها
 في العالم فكما قرع عليه الباب اسم إلهي قيل له ما هنا من يكلمك
 فقال له الحق تعالى اعتزل عن الجميع فلا تسم نفسك بنفسك بل

دعنى أسميك وأظهرك للوجود بها كلها أو ببعضها فاستجاب العبد
تأدبا مع ربه فرجع إلى العبودية التى لم تزاحم الربوبية فتحلى بها،
وقعد فى بيت شيئية ثبوته متخليا عن شيئية وجوده ينظر تصريف
الحق فيه وهو معتزل عن التدبير فى ذلك فإن تسمى بأى اسم فإن الله
مسميه ما هو تسمى وليس له رد ما سماه به فتلك الأسماء هى خلع
الحق على عباده وهى خلع تشريف فمن الأدب قبولها لأنها جاءت
من غير سؤال ولا استشراف وقد أمر رسول الله ﷺ بقبول مثل هذا
العطاء فمن استشراف وتطلع سلبه الله كل هذا وترك له العبادة فهى
اسم حقيقى للعبد وهى ذاته وموطنه وحاله وعينه ونفسه وحقيقته
﴿واليه يرجع الأمر كله فاعبده﴾^(٤٤) ﴿وما خلقت الجن
والإنس إلا ليعبدون﴾^(٤٥).

ومن الخلق من يعتزل فى السياحات ليحقق صحبة الله الخاصة
فى قول رسوله ﷺ «اللهم أنت الصاحب فى السفر، فهو تعالى
يصحبنا فى كل حال نكون عليه ونحن لا نصحبه إلا فى الوقوف
عند حدوده فما نصحب فى الحقيقة إلا أحكامه لا هو فله تعالى
السيادة والعالم عبيده فخدمة لا صحبة والعبد لا يتمكن له أن يصحب
غير سيده لأنه محكوم لاهو يحكم نفسه، فالمؤمن تحت شرعه ولو أن
فاطمة بنت محمد سرقت قطعت يدها، فهو تعالى معنا مانحن معه
لأنه يعرفنا ونحن لا نعرفه فهو يحفظنا له لا لنا ونحن نطلبه لنا لا له
﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾^(٤٦) فأوجدنا له لا لنا،
والصحبة لها حق عظيم فمن أخلص مع الله نفسا واحدا يصح به

إطلاق الصحبة مع الله فلا بد أن يراعى الله حق ذلك النفس، ومن استظل بشجرة أو استند إليها طلبا للراحة ولو للحظة فقد صحبها وصار لها عليه حق أن يسقيها، إن وجدها ذابلة مراعاة لحق الصحبة.

ومنهم من أراد الانفراد بذاته من أمثاله حتى لا يبقى له أنس إلا بذاته وحده فلا يرى له مثلا ليحقق أحديثه غير أن يرى له مثلا كما غار الحق تعالى أن يكون له مثل، مثل قوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ (٤٧).

ومنهم من تحقق بقوله تعالى ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ (٤٨) فرأى أن قطع المسافات زيادة تعب إلى تعب فطلب وجهه تعالى في موضع إقامته، فإذا عرفه صار مقصودا لا قاصدا تقصده الأنوار ولا يقصدها، فصاحب السفر مع قوله «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا» وصاحب الإقامة مع قوله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (٤٩) فالسكون مع المشاهدة والحركة مع الفقد.

ولا معنى لشكوى الشوق يوما إلى من لا يزول من العيان فإن تحركت إليه حددته، وإن سكنت معه عبدته، الحركة إليه عين الجهل به والسكون إليه عين العلم به، ما أسرى برسوله ليراه وإنما ليريه من آياته، وإن كان جليس الذاكر فإلى أين يرحل؟

ياقوتة في الخلوة

وهي عكس الجلوة ولا تكون إلا بعد عزلة صحيحة، قال رب العزة جل جلاله «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي»

ومن ذكرنى فى ملاً ذكرته فى ملاً خير منهم، وهذا حديث
إلهى صحيح يتضمن الخلوة والجلوة.

ومطلوب صاحب الخلوة: هو العلم بالله فلا يطلب واردا ولا شهودا
ولا لصفاء الفكر، فكل هذه نيات معلولة لا تعطى مقاما ولا رتبة،
والخلوة على الصورة المعهودة لا تصح إلا للمحجوبين، وأما أهل
الكشف فلا تصح لهم خلوة أبدا لأنهم مشاهدون على الدوام، فهم فى
ملاً أبدا، ولكن بعض الأكابر قد يدخل الخلوة لمزيد علم بالله مشاهدا
لقوله ﴿وقل رب زدنى علما﴾ (٥٠).

فإذا دخل الخلوة فلا يتحدث مع كون من الأكوان ولا مع نفسه،
قال بعضهم لصاحب خلوة: اذكرنى عند ربك فى خلوتك، فقال له:
إذا ذكرتك فلست معه فى خلوة، وهو قوله «أنا جليس من ذكرنى،
فإنه لا يذكره حتى يحضر المذكور فى نفسه، فمن شرط الخلوة الذكر
النفسى لا الذكر اللفظى، فأول خلوته الذكر الخيالى، وهو: تصور لفظ
الذكر من كونه مركبا من حروف رقمية ولفظية يمسكها الخيال سمعا
أو رؤية، ثم يرتقى إلى الذكر المعنوى الذى لا صورة له وهو ذكر
القلب، فإذا تلاشت الحروف وثبت المعنى انقذ له المطلوب وزيادة،
ولا ينشغل فى الخلوة بقراءة القرآن أو مذاكرة علم ولكن يكون انشغاله
وذكره باللفظ المفرد (الله).

والخلوة: إما مقام أو مقام، فالتى تحدثنا عنها هى خلوة المقام،
حيث يقيم فيها المرید مع نفسه حتى يصل إلى ربه.

وأما الخلوة، التي هي أعلى المقامات، فيكون فيها العارف خاليا بربه لا بنفسه، ومع ربه لا مع نفسه، وهو قوله تعالى ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (٥١) وهي من المقامات المستصعبة دنيا وأخرى من حصلت له لا تزول، وصاحبها يكشف له آيات العالم قبل آيات نفسه ثم يريه تلك الآيات في نفسه ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (٥٢) جل جلاله، وآيات العالم هي الدلالات له على أنه الحق الظاهر في مظاهر أعيان العالم، وآيات نفسه أن يريه نفسه جامعا لجميع الحقائق في العالم كله فالإنسان هو عالم وجيز، والكون هو الإنسان الكبير، فإذا رأى الإنسان نفسه عدما محضا على الحقيقة، وأنه قائم بالله فقد أصبح في خلوة مع ربه بربه لربه وصح له مقامه.

فإنه واحد وإن اختلفت مظاهر ظهوره، فالإنسان واحد ولكن يده ما هي رجله، ورأسه ما هي صدره، وعينه ما هو أذنه، ولا لسانه ولا فرجه، وعقله ما هو فكره، ولا خياله، فهو متنوع متعدد العين بالصور المحسوسة والمعنوية ومع هذا يقال فيه إنه واحد ويصدق ويقال فيه كثير ويصدق، فمن حيث أحديته نقول رأى نفسه بنفسه ومن حيث كثرته نقول رأى بعضه ببعضه، فتكلم بلسانه، وبطش بيده، وسعى برجله، واستنشق بأنفه وسمع بأذنه، ونظر بعينه، وتخيل بخياله وعقل بعقله وما ثم إلا هو.

فالخلوة دنيوية وهي من اسمه الباطن، والجلوة أخروية وهي من اسمه الظاهر.

ياقوتة في الخواطر

قال تعالى ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾ (٥٣) ومن سوء الأدب نسبة إلهام الشر إلى الله تعالى، فلا بد من نسبته إلى الشيطان، لقول رسول الله ﷺ: «إن للملك في الإنسان لمة وللشيطان لمة، فالضمير الأول عائد على الشيطان والثاني عائد إلى الملك إذ لا يجوز أن يقابل الخالق بالمخلوق فقد قال رسول الله ﷺ للخطيب الذي قال: «ومن يعصهما، فقال: بئس الخطيب أنت، إذ أنه جمع بين الخالق والمخلوق في ضمير واحد وهذا المخلوق هو من هو فما بالك بمن قابل الحق تعالى بأشر مخلوق.

فعلم الإلهام هو أن تعلم أن الله ألهمك بما أوقره في نفسك، ولكن بقى عليك أن تنظر على يدى من ألهمك ملك أو شيطان.

والشياطين إما حسية وهى شياطين الجن والإنس، وإما معنوية وهو أن الشيطان يلقي إلى الإنسان بابا وأصلا صحيحا في الدين، ثم يدقق هذا الإنسان فيه النظر فينقده له من المعانى المهلكة مالا يقدر على ردها بعد ذلك، حتى يكون الشيطان تلميذا لهم يتعلم منهم، فيفتح له الشيطان أمرا عاما تتفقه فيه النفس وتستنبط من تلك الشبه أموراً إذا تكلم بها تعلم إبليس الغواية، كحب أهل البيت: أصل صحيح وواجب على المسلمين، ولكنه جر الشيعة إلى بغض الصحابة ثم بغض رسول الله ﷺ وجبريل ورب العزة تبارك وتعالى الذى لم ينزل الوحي على على كرم الله وجهه.

وكذا أَلَقْتُ الشَّيَاطِينَ إِلَى أَنَسٍ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «مَنْ سَنَّ سَنَةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَعْضُ النَّاسِ لِحَرْصِهِ عَلَى الْخَيْرِ يَسُنُّ سَنَةً حَسَنَةً مِنَ الْخَيْرِ، وَيُرِيدُ النَّاسُ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا فَيَخَافُ إِذَا نَسَبَهَا لِنَفْسِهِ لَا تَقْبَلُ فَيَضَعُ الْأَحَادِيثَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْحُضِّ عَلَيْهَا، فَإِذَا أَلْقَى الْمَلِكُ فِي خَاطِرِهِ قَوْلًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ كَذِبٍ عَلَى مَتَعَمِّدٍ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» تَأُولُ ذَلِكَ، وَقَالَ: إِنَّمَا ذَلِكَ إِذَا دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ وَأَنَا مَا سَنَنْتُ إِلَّا خَيْرًا.

فَالشَّيْطَانُ يَأْتِي كُلَّ طَائِفَةٍ بِمَا هُوَ الْغَالِبُ عَلَيْهِمْ فَلَا يَزَالُ بِالصَّالِحِينَ يُلْقِي إِلَيْهِمْ بِالْخَوَاطِرِ الطَّيِّبَةِ حَتَّى إِذَا اطمأنوا فِي الْأَخْذِ عَنْهُ وَظَنُّوهُ مِنَ اللَّهِ فَقَدْ قَنَعَ مِنْهُمْ إِبْلِيسُ بِهَذَا الْقَدْرِ مِنَ الْجَهْلِ فَهُمْ تَحْتَ سُلْطَانِهِ ثُمَّ يَسْلُخُهُ مِنْ دِينِهِ كَمَا تَسْلُخُ الْحَيَّةَ مِنْ جُلْدِهَا.

وِخَوَاطِرُ الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهَا إِمَّا رِبَانِيَّةٌ وَإِمَّا مَلَكِيَّةٌ وَلَا حَظَّ لِلشَّيْطَانِ فِي قُلُوبِهِمْ وَمَنْ يَحْفَظُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ فِي عِلْمِ اللَّهِ يَكُونُ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ فِي الْعَصْمَةِ مِمَّا يُلْقَى لَا فِي الْعَصْمَةِ مِنْ وَصُولِهِ إِلَيْهِمْ فَيَأْتِيهِمُ الشَّيْطَانُ فِي الظَّاهِرِ عَلَى أَى صُورَةٍ، لِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ الْوَسْوسَةُ فِي قُلُوبِهِمْ وَلَكِنْهُمْ يَعْرِفُونَهُ، أَمَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى (أَيَ قَرَأَ) أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ (٥٤) أَى فِي قِرَاءَتِهِ: عَلَى لِسَانِهِ وَلَا حَظَّ لَهُ فِي قُلُوبِهِمْ، أَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَهُوَ مُخْصَّصٌ مِنْ هَذِهِ الْخُصُوصِ بِقَوْلِهِ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ (٥٥) فَتَزَهَّ أَيْضًا لِسَانُهُ فَلَيْسَ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ لِسَانًا وَقَلْبًا وَرُوحًا.

جاء الشيطان لعيسى عليه السلام على صورة شيخ، فقال له قل: لا إله إلا الله، ورضي منه أن يطيع أمره في هذا القدر فقال عيسى عليه السلام: أقولها لا لقولك، فرجع خاسئاً، فالسعادة في الإيمان أن تقول ما تعلمه لقول رسولك عليه السلام لا لعلمك فإذا قلت ذلك لا لقوله وأظهرت أنك قلت ذلك لقوله كنت منافقاً، فالشيطان يأتي المنافق من أهل الكتاب فيقول له ألم تعلم أن رسولك بشر بهذا النبي وهما في النبوة سواء فأمن به عن قول نبيك لا عن قوله، فهؤلاء لما آمنوا قال الله لهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ (٥٦) أى: آمنوا بأنبيائي لقول محمد ﷺ لا لعلمكم بذلك ولا لإيمانكم الأول فتجمعوا بين الإيمانين فيكون لكم أجران.

فالشيطان يوسوس بالمحذور للعامة من أهل المعاصي وبالمكروه للعباد من العامة وبالمباح في حق المبتدئ من أهل الطريق وبالمندوب في حق المتوسطين وبالواجبات للعارفين.

فإذا نوى العبد أمراً مع الله واستوثق من ذلك أقام له الشيطان عبادة أخرى أفضل منها شرعاً فيقطع الأولى ويبدأ الثانية فيفرح إبليس بأن جعله نقض عهد الله من بعد ميثاقه.

فإذا كنت من العامة فإنه سيوسوس لك بفعل المحرمات، فإذا سددت على نفسك باب الحرام أتاك في المكروه، فإذا امتنعت عن المكروه أتاك في المباحات من أكل ونوم وشهوة الخ.

فليسأل الله كل عالم أن يجعل له علامة تكون له فرقانا في أمر الخواطر وقد أعطى الله تلك العلامة للعامة وهي ميزان الشرع فميز بين فرائضه ومندوباته، وبين المباح والمكروه والحرام، ونص على ذلك في كتابه وعلى لسان رسوله، فإذا خطر لك خاطر في محذور أو مكروه فتعلم أنه من الشيطان بلاشك، وإذا خطر لك خاطر في مباح فتعلم أنه من النفس بلاشك، فخاطر الشيطان فاجتنبه والمباح أنت مخير فيه، ولكن إذا طلبت الأرباح فاجتنب المباح واشتغل بدلا منه بالواجب أو المندوب فإذا تصرفت في المباح فتصرف فيه على حضور أنه مباح وأن الشارع لولا ما أباحه لك ماتصرفت فيه فتكون مأجورا في مباحك، وإن خطر لك في فرض أو مندوب فقم إليه فإنه من الملك.

ولكى تفرق بين خواطر النفس والشيطان: فإن النفس تثبت على ما تأمرك به من معصية، أما الشيطان: فيوسوس لك بمعصية ثم يتركها ويوسوس لك في أخرى، وفي الثالثة، فهو لا يثبت على معصية واحدة، والشيطان يعلم النفس المعصية أول مرة ثم يتركك لنفسك هي التي تأمرك بها بعد ماذاقت حلاوتها، فإذا ذكرت الله تعالى انخنس الشيطان وبقيت النفس تنغص عليك أوقانك ولا تستطيع لها علاجا إلا بالله تعالى أما الشيطان فإن كيد الشيطان كان ضعيفا.

فهم قوم أن الشيطان لهم عدو فاشتغلوا بمحاربتة ففاتهم محبة الحبيب، وفهم قوم أن الشيطان لهم عدو وأن الله لهم حبيب فاشتغلوا

بمحبة الحبيب فكفاهم عداوة الشيطان وجعل الله تعالى بحكمته الشيطان والنفس والناس حراس الحضرة فلا يدخل الحضرة إلا من غلبهم.

فالنفس والشيطان نعمتان في الظاهر لمن توقف معهما وحجب بهما وجزاهما الله عن الأولياء خيرا ما عليهم إلا فضل الله ثم فضلهما، لا ينسون جميلهما إذ لولا أن حركهما الله عليك لما دام إقبال العبد إليه.

ياقوتة في العلم اللدني

وهو علم ضروري يكون في أصل الخلقة والجبلة كعلم الحيوان والطيور والأطفال الصغار ببعض منافعهم ومضارهم ﴿وأوحى ربك إلى النحل . . .﴾ (٥٧).

والطفل أول ما يخرج من بطن أمه يمدّه الله تعالى بعلم من لدنه لا كسب له فيه ولا عقل، ويظل يمدّه بهذا العلم صرفا خالصا حتى تبدأ عنده في الظهور ملكة العقل والخيال، وكلما ازدادت عنده هذه الملكة كلما نضج عنده العلم اللدني وصارت روحه تستقي، إما من فكره وعقله، وإما من خياله.

فالقوى ثلاث: قوة علمية، وقوة عملية، وقوة مفكرة .

فالكائنات كالنحل والعناكب والطيور والحيوانات والإنسان في أول أطوار حياته يمدّه الفيض الإلهي فيتعلم ويعمل وتظل القوة العلمية والعملية تمتد من العلم اللدني عند جميع الكائنات إلا الثقلين فعندما تتكون عندهما القوة المفكرة تستقي أرواحهم من أفكارهم فكانت القوة المفكرة عندهم بمنزلة الحقيقة الإلهية لغيرهم من الكائنات، حتى سادتنا الملائكة لهم القوة العلمية والعملية إلا أن ترقّهم يكون بالعلم لا بالعمل، وهنا ينقسم الناس .

١ - فمنهم من يمدّه الله بالعلم اللدني طيلة حياته من أولها لآخرها وهم الأنبياء عليهم السلام وقليل من الأولياء، فلقد كان سهل رضى الله عنه ممن ولد محفوظاً قبل التكليف فلم يرزأه الله في عهده الذى أخذ عليه وهو فى صلب أبيه آدم بشئ فبقى على أصله يمد بالعلم اللدني، وهذا هو صاحب الدين الخالص الذى لا يشقى، فإنه لا يشقى إلا أهل المكابدة والمجاهدة فى استخلاص الدين ممن أمرهم الله أن يستخلصوه منه، وليس فى الحقيقة إلا هوى نفوسهم .

٢ - ومنهم من إذا رأى القوة الفكرية عنده أصبحت فى زيادة وأصبحت روحه تستمد منها ولكنه رأى أن العقل أحياناً يخدعه والنفس تحوم حولها الشياطين فأخذ يحتال بنفسه حتى يتصل بالله ، ويعود إلى أصله فتستقي روحه من ربها، كما كانت فأخذ فى الرياضات والمجاهدات وسمع قوله تعالى ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ (٥٨)

﴿ومن يتق الله يجعل له فرقانا﴾^(٥٩) فتعود روحه تغترف من بحار فيض ربها ولكنه علما أتى بعد اكتساب عمل منا فهو مكتسب لا وهب فيه، لأن التقوى جعلها الله طريقا إلى حصول هذا العلم كما جعل الفكر الصحيح سببا لحصول العلم، والعلم الوهبي لا يحصل عن سبب بل من لدنه سبحانه وهو من حضرة اسمه الوهاب، فالنبوات كلها علوم وهبية فالشرائع كلها من علوم الوهب، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾^(٦٠) أى: ما أعطيتم فجعله هبة، فإنه لو أراد العلم المكتسب لم يقل: أوتيتم، بل كان يقول: أوتيتم الطريق إلى تحصيله، أما قول رسول الله ﷺ «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، هو علم كسبى».

ومنهم أهل الحجاب الذين اغتروا بعقولهم وأفكارهم فأرواحهم محجوبة عن الله بعقولهم وخيالاتهم، لا يعرفون استمدادا من الله بل يستمدون من أفكارهم، فهم على شفا هاوية إذ أن الأفكار والعقول أعداؤها كثير سواء الشياطين أو النفس أو الهوى، والخيال هو الواسع الضيق فعلى سعته لا يقبل المعانى إلا مقيدة بصورة حسية، فيرى العلم لبنا والدين قيда، فهؤلاء أعطاهم الله الموازين ليزنوا بها لله فوزنوا بها على الله.

٤ - ومنهم من جمع العلوم كلها كسبا ووهبا، وهو رسول الله ﷺ حيث قال «علمت علم الأولين والآخرين، ثم يأتى يوم القيامة فيحمد الله تعالى بمحامد أخبر أن الله يعلمه إياها فى ذلك الوقت لا يعلمها

الآن فلو علمها غيره لم يصدق قوله علمت علم الأولين والآخرين،
وتلك المحامد هي المقام المحمود لا الشفاعة في الخلق، لأنه تعالى
يحب الثناء والمدح فمحبوب الله تعالى أعلى وأوثق من الشفاعة في
المخلوق.

فالعلماء ثلاثة، عالم علمه ذاتي، وهو رب العزة تعالى.

وعالم علمه وهبي، وهم الأنبياء وبعض أكابر الأولياء، وعالم
علمه مكتسب وهم كثير.

والأرواح لا تفاضل بينها من حيث أنها مدبرة ولكن بينها
تفاضل كبير في قابليتها للاستقبال النوراني، فليس من استقبل عن
الخالق كمن استقبل عن المخلوق، والعقل والخيال كلاهما يحجب
صاحبه فإذا عمل العقل فلا خيال وإن عمل الخيال توقف العقل،
وتجد من سرح خياله في شيء وكأنه قد عمى وصم حتى أنه لا يرى
ولا يسمع من حوله.

ياقوتة في الإشارات

الإشارة هي نداء على رأس البعد.

فالإشارة كمثّل رجل ضاق صدره بشيء ثم سمع رجلاً ينادي
آخر فيقول يا فرج فيستبشر، كما فعل رسول الله ﷺ في مصالحة

المشركين لما صدوه عن البيت الحرام فجاء يصالحه رجل من
المشركين اسمه سهيل، فقال رسول الله: «ما اسمك؟» قال: سهيل،
فقال ﷺ «سهل الأمر».

وأهل الله لا يستعملون الإشارة فيما بينهم ولا فى أنفسهم إلا عند
مجالسة من ليس منهم، والعجيب أنه ما من طائفة إلا ولها إشارات
واصطلاحات لا يعلمها الدخيل فيهم إلا بالتعلم من الأستاذ، إلا أهل
هذه الطريقة إذا دخلها المرید الصادق فهم الاشارات بدون معلم،
وأهل الله تعالى قد اضطروا إلى الإشارة وذلك لأنه ما خلق الله تعالى
أشد ولا أشق على أهل الله من علماء الرسوم فهم كالفرعنة للأنبياء،
فعدل العارفون إلى الاشارة كما عدلت مريم من أجل أهل الإفك
والإلحاد إلى الاشارة فكلامهم رضى الله عنهم فى شرح كتابه العزيز
إشارات، وإن كان ذلك حقيقة وتفسيرا لمعانيه النافعة، فلقد قال تعالى
﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم﴾ (٦١) فكل آية منزلة
لها وجهان: وجه يرونها فى نفوسهم، ووجه آخر يرونها فيما خرج
عنهم، فيسمعون ما يرونها فى نفوسهم، إشارات ليأنس الفقيه صاحب
الرسوم إلى ذلك ولا يقولون فى ذلك أنه تفسير وقاية لشرهم
وتشنيعهم، وذلك لجهلهم بمواقع خطاب الحق، فالله تعالى كان قادرا
على تنصيب مأتأوله أهل الله فى كتابه ومع ذلك فما فعل بل أدرج
فى تلك الكلمات الإلهية التى نزلت بلسان العرب علوم معانى
الاختصاص التى فهمها عباده بعين البصيرة، فعلماء الرسوم اختلفوا
فيما بينهم وتفاضلوا لما نظروا إلى معانى الآيات بالعين الظاهرة ومع

ذلك عذر بعضهم بعضا ومع ذلك ينكرون على أهل الله إذا جاءوا بشئ مما يغمض عن إدراكهم وذلك لأنهم يعتقدون فيهم أنهم ليسوا بعلماء وأن العلم لا يحصل إلا بالتعلم المعتاد، وماقرأوا قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾ (٦٢) ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٦٣) ﴿عِلْمُهُ الْبَيَانُ﴾ (٦٤) وقال للرسول عليهم السلام ﴿وَعِلْمُكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ (٦٥) ﴿وَنَعْلَمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (٦٦) ونسوا أن كل علوم الشريعة وهبيرة لا كسب فيها من حيث نزولها على الرسول عليهم السلام، فصدق علماء الرسوم عندنا فيما قالوا: إن العلم لا يكون إلا بالتعلم وأخطأوا في اعتقادهم أن الله لا يعلم من ليس بنبي ولا رسول، يقول تعالى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ (٦٧) وهى العلم و (مَنْ) هنا نكرة، فإن الله تعالى قد أغلق باب التنزل بالأحكام المشروعة وما أغلق باب التنزل بالعلم بها وبمعرفة معانيها على قلوب أوليائه حتى يكونوا على بصيرة، وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه ماترك لنا رسول الله ﷺ إلا فهما يؤتيه الله من يشاء من عباده فى هذا القرآن .

فلما رأى أهل الله أن الله قد جعل الدولة فى الحياة الدنيا لأهل الظاهر من علماء الرسوم وأعطاهم التحكم فى الخلق بما يفتون به سلم أهل الله لهم أحوالهم لأنهم علموا من أين تكلموا وصانوا عنهم أنفسهم بتسميتهم الحقائق إشارات، فإن علماء الرسوم لا ينكرون الإشارات، أين عالم الرسوم من قول على كرم الله وجهه حين أخبر عن نفسه أنه لو تكلم فى الفاتحة لحمل منها سبعين وقرأ، هل هذا



إنه لمن دواعي السرور أن تقوم الهيئة المصرية العامة للكتاب بإصدار سلسلة جديدة هي «التراث» نسال الله تعالى لها دوام الاستمرار في تقديم مختلف الفنون والمعارف الأصيلة من تراثنا العربي.

ومن باكورة هذه الأعمال كتاب «الكنز في المسائل الصوفية» الذي يخدم - إن شاء الله - مساحة، بل مساحات شاسعة في سماء معارفنا، ويحقق غنى الدوق الصوفي الرفيع حلماً وأملاً طال انتظاره، وخاصة قارئ كتب الأصول الصوفية لأنه سوف يكون ميزاناً جديداً يفهم به هذه الأصول والأمهات.

من كتب القوم مثل: الفتوحات المكية وغيرها. فمن قرأ هذا الكتاب فكأنما عاش مع أهم مصادر التراث الصوفي وفهم الروح الساري فيها.

ومؤلفه من العلماء العاملين، وهو فضيلة الشيخ صلاح الدين التجاني الشريف الحبيب النسيب الذي ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسن بن علي من ذرية السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله (ﷺ) وهو الغواص المتعمكن المجدد، الذي استطاع أن يقبض على المضمون الحقيقي لمراد ابن عربي وغيره، ويقدمه للقارئ في ثوب بهي جديد لا يقف بالقارئ إلا على أبواب الفهم والتفهم ليحدث الأثر من إدراك التجلي.

إلا من الفهم الذى أعطاه الله فى القرآن؟ وكل علماء الرسوم إنما يتكلمون فى علومهم على غلبة الظن لا عن بصيرة، وشتان بينهما، فأهل الله منهم من يقول رأيت رسول الله ﷺ يقظة فأعلمنى بصحة هذا الحديث، وقال أبو يزيد رضى الله عنه أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت يقول أمثالنا حدثنى قلبى عن ربى وأنتم تقولون حدثنى فلان وأين هو قالوا مات، عن فلان وأين هو قالوا مات، وكان الشيخ أبو مدين رحمه الله إذ قيل له قال فلان عن فلان، يقول: مانريد أن نأكل قديدا هاتوا ائتوني بلحم طرى، يرفع هم أصحابه فإن هذا فلان وأى شئ قلت أنت خصك الله به من عطاياه من إشارته وعلمه اللدنى، أى: حدثوا عن ربكم واتركوا فلانا وفلانا فإن أولئك أكلوه لحما طريا والواهب لم يمت وهو أقرب إليكم من حبل الوريد، والفيض الإلهى والمبشرات ماسد بابها، والطريق واضحة، والباب مفتوح، والعمل مشروع، والله يهرول لتلقى من أتى إليه يسعى، فمن كان معك بهذه المثابة من القرب مع دعواك العلم بذلك والإيمان به لم تترك الأخذ عنه والحديث معه، وتأخذ عن غيره ولا تأخذ عنه فتكون حديث عهد بربك.

ياقوتة فى النار

اعلموا أن وجود اللذة بالملتذ هو النعيم ووجود الألم عند الأسباب هو العذاب، فالألم غير العذاب، فصاحب أسباب الألم إذا وجد اللذة بتلك

الأسباب وجب عليه الشكر لا الصبر، قال عمر رضي الله عنه ما أصابني الله بمصيبة إلا رأيت أن الله على في تلك المصيبة ثلاث نعم حيث لم تكن في ديني، وحيث لم تكن أكبر منها، وما وعد الله من الثواب عليها. ثم اعلم بأن جهنم من أعظم المخلوقات، وهي سجن الله في الآخرة، وسميت جهنم لبعدها، يقال: بئر جهنم، إذا كانت بعيدة القعر، وفيها حرور وزمهير ففيها البرد على أقصى درجاته والحرور كذلك وهي مخلوقة وغير مخلوقة الآن وذلك أنها مبنية ومجهزة كرجل أراد أن يبني بيتا فأقام حيطانها، فيقال قد بنى بيتا فإذا دخلها لم يجد إلا سورا دائرا على فضاء وبعد ذلك ينشئ غرفها على حسب أغراض الساكنين فيها وكذلك النار لا يوجد فيها الآن آلات العذاب وتنوعه إذ أن ﴿وقودها الناس والحجارة﴾^(٦٨) وتحدث فيها الآلات على حسب أعمال داخلها من الجن والإنس، فهي خلقت من اسمه اللطيف، أي: أنه لطف بها فأوجد لها من العدم، أما عذاب المعذبين فيها فمن صفات الغضب الإلهي قال تعالى ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾^(٦٩) وهم أهل النار الذين هم أهلها أي: تميزوا عن الذين يخرجون منها بشفاعاة الشافعين وسابق العناية الإلهية بالموحدين.

أما تخاصم أهل النار فإن الخصام هو نفس عذابهم فهم يتعذبون بهذا الخصام فإن عذاب أهل جهنم ما هو من جهنم، وإنما جهنم، دار سكانهم وسجنهم، والله يخلق الآلام فيهم متى شاء فعذابهم من الله وهم محل له.

ولها سبعة أبواب، وهناك باب ثامن مغلق لا يفتح وهو باب الحجاب عن رؤية الله تعالى والشمس فى جهنم شارقة لا مشرقة، وقوله تعالى ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سَجَرَتْ﴾ (٧٠) معنى ذلك أن الأرض تعود كلها إلى النار إلا الأماكن التى حددها رسول الله أنها فى الجنة كروضته الشريفة وكذا الأنهار التى حددها الله فإنها من الجنة ومعنى أنها فى الجنة بتحديد الشرع أن غيرها من الأرض فى النار، وإبليس أشد أهل النار عذابا ومع ذلك فعذابه بالزمهرير.

والنار ناران: حسية، وهى المسطرة على إحساسه وظاهر جسمه، ونار معنوية: وهى التى تطلع على الأفئدة وهى القلوب والأرواح ولا عذاب على الأرواح أشد من الجهل بالله والحجاب عنه، وإذا قالت النار: «هل من مزيد»، وضع الجبار فيها قدمه، وليست تلك القدم إلا غضبه فإذا وضع غضبه فيها امتلأت فهى دار الغضب ثم وسعت رحمته كل شئ بما فى ذلك النار وما ملأها من غضب.

واعلم أن الناس على نوعين، نوع ليس لإبليس عليه سلطان ولا قوة وهم عباد الله ﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (٧١) ونوع تحت سلطانه وهذا النوع طائفتان، طائفة لا تضرهم الذنوب التى وقعت منهم ﴿وَاللَّهُ يَعْذَرُكُمْ مِنْهُ وَفَضْلًا﴾ (٧٢) فلا تمسهم النار بما تاب الله عليهم وباستغفار الملائكة لهم، وطائفة أخذهم الله بذنوبهم، والذين أخذهم الله بذنوبهم قسمان: قسم أخرجهم الله من النار بشفاعاة الشافعين وهم أهل الكبائر من المؤمنين، وبالعناية الإلهية وهم أهل التوحيد بالنظر العقلى.

وقسم آخر أبقاهم الله في النار وهذا القسم هم أهل النار الذين هم أهلها وهم أربع طوائف.

أولهم: المتكبرون على الله، كفرعون وأمثاله ممن ادعى الربوبية لنفسه ونفاها عن الله.

والطائفة الثانية المشركون الذين يجعلون مع الله إلها آخر وقالوا ﴿مانعدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (٧٣).

والطائفة الثالثة المعطلة الذين نفوا وجود الإله جملة فلم يثبتوا إلها للعالم، والرابعة المنافقون وهم الذين أظهروا الإسلام من إحدى هؤلاء الطوائف الثلاث.

وليس في النار دركات إختصاص إلهي، ولكنه أخبرنا تعالى أنه يختص برحمته من يشاء، فأهل النار معذبون بأعمالهم لا غير، وأهل الجنة ينعمون بأعمالهم وبغير أعمالهم في جنات الإختصاص.

فلأهل السعادة ثلاث جنات: جنة أعمال يدخلونها بأعمالهم، وجنات إختصاص وهي التي يدخلها الأطفال والمجانين وأهل الفترات، وجنات ميراث وهي التي كانت لأهل النار إذا دخلوا الجنة، أما قوله تعالى ﴿زدناهم عذابا فوق العذاب﴾ (٧٤) فذلك لطائفة مخصوصة وهم الأئمة المضلون وهؤلاء قال فيهم ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم﴾ (٧٥) وهم الذين قالوا ﴿اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وإنهم لكاذبون﴾ (٧٦) في هذا القول، بل هم حاملون خطاياهم.

والذين أضلّوهم يحملون أيضا خطاياهم وخطايا هؤلاء مع خطاياهم ولا ينقص هؤلاء من خطاياهم من شيء، وهو معنى قول رسول الله ﷺ «من سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها دون أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئا، ومعلوم أن الذي يسن هم الأئمة.

فأهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، واتفق العلماء على أنهم لا يخرجون منها واتفقوا على دوام عذاب قلوبهم وافئدتهم أبد الآبدين، واختلفوا في عذابهم الحسى هل ينقلب عذابهم إلى استعذاب بعد انقضاء مدة موازنة أزمان العمل فيفقدون الإحساس بالألم، ومنهم من قال بتخديرهم وعدم إحساسهم بالعذاب في زمان النضج والتبديل في قوله ﴿كلما نضجت جلودهم﴾ (٧٧) ومنهم من قال بدوامه عليهم بنياتهم لا بأعمالهم لأنه إذا عاشوا إلى الأبد في الدنيا لانطوت نيتهم على الكفر.

وأما الذين سيخرجون منها فإنهم يموتون فيها مorte فلا يحسّون بعذاب ثم يجاء بهم على أنهار الجنة وهؤلاء هم أهل الموتتين، وذلك قبل ذبح الموت بين الجنة والنار، فينظر أهل النار الذين هم أهلها فلا يجدونهم فيقولون ﴿مالنا لا نرى رجالا كنا نعدّهم من الأشرار﴾ (٧٨)، فمن الناس من يقيم في النار أولا بالجزاء ثم بالأهلية، وغيرهم أقام ورودا وخرجوا بالشفاعات.

والنار قد تتخذ دواء لبعض الأمراض فهي وقاية، وقد جعل الله تعالى النار يوم القيامة وقاية في هذا الموطن من داء هو أشد من النار

فى حق المبتلى به وأى داء أكبر من الكبائر، فجعل الله لهم النار يوم القيامة دواء كالكى بالنار فى الدنيا فدفع بدخولهم النار يوم القيامة داء أعظم من النار وهو غضب الله، فالغضب أعظم من العذاب فإذا عذب المغضوب عليه تنفس الغضب وزال.

وكما أن الحدود الدنيوية وقاية من عذاب الآخرة لأنها كفارات، أى: تستره هذه الحدود عن عذاب الآخرة، من كفر يعنى ستر، وذلك للمؤمنين أصحاب الكبائر، أما المحاربون الله ورسوله وهم الكفار فإن الله لما عاقبهم فى الدنيا لم يجعل عقوبتهم كفارة مثل ما هى الحدود فى حق المؤمنين، بل قال ﴿ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم﴾^(٧٩) والعذاب العظيم الذى يعم الظاهر والباطن، قال تعالى ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب﴾^(٨٠) وأى عقوبة أشد من عقوبة تعم المستحق وغير المستحق الظالم وغير الظالم وهى هذه الحدود الدنيوية، فهى للظالم عقوبة وللبرئ فتنة واختبار وحدود الآخرة ليست كذلك فإنها دار تمييز فلا تصيب فيها العقوبة إلا أهلها.

وأعظم عذابا من النار الحجاب عن الله، قال رسول الله ، «إن الله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه، فانظر ما ألطف هذه الحجب وما أخفاها فإنه قال ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾^(٨١) مع وجود هذه الحجب التى تمنعنا من رؤيته فى هذا القرب العظيم وما نرى لهذه الحجب عينا فهى أيضا محجوبة عنا وقال تعالى ﴿ونحن أقرب

سمع أبو يزيد قارئاً يقرأ ﴿إِنْ بَطَشَ رَبُّكَ لَشَدِيدٌ﴾^(٨٤) فقال: بطشى أشد، وذلك لأن بطش الخالق دائماً مشوب بلطف ورحمة أما بطش المخلوق فبطش محض وعذاب محض لا رحمة فيه.

ياقوتة في النوافل

إن النوافل ما يكون لعينها أصل يشاهد في الفرائض كلها
فالفرض كالأجرام إن قابلتها بالنور والنفل المزداد كظلمها
يبدو بصورتها وليس فريضة فيعود فرضاً في الحساب كمثلها
جاء الحديث لنا فبين فضلها شرعاً وميز أصلها من أصلها
فيكون عين قواك ربك فاغترف من طلها حتى تفوز بوبلها
والنفل هو كل عمل له أصل في الفرض، وهي تتفاضل وتعلو بعلو
فرائضها، وهي عن أصلها تتولد وبصورته تظهر كما ظهرنا نحن
بصورة الحق، فنحن له ناقله وهو أصلنا لهذا نقول فيه أنه واجب
الوجود لنفسه، ونحن واجبون الوجود به لا بأنفسنا، فبهذه الدرجة
يتميز عنا ونتميز عنه.

وماعدا النوافل يسمى عبادة مستقلة وسننا مبتدآت، قال: أبو حنيفة رحمه الله: النكاح أفضل نوافل الخيرات، وذلك لأن فرضها هو توجه

إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾ (٨٢) نعم ياربنا ما نبصرك ولا نبصر الحجب فنحن خلف حجاب الحجب وأنت منا بمكان الوريد أو أقرب إلينا منا والله غير محدود بحجاب ولا بغيره إلا أن يكون الله هو عين الحجاب فما احتجبنا عنك إلا بك ولا احتجبت عنا إلا بظهورك، وكيف نحتجب عنه ونحن مظهر من مظاهر ظهوره؟! فحجب النور في الحديث من اسمه الظاهر، وحجب الظلمة من اسمه الباطن، وذلك هو ظهور الحق تعالى في مظاهر أعيان الممكنات بحكم ما هي الممكنات عليه من الاستعدادات فاختلفت الصفات على الظاهر لأن الأعيان التي ظهر فيها مختلفة فتميزت الموجودات وتعددت لتعدد الأعيان وتميزها، فما في الوجود إلا الله وأحكام الأعيان، وما في العدم شيء إلا أعيان الممكنات مهياة للاتصاف بالوجود.

واعلم أن الغضب من الأشياء التي وسعتها الرحمة فما ثم غضب خالص غير مشوب برحمة، والرحمة لا يشوبها غضب وقوله تعالى ﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ (٨٣) فالغضب جطه يهوى فقط فإذا هوى سقط في الرحمة فلا يسقط إلا إليها وبالرحمة التي في الغضب سقط فهي التي جعلت الغضب يهوى به لتستلمه الرحمة الخالصة كالرحمة التي في الدواء الكريه، ألا ترى إلى ما جعل الله في النار في الدنيا من الراحة والمنافع، ولو لم يكن إلا الكى بها لبعض العلل، فإنه أقطع الأدوية ولقوته في أثره قدح في التوكل لأنه يقوم في الفعل مقام الشافى والمعافى فحكمت الخيرة على المكتوى بأنه غير متوكل.

الله بالمحبة إلى المحدثات فأخرجها من العدم إلى الوجود فقال لها: كن، فكانت وهى حالة تشبه النكاح فكان النكاح المفروض أفضل الفرائض وناقلته أفضل النوافل، ورسول الله ﷺ حبيب إليه النساء من هذا الوجه وكان النكاح نصف الدين من هذا الوجه.

فوجود الحق هو الفرض ووجود العبد نافلة عن ذلك الفرض وقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (٨٥) أى: ليس كمثله شئ وما مثله إلا من خلق على صورته، فنفى سبحانه أن يماثلك شئ فكيف به هو جل جلاله.

ياقوتة في الزهد

وهو يتحقق حتى فى الفقير الذى لا يجد شيئاً يزهد فيه، وذلك لأن الفقير متمكن من الرغبة فى الدنيا والتعمل فى تحصيلها فتركه لذلك العمل والطلب والرغبة عنه يسمى زهداً.

فمقام الزاهد: هو الزهد فى كل اسم إلهى يحول بينك وبين عبوديتك، قال أبو يزيد كنت زاهداً ثلاثة أيام أول يوم زهدت فى الدنيا، واليوم الثانى زهدت فى الآخرة، واليوم الثالث زهدت فى كل ما سوى الله، فنادانى الحق ماذا تريد؟ فقلت: أريد أن لا أريد لأنى أنا المراد وأنت المرید، فالزهد عنده حال وليس بمقام.

ولو رأيت الحق لم تزهد فإن الله ما زهد في الخلق ومائمه تخلق إلا بالله
فبمن تتخلق في الزهد.

وذلك أنه ما زهد من زهد إلا لطلب الأكثر فزهد في الأقل ﴿قل
متاع الدنيا قليل﴾^(٨٦) فأين الزهد فما تركوا الدنيا إلا حذرا أن
يرزأهم في الآخرة فهذا عين الطمع والرغبة فيما يتخيل أنه زهد،
قيل لبعضهم: ما الزهد عندكم قال: إذا وجدنا شكرنا وإذا فقدنا صبرنا
فقال هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ، فقال: وما الزهد عندكم؟ قال: إذا
فقدنا شكرنا، وإذا وجدنا آثرنا.

ياقوتة في الجود

عن الجود صدر الوجود ، وهو العطاء قبل السؤال فالجود من الحق هو
ظهوره في الأعيان وهو امتنان ذاتي، والجود من الخلق هو
استعدادهم الذاتي للانفعال للأسماء، وهو ذاتي لا امتنان فيه.

والجود - بفتح الجيم - هو المطر الكثير، وهو مقلوب وجد مثل
جذب وجبذ.

ياقوتة في الإيثار

ليس للحق منه صفة لأنه عطاء محتاج لمحتاج.

ياقوتة في الصدقة

وهي تصدق الحق على العبد بإبقاء عينه في الوجود، وبإيجاده أولاً مع علمه بأنه إذا أوجده يدعى الألوهية ويقول أنا ربكم الأعلى. والصدقة من العبد على الحق هو ما يجده العبد في نفسه من عزة الصورة وربوبية صفاتها ومع هذا يتركها ، ويقر له بالعبودية الخالصة.

ياقوتة في الهدية

فهدية الحق للعبد نفسه، وهدية العبد للحق رد تلك النفس إليه بغير بيع ولا شراء بل محبة لله خالصة.

ياقوتة في الكرم

أما عطاء الكرم فهو العطاء بعد السؤال وهو على نوعين: سؤال بالحال، وسؤال بالمقال.

فسؤال الحال: عن كشف من الطرفين، وسؤال المقال: من العبد، يارب اعطني، اغفر لي وسؤال الحق ﴿ادعوني﴾^(٨٧) ﴿أقم الصلاة﴾^(٨٨) ﴿أقيموا الوزن بالقسط﴾^(٨٩) وكل طلب تصور من الحق يطلبه من عباده، وهي الفرائض كلها فمن الكرم تؤدي الفرائض ومن الجود تكون النوافل.

ياقوتة في السخاء

هو العطاء على قدر الحاجة وهو من اسمه الحكيم، وهو قول موسى عليه السلام ﴿ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾^(٩٠) وقوله تعالى ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾^(٩١) ﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾^(٩٢) ﴿ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾^(٩٣) وأما سخاء العبد: فإعطاؤه كل ذي حق حقه، فلنفسه عليه حق، ولأهله عليه حق ولزوجه عليه حق.

ياقوتة في الحوض

وأما طلب العوض ﴿وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم﴾ (٩٤) ومن العبد ﴿إن أجرى إلا على الله﴾ (٩٥) .

ياقوتة في العطاء

عطاء المحسن غير عطاء المؤمن والمسلم، فعطاء المحسن لا يتقيد بل يعم جميع الخلق فلا يشترط فيه صغيرا ولا كبيرا، ولا ذكرا ولا أنثى، ولا غنيا ولا فقيرا، ولا مؤمنا ولا كافرا، ولا عاقلا ولا مجنونا، تخلقا باسمه المعطى والمحسن والرب والرحمن، فالله لا يفرق في العطاء بل يعطى جميع خلقه، فيعطى العطاء لأول من يلقاه فإن رده عليه حينئذ أعطاه للثاني .

وأما إن كان العطاء مقيدا فهو بحسب ما تقيد به فحكم ذلك راجع إلى حكم الشرع فيعمل الأولى ويبتدىء بالذى أمره الشارع أن يبتدىء به ويبحث عنه حتى يجده .

ياقوتة في الكلام

إن الكلام عبارات وألفاظ وقد تدوب إشارات وإيماء
لولا الكلام لكنا اليوم في عدم ولم تكن ثم أحكام وأنباء
فأول كلام شق أسمع الممكنات كلمة: «كن»، فما ظهر العالم
إلا عن صفة الكلام، وهو توجه نفس الرحمن على عين من الأعيان
في حضرة العدم فينفع ذلك العين ويخرج إلى الوجود على حسب
مايراد منه.

والكلام من الكلم وهو الجرح لأنه يؤثر في جسم المجروح فكذلك
الكلام فلا بد لكل متكلم من أثر في نفس من كلمه، والله تعالى وحده
هو الذي إذا توجه إلى عين بكلام فلا يملك هذا العين إلا أن ينفع
لكلامه ويطيع مقصوده فيه، أما غيره فلقد قال الله لرسوله ﷺ وهو
من هو ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ (١٦) فإنه قال للكافرين قولوا
لا إله إلا الله فما امتنع المأمور وإنما الممتنع لا إله إلا الله فإن هذا
اللفظ هو المأمور أن يكون في هذا المحل، فلو تكون في محل هذا
الشخص لظهر عينه وأعطاه اسم الاسلام كما أن هذا الشخص لما قال
له الحق: «كن»، وهو في العدم لم يتمكن له إلا أن يكون ولا بد فمعنى
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ (١٧) أي أنك لا تقدر على من تريد أن
تجعله محلا لظهور ماتريد إنشاءه فيه أن يكون محلا لوجود انشاءك
فيه، فليس كل متكلم في الدنيا بإلهي مطلق، لكن له الإطلاق فيما
يريد أن ينشئه في نفسه لا في غيره.

ياقوتة في القيومية

من لا تنام له عين وليس له قلب ينام فذاك الواحد الأحد
مقامه الحفظ والأعيان تعبد له ولا يقيد طبع ولا جسد
ومقام القيومية للخلق فيه تخلق، قال تعالى ﴿الرجال قوامون
على النساء﴾ (٦٨) ومنه مقام السهر، ومن تنام عينه ولا ينام قلبه هو
صاحب هذا المقام فيحفظ العبد بسهر قلبه ذاته الباطنة كما يحفظ
بسهر عينه ذاته الظاهرة، وهذه صفة قطب الوقت الذي يحفظ الله به
الكون من صفته الحفيظ، وهذا القطب إذا سهر سهر بعين الله وعين
الله حافظته.

ياقوتة في النوم

هو حالة تنقل العبد من مشاهدة عالم الحس إلى شهود عالم
البرزخ، وهو أكمل العوالم يجسد المعاني ويجعل مالا صورة له يجعل
له صورة ويجعل ما ليس قائما بنفسه قائما بنفسه ويرد المحال ممكنا،
فإذا كان له كل هذا الإطلاق وهو خلق مخلوق لله فما ظنك بالخالق
سبحانه، وكذلك يأتي تعالى بأعمال العباد، وإن كانت أعراضا صورا
قائمة توضع في الموازين لإقامة القسط، ويؤتى بالموت مع أنه نسبة

فى صورة كبش أملح يريد فى منتهى الوضوح فيعرفه جميع الناس وكذلك نعيم الجنان فى فاكهة لا مقطوعة ولا ممنوعة فهى كما قال تعالى ﴿ لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾^(١١) فإن الله جاعل فيها رزقا يسمى قطفًا وتناولًا وهى فى أماكنها، كما جعل للجن فى العظام رزقا وما نرى ينقص من العظم شئ، ونحن بلاشك نأكل من فاكهة الجنة قطفًا دائية مع كون الثمرة فى موضعها من الشجرة، لا كما قال المفسرون فى هذه الآية، وذلك لأنها دار بقاء لما يتكون فيها لا دار فناء وإعدام، وكذلك سوق الجنة ندخل فى أى صورة شئنا من صور السوق مع كوننا على صورتنا لا ينكرنا أحد من أهلنا ولا من معارفنا ونحن نعلم أن قد لبسنا صورة جديدة تكوينية مع بقائنا على صورتنا فأين العقول والمعقول هنا.

والنوم صفة نزه الله نفسه عنها ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾^(١٢) وذلك حال أهل الجنة فى الجنة فإنهم لا ينامون.

ياقوتة فى الخوف

منهم من يخاف الحجاب، ومنهم من يخاف رفع الحجاب، يخاف الحجاب لأنه أشد العذاب، ويخاف من رفع الحجاب لأنه

يخاف لو رفع الحجاب لذهبت عينه فلم يحط برؤية الجمال المطلق
«لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه»

الليل إن وصلت كالليل إن هجرت أشكو من الطول ما أشكو من القصر
فمقام الخوف هو مقام الحيرة، ومن خاف من غير هذا فهو حال
لا مقام، فإن المقام هو ماله قدم راسخ في الألوهية، والحال إنما يأتي
ويزول بزوال حكم ما تعلق به.

فأهل النار محجوبون ولكن عن ربهم، والرب هو المربى الذى
يعلم مصلحة من يربيه فهو المربى والمصلح فما حجبهم عنه
إلا ليصلحهم.

ولما وقف ﷺ على مقام الخوف أداه إلى أن طلب أن يكون نورا
«اجعلنى نورا، فكأنه يقول اجعلنى أنت ﴿الله نور السموات
والأرض﴾ (١٠١) حتى أراك بك فلا تذهب عيني برؤيتك لكن أندرج
فيك كما قال النابغة.

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب
وما ذهب لها عين وما ظهر لها عين

لما تعلق علم الخوف بالعدم لم أخش منه فحزنا رتبة القدم
أنا الوجود فلا خوف يصاحبني لأن ضدى منسوب إلى العدم
إن الذى خفت منه لا وجود له فاترك مخافته لحما على وضم

ياقوتة في الرجاء

مقام مخوف يحتاج صاحبه إلى أدب حاضر ومعرفة ثابتة، وهو مقام عن جانب الطريق ما هو في نفس الطريق، تحته مهواة سحيقة عميقة ولا ينبغي أن يظهر سلطانه إلا عند الاحتضار، وأما في حال الحياة فيستوى مع الخوف، قال تعالى «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا» وليظن بنفسه شرا فيستوى الخوف والرجاء، أما عند الموت فهو مشغول بربه فلا يبقى إلا ظن الخير وهو من المقامات المستصعبة في الدنيا والآخرة، وقد يتعلق الرجاء بتحصيل شيء كقول رسول الله ﷺ «فيقول لو كان لي مثل هذا العامل من الخير لفعلت مثل ما فعل فهما في الأجر سواء» فهذا قد فاته العمل وجنى ثمرته بالتمنى وربما زاد على صاحب العمل فإن العامل مسئول ﴿ ليسأل الصادقين عن صدقهم ﴾ (١٠٢) وهذا غير مسئول لأنه ليس بعامل ولا يكون هذا إلا لمن لم يعطه الله أمنيته من الخير الذي تمنى العمل به فإن أعطاه ما تمناه من الخير فليس له هذا المقام ولا هذا الأجر، وليس الكلام هنا عن رجاء العاصين في رحمة الله ذلك رجاء آخر.

أما مقامنا هذا فهو مقام عبد شهد ضعف عبوديته في عدم الوفاء بما تستحقه الألوهية في قوله تعالى ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ (١٠٣) هذا من جهتنا، وأما من جانب ما تستحقه الربوبية على العبودية فقله ﴿ اتقوا الله حق تقاته ﴾ (١٠٤) وهو مقام صعب فمن ترك الرجاء فقد ترك نصف الإيمان، فالإيمان نصفان: نصف خوف،

وبصف رجاء وكلاهما متعلقهما عدم، فإذا أصبح العبد صاحب شهادة وهو أعلى من الإيمان إذ أنه شهد وآمن به والشهادة علم والإيمان تقليد والتقليد يناقض العلم إلا أن يكون المخبر معصوما وليس بينك وبينه واسطة في إخباره وهذا لا يكون اليوم إلا عند أهل الكشف والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين هم وأهل الكشف سواء فهم علماء غير مقلدين إذ أنهم سمعوا شفاها من الرسول ﷺ ما لا يحتمله التأويل.

فاجعل دليلك ربك على الأشياء، فإن كنت كذلك كنت صاحب علم.

ياقوتة في الصبر

يقول تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (١٠٥) فأخبر أنه يؤذى فتسمى سبحانه بالصبور على أذى خلقه، والصبر: هو حبس النفس عن الشكوى إلى غير الله والركون إلى ذلك الغير، وليس الصبر حبس النفس عن الشكوى إلى الله تعالى فإنه تعالى قد سأل عباده أن يرفعوا أذاهم عنه، مع أنه قادر على أن لا يخلق فيهم ما خلق من الأذى، وورد أنه: لا أحد أصبر على أذى من الله وهو من المقامات التي تزول بدخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، والصبر الإلهي يزول حكمه بزوال الدنيا، وهذه بشرى بإزالة اسم المنتقم،

والشديد العقاب، إذ قد رأينا إزالة الصبور ورحمته سبقت غضبه فبإزالة الدنيا زال الأذى عن كل من أودى، ومن أسباب العقاب الأذى والأذى قد زال فلا بد من الرحمة وارتفاع الغضب، فلا بد من الرحمة أن تعم الجميع بفضل الله وهذا ظننا في الله وهو قال: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا، فأخبر وأمر ولم يقيد في حق الظان ولا غيره.

والصبر أنواع، الصبر في الله إذا أودى فيه، والصبر مع الله إذا رأى المعذب في العذاب، والصبر على الله حال فقدته لربه بوجود نفسه، والصبر بالله أن يكون الحق عين صبره كما هو سمعه وبصره، والصبر من الله حال رفع الحول والقوة منك، والصبر عن الله وهو أعظمها مقاما، وهو الصبر الذي يزول بالموت، وصاحب هذا الصبر ينسب الصبر إليه نسبة الاسم الصبور إلى الله ولهذا يرتفع بزوال الدنيا فهو لاء أخذوا الصبر عن الله كما تقول أخذت هذا العلم عن فلان فأنت فيه كهو.

أما الصبر المعروف عند العامة ففيه مقاومة للقهر الإلهي وسوء أدب مع الله إذ أنه تعالى لم يبتل عباده إلا ليتضرعوا إليه ويسألوه رفع ما ابتلاهم به من البلاء عنهم، قال بعضهم وقد بكى حين أخذه الجوع إنما جوعني لأبكي، فهو يبكي له فإن الأكابر لا يحبسون نفوسهم عن الشكوى إلى الله، فإذا مدح الله الصابرين فهم الذين حبسوا نفوسهم عن الشكوى لغير الله ألا ترى إلى عالم العلماء عليهم السلام يقول إذا سألتكم الله فسلوه العافية، وهي من عفى الأثر إذا ذهب، فالعافية تذهب بالبلاء وأثره.

ياقوتة في المراقبة

﴿وكان الله على كل شيء رقيباً﴾ (١٠٦) وهو نعت إلهي لنا فيه شرب، وهو قوله تعالى ﴿ولا يؤده حفظهما﴾ (١٠٧) فالمراقبة الأولى مراقبتنا للأشياء هي عين مراقبتنا إياه إذ أنه الظاهر في المظاهر فمنهم من قال: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله وآخر بعده وآخر معه وآخر فيه، والمراقبة الثانية: مراقبة الحياء ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ (١٠٨) فهو يراقب رؤيته وهي تراقبه فهو يراقب مراقبة الحق إياه فهذه مراقبة المراقبة، والمراقبة الثالثة: أن يراقب قلبه ونفسه الظاهرة والباطنة ليرى آثار ربه فيها فيعمل بحسب ما يراه من تلك الآثار وكذلك يراقب الموجودات الخارجة عنه ليرى آثار ربه فيها منها ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ (١٠٩).

قال رسول الله ﷺ «إن للدنيا أبناء، وإذا كان لها أبناء فهي أم لهؤلاء الأبناء، ومن عادة الأم أن ترقب أبناءها لأنها المربية لهم، ولهم عليها حنو الأمومة والحذر عليهم أن تؤثر فيهم ضررتها وهي الآخرة فيميلون إليها، وهي خائفة أن تأخذهم الضررة الآخرة فإن الدار في هذا الوقت للدنيا والحكم لها، وكما أن الدار الدنيا لا تعترض الدار الآخرة إذا انتقل الناس إليها، فالدنيا أنصف من الآخرة فإنها في دار سلطانها وإذا جاءت الآخرة وكان يومها لا تعترض الدنيا ولا تزاحم الآخرة.

قال قتادة رضي الله عنه: ما أنصف أحد الدنيا، ذمت بإساءة المسئ فيها، ولم تحمد بإحسان المحسن فيها، فلو كانت بذاتها تعطى القبح والسوء ما تمكن أن يكون فيها نبي مرسل ولا عبد صالح.

كيف وقد وصفها الله بالطاعة، وقال: ﴿أَنْ الْأَرْضُ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١١٠) والصالح لا يرث إلا المال الصالح، قال رسول الله ﷺ: «إذا قال أحدكم: لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه، فهذا ابن عاق لها كيف لعنها والدنيا من حنوها على أبنائها لم تقدر أن تلعن ولدها! فقالت: لعن الله أعصانا لربه فما قدرت أن تسميه باسمه مع أنه صرح باسمها فهذا حنو الأم وشفقتها على ولدها، وقال رسول الله ﷺ: «نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر، فوصفها بالمطية التي تهرب بهم من الشرور وتزين لهم الخير وتشوقهم إليه فهي تسافر بهم وتحملهم من موطن الشر إلى موطن الخير وذلك لشدة مراقبتها إلى ما أنزل الله فيها من الأوامر الإلهية المسماة شرائع فتحب أن يقوم بها أبنائها ليسعدوا.

فينبغي لأهل المراقبة أن يكون بدؤهم في الدخول لاكتساب هذه الصفة أن يرقبوا أحوال أمهم، لأن الطفل لا يفتح عينيه إلا على أمه فلا يبصر غيرها فيحبها طبعاً ويميل إليها أكثر مما يميل إلى أبيه لأنه لا يعقل سوى من يريه وبأفعالها ينبغي أن يقتدى، وبذلك يصعب عليها أن يكون أبنائها ينسبون إلى الآخرة وما ولدتهم ولا تعبت في تربيتهم، ثم بعد ذلك ينسب الناس ما هم عليه من الشرور إليها وهي أحوالهم ما هي أحوال الدنيا، ونسبوا أعمال الخير إلى الآخرة وهي أحوالهم ما هي أحوال الآخرة فمن عرف الدنيا فقد عرفها ومن جهلها فهو بالآخرة أجهل، وأهل الكشف إذا كوشفوا

الافتخار به، ولذا قيل في الأرض ذلول لأن الأذلاء يطأونها، فالعبد مع الحق في حال عبوديته كالظل مع الشخص في مقابلة السراج كلما قرب من السراج عظم الظل ولا قرب من الله إلا بما هو لك، وإذا عرف التلميذ من الشيخ أنه عبد الله تام العبادة فقد فتح الله على ذلك التلميذ بما فيه سعادته فإنه يتجرد إلى جانب الحق تجرد الشيخ، فإنه عرف منه واتكل على الله لا عليه وبقي ناظرا في الشيخ ما يجرى الله عليه من الحال في حق ذلك التلميذ من نطق بأمر يأمره به أو ينهاه أو يعلم يفيدته فيأخذه التلميذ من الله على لسان الشيخ، ويعلم التلميذ في نفسه من الشيخ ما يعلمه الشيخ من نفسه أنه محل جريان أحكام الربوبية حتى لو فقد الشيخ لم يقدّمه عند ذلك التلميذ كأبي بكر الصديق رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ حين مات ما بقي أحد إلا اضطرب إلا أبا بكر فما تغير لما وقر في قلبه من سر العبادة لله تعالى فظهر حكم ذلك السر في ذلك اليوم، فصاحب مقام العبادة يسرى ذوقه في كل ما سوى الله أنه عبد وأنه محل جريان تعريفات الحق له فيفتقر إلى كل شيء فإنه ما يفتقر إلا إلى الله.

إذا صحت عبادة كل عبد	تصح له السيادة في الوجود
فيحكم مثل سيده وتبدو	عليه بذاك أعلام المزيد
ويخبرنا لسان الحال عنه	بأن الأمر فيه من الشهود
له تعنو الوجوه إذا تبدى	كما عنت الملائك بالسجود
فيسمورفعة ويذل عزا	فيدعى بالمراد وبالمريد

وطالعوا أحوال الآخرة فليست تلك الآخرة على الحقيقة، وإنما هي الدنيا أظهرها الله لهم في عالم البرزخ بعين الكشف أو النوم في صورة ما جهلوه منها في اليقظة فيقولون رأينا الجنة والنار والقيامة فذلك الذي رأوه هو حال الدنيا التي خلقها الله عليها من الخير والطاعة، ومعلوم أن القيامة ما هي موجودة الآن فإذا رؤيت في الحياة الدنيا فما هي إلا قيامة الدنيا وجنة الدنيا، ولذا قال عليه السلام «مُثلت لى الجنة فى عرض هذا الحائط، والحائط من الدار الدنيا وتمثل الشئ ما هو عين الشئ بل هو شبهه، وقال متمدحا ﴿والله ملك السموات والأرض﴾»^(١١) وهما للدار الدنيا.

فراقبوا الله عباد الله مراقبة الدنيا أبناءها فهي الأم الرقوب، وكونوا على أخلاق أمكم تسعدوا.

فإن راقبت فاعلم من راقبت فما زالت عنك ولا عرفت سوى ذاتك.

ياقوتة فى العبودية

العبودية نسب إلى العبودية والعبودية مخصصة من غير نسب ولذا لم تأت ببياء النسب، فأذل الأذلاء من ينتسب إلى ذليل على جهة

والحاصل أن صحبة من يوصل إلى الله ما هي إلا صحبة الله والنظر إلى العارف بالله فإنما هو النظر إلى الله إذ لم تبق فيه بقية عليه لغير الله فصار نورا محضا من نور الله فهو في مقام العبادة، وفي الحديث «إن لله رجالا من نظر إليهم سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا» وفي الحديث: «لا تمس النار مسلما رآني ولا من رأى من رآني، ولا تصح العبادة المحضة التي لا يشوبها ربوبية إلا للإنسان الكامل».

إذا جهات أرواحنا علم ذاتها	فذلك موت والجسوم قبور
وإن علمت فالحشر فيها محقق	وكان لها من أجل ذاك نشور
فما العالم إلا بين نور وظلمة	وكل كلام دون ذلك زور

ياقوتة في الولي

نعت إلهي وهو للعبد خلق لا تخلق ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ (١١٢) سرى في كل ما ينسب إليه الألوهية مما ليس بإله ولكن لما تقرر في نفس المشرك أن هذا الحجر أو هذا الكوكب أو ما كان من المخلوقات أنه إله وهو مقام محترم لذاته تعين على المشرك احترام ذلك المنسوب إليه لكون المشرك يعتقد أن تلك النسبة إليه

صحيحة، ولما علم الله سبحانه أن المشرك ما احترم ذلك المخلوق إلا لكونه إلها في زعمه نظر الحق إليه لأنه مطلوب، فإذا وفي بما يجب لتلك النسبة من الحق والحرمة وكان أشد احتراما لها من الموحد وتراءى الجمعان كانت الغلبة للمشرك على الموحد، إذ كان معه النصر الإلهي لقيامه بما يجب عليه من الاحترام لله وإن أخطأ في النسبة وقامت الغفلة والتفريط في حق الموحد فلم تتعلق به الولاية لأنه غير مشاهد لإيمان فالله يقول ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ (١١٣) فأى شخص صدق في احترام الألوهية واستحضرها وإن أخطأ في نسبتها ولكن هو مشهوده كان النصر الإلهي معه غير إلهية على المقام الإلهي، فإنه العزيز الذي لا يغلب فما جعل نصره واجبا عليه للموحد وإنما جعله للمؤمن بما ينبغى للألوهية من حرمة، فالولاية من الله عامة في مخلوقاته من حيث ما هم عبيده وبهذه الولاية تولاهم في الإيجاد، ولما كان متعلق الولاية المؤمنين لذلك أشهدهم على أنفسهم ﴿ألسن بربكم﴾ (١١٤) ولم يقل لهم ألسن بواحد لعلمه بأنه إذا أوجدتهم أشركوا ووجد بعضهم واجتمعوا في الإقرار بالربوبية وزاد المشرك الشريك، ثم إنه سبحانه من عموم ولايتهم أن تولاهم بالوجود في أعيانهم ويحفظ الوجود عليهم وتولاهم بما رزقهم مما فيه قوام عيشهم ثم تولاهم بإنزال الشرائع فلم يتول تعالى إلا المؤمنين، وما ثم إلا مؤمن والكفر عرض.

أما الرسل فرسالتهم غير ولايتهم فالرسل من حيث هم رسل لا من حيث هم أولياء وعارفون على مراتب ما هي عليه أمهم فما

عندهم من العلم الذى أرسلوا به إلا قدر ما تحتاج إليه أمة ذلك الرسول لا زائد ولا ناقص فتفاضل الرسل فى علم الإرسال بتفاضل أممها ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾ (١١٥) والرسالة لا تستصحب الرسول بعد موته إنما تصحبه نبوته ومعرفته وولايته، أما تفاضل الأنبياء فبحسب استعدادهم فى المعرفة والنبوة ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ (١١٦)، أما الخلق فقال تعالى فيهم ﴿والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق﴾ (١١٧) والرزق منه ما هو روحانى كالعلوم وحسى كالأغذية، فالولاية لم تنقطع أما نبوة التشريع أو الرسالة فمنقطعة، وفى محمد ﷺ قد انقطعت فلا نبى بعده يعنى مشرعا أو مُشرعا له، وإلا فإن عيسى عليه السلام نازل لا محالة وهو نبى ورسول ولكنه على شرع محمد ﷺ ولا يأتى بشرع جديد.

والله تعالى ما تسمى بنبى ولا رسول ولكنه تسمى بولى ﴿الله ولى الذين آمنوا﴾ (١١٨) ﴿هو الولى الحميد﴾ (١١٩) ولكن رحمة بعباده أبقى للناس النبوة العامة التى لا تشريع فيها، وأبقى لهم التشريع فى الاجتهاد فى ثبوت الأحكام وهى وراثه سليمانىة حيث أعطيت هذه الأمة رتبة سليمان عليه السلام ﴿ففهمناها سليمان﴾ (١٢٠) وأبقى لهم الوراثة فى التشريع فقال: «العلماء ورثة الأنبياء، فإذا رأيت النبى ﷺ يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو ولى وعارف قال رسول الله ﷺ «من سن سنة حسنة، فلا شك أن الشرع قد أباح له أن يسن سنة حسنة» فله أجرها وأجر من عمل بها، وهو من جملة

ما ورث من الأنبياء، وكيف ينكرون ذلك وهم يثبتون حكم المجتهد إذا أخطأ وله أجر وقد أقره الشرع وهو حكم شرعى مقبول.

﴿الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ (١٢١)
أى: من العلم بهم إلى العلم به.

وولاية العبد ربه فى قوله ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ (١٢٢)
وكذا فيها ولاية الرب لعبده.

ياقوتة فى الملائكة

اعلم أن الملائكة ثلاثة أصناف، صنف مهيم: تجلى لهم فى اسمه الجميل فهمهم وأفناهم عنهم فلا يعرفون نفوسهم ولا من هاموا فيه ولا ماهيمهم فهم سكارى، والصنف الثانى: الملائكة المسخرة حجبهم الله عن هذا التجلى الذى هيم أصحابهم وهذا الصنف لهم نصرة للمؤمنين إذا أذنبوا وتوجهت عليهم أسماء الانتقام الإلهية ﴿يستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلم﴾ (١٢٣) مازادوا على ذلك تأديبا مع الغيرة الإلهية وتعرضا لله تبارك وتعالى بأن رحمته وسعت كل شئ، وأما نصرتهم بالدعاء لمن

والتاليات والمرسلات والناشرات والفارقات والملقيات والنازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات والمقسمات.

والصنف الثالث: ملائكة التدبير وهم الأرواح المدبرة أجسام العالم المركب، وهذه المدبرة هي النفوس الناطقة وولايتها هي نصرتها لله فيما جعل في أخذها به سعادتها وسعادة جسدها الذي أمرت بتدبيره، ومن هذا النوع من الملائكة السياحون في الأرض يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلس ذكر نادى بعضهم بعضا هلموا إلى بغيتكم وذلك لأنهم خلقوا من أنفاس الذاكرين.

ياقوتة في الله جل جلاله

عن أبي رزين العقيلي رضى الله عنه، قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ قال: كان في عماء ما تحته هواء ومافوقه هواء وخلق عرشه على الماء.

رواه الترمذي وابن ماجه بسند حسن

لما شاء الحق سبحانه وتعالى من حيث أسمائه الحسنى التى لا يبلغها الإحصاء أن يرى أعيانها، وإن شئت قلت أن يرى عينه فإن رؤية الشئ نفسه بنفسه ما هى مثل رؤيته فى أمر آخر يكون له

تاب منهم فهو قولهم ﴿فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾ (١٢٤) فصرحوا بذكرهم لما كان هؤلاء قد قاموا في مقام القرب الإلهي بالتوبة وقرعوا بابها ولما عرفت الملائكة أن هناك منزلة متوسطة بين الجنة والنار تسمى الأعراف فقالت الملائكة بعد قولهم وقهم عذاب الجحيم ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم﴾ (١٢٥) أى لا تنزلهم في الأعراف ﴿ومن صلح﴾ (١٢٦) الواو بمعنى مع ﴿إنك أنت العزيز الحكيم﴾ (١٢٧) تأدبا مع الله إذ أنهم قالوا ﴿إن الله هو الغفور الرحيم﴾ (١٢٨) لأن المقام مقام قبض وعذاب، ثم نصرتهم لمن في الأرض بغير تعيين مؤمن من غيره ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ (١٢٩) فدخل المؤمن وغيره في هذا الاستغفار ثم إن الله تعالى بشر أهل الأرض بقبول استغفار الملائكة بقوله ﴿ألا إن الله هو الغفور الرحيم﴾ (١٣٠) فنعم الإخوان لنا، أما نصرهم المؤمنين في القتال فإنهم ينزلون العدد أما في بدر خاصة فإنهم قاتلوا مع المؤمنين ﴿وما جعله الله إلا بشرى لكم﴾ (١٣١) إذ أن الله أنزل الملائكة الذين قالوا ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ (١٣٢) فأنزلهم في يوم بدر فسفكوا الدماء حيث عابوا آدم بسفك الدماء فنصرونا على الأعداء بما عابوه علينا، إنما وقع الغلط عندهم في استعجالهم بهذا القول من قبل أن يعلموا حكمة الله في هذا الفعل.

وملائكة مسخرون في إنزال الوحي ومصالح العالم من هبوب رياح، ونشء سحب، وإنزال مطر، إذ كانوا الصافات والزاجرات

كالمرآة، وقد كان الحق تعالى أوجد العالم كله وجود شبح مسوى لا روح فيه فكان كمرآة غير مجلوة فكان آدم هذا الإنسان الكامل هو عين جلاء مرآة العالم.

رواه الترمذى بسند حسن

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال
«المؤمن مرآة المؤمن»

رواه البزار والطبرانى فى الأوسط

والضياء والقضاى بسند حسن

ورواه البخارى فى الأدب وأبو داود عن

أبى هريرة وقال العراقى إسناده حسن

والمؤمن اسم من أسمائه سبحانه وتعالى فالحق تعالى يرى صورته فى الإنسان الكامل.

عن عوف بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال
«الأبدال فى أهل الشام فيهم تنصرون وبهم ترزقون» والناصر والرازق هو الله تعالى ولذلك عبر عن الإنسان الكامل بمرآة الحق وهو معنى قوله تعالى ﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾ (١٣٣).

وكما أن ذات الله تعالى خفيت عن الأبصار فقد خفيت عن الأفكار والعقول والملائكة، وإن الملائكة الأعلی ليطالبونه سبحانه وتعالى كما يطلبه غيرهم ونحن مطالبون بالعلم بتوحيده لا بتذاته ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ (١٣٤).

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) وإن الله تعالى قال: من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضته عليه وما زال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإذا سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيزنه.

رواه البخارى

فالكامل منا له نافلة وليس للملائكة نافلة فهم عبيد اضطرار ونحن عبيد اضطرار من فرائضنا، وعبيد حب واختيار من نوافلنا، فالكامل منا يبلغ أن يكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه فحينئذ يتعرف على الله بالله لا بنفسه إذ أنه تعالى لا يعرفه إلا هو.

والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فأمرنا أن نشرع فى العمل على الحجاب حتى نراه فنرى العمل صادرا منه فينا ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ (١٣٥) ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ (١٣٦) فلما أحب الحق تعالى أن يعرفه خلقه وعلم ضعفهم عن ذلك تجلى لهم فى أول حضرة من الحضرات وهى حضرة أسمائه وصفاته فعرفهم نفسه بصفات يعرفونها وجعل بيننا وبينه حجابا وبرزخا فى هذا البرزخ بصفات القديم كالعلم والقدرة والغنى، فإذا تخطينا هذا البرزخ يسمى نفسه بصفات الحوادث حتى نعرفه ونأنس به كصفة الفرح والتبشيش والاتيان والنزول والسمع والبصر والحلم وغيرها من صفات البشر بل ويتودد إلينا ويستقرضنا ويستحى من الشيخ الكبير ونتسمى

نحن فى هذا البرزخ بصفات القديم كالعلم والقدرة والغنى فإذا تخطينا هذا البرزخ فالخلق خلق وحقٌ وإلا فالله تبارك وتعالى جلت صفاته وتزهت عن إدراك عقولنا لكمالها لأننا صنعة الله ولا يمكن لصنعة أن تدرك صانعها.

ثم ألقى الله تعالى من نور هذه الأسماء على خلقه فانفعلت لها الأكوان جميعا، فمن المخلوقات من تحمل اسما واحدا كالجمادات كانت عدما فأوجدها باسمه الخالق، ومنها من تحمل اسمين ومنها ثلاثة فالحيوانات خلقها ورزقها وقدرها وأمدّها بسمع وبصر بأسمائه تعالى الخالق القادر الرزاق السميع البصير، ولم يكن فى مقدور مخلوق أن يتحمل الإمداد بجميع أسمائه تعالى إلا الإنسان وهذه هى الأمانة فى قوله تعالى ﴿إنا عرضنا الأمانة﴾ (١٣٧) وليست الأمانة هى التكاليف لأن الجن مكلفون، أما الذى حمل الأمانة فى الآية الإنسان فقط ﴿وحملها الإنسان﴾ (١٣٨) فمن حملها عرضا فقد هلك ومن حملها من الإنسان جبرا فهو مؤد لها على كل حال، فهذه هى أمانة الخلافة عن الله ﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ (١٣٩) فهذا الإنسان الكامل الخليفة عن الله، هو الذى تخلق بأسمائه تعالى على ما ينبغى أن يكون التخلق وعلى أعلى كمال فى المتخلق، وعندما تظهر بوادر العصيان من الرعية على هذا الخليفة ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ (١٤٠) فإنه يسألهم عن علمهم بالأسماء التى يجب أن يتخلق بها الخليفة عن الله فلا يجيبون فيظهر علمه وعجزهم، ولكن تبقى فيهم بعض روائح الغبطة بلغة

حسن الظن فيأتي هذا الملك بوزرائه المقربين ويأمرهم بالسجود لهذا الخليفة فيسجد الجميع طاعة للأمر وإذعانا للمقام، ثم من لم يسجد طُرد ولعن فعندئذ تتحقق لهذا الخليفة المعظم السيادة والتقدم بلا شريك ولا منازع في خلافته.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «خلق الله آدم على صورته»

متفق عليه

أى: هو الوحيد الذى تخلق بأخلاق الحق جميعا، فكان الحق جميع قواه فإذا نظرت إلى هذا الإنسان الكامل ذكرت الله تعالى، فهذه النشأة الإنسانية بكمالها روحا وجسدا ونفسا خلقها الله تعالى على صورته ﴿ليس كمثله شئ﴾^(١٤١) أى: ليس مثل مثله شئ وليس مثله إلا من خلقه على صورته فليس كمثله الله شئ، وليس مثل هذا الإنسان شئ.

فلا يتولى حل نظامها إلا من خلقها ألا ترى من وجب عليه القصاص كيف شرع لولى الدم أخذ الفدية أو العفو، ألا ترى إذا كان أولياء الدم جماعة فرضى واحد بالدية أو عفا عنها وباقي الأولياء لا يريدون إلا القصاص كيف يراعى من عفا ألا تراه الله يقول فى صاحب النسعة «إن قتله كان مثله، وفى القرآن ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾^(١٤٢) فجعل القصاص سيئة أى يسوء مع كونه مشروعا ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾^(١٤٣) لأنه على

صورته فأجره على من هو على صورته، وما ظهر تعالى بالإسم الظاهر إلا بوجوده فمن راعاه إنما يراعى الحق، وما يذم الإنسان لعينه ولكن لفعله وفعله ليس عينه .

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بما هو خير لكم وأفضل من أن تلقوا عدوكم فتضربوا رقابهم ويضربوا رقابكم ذكر الله،

رواه أحمد والترمذي والحاكم ومالك في الموطأ

وذلك أنه لا يعلم قدر هذه النشأة الإنسانية إلا من ذكر الله الذكر المطلوب منه، فإنه تعالى جليس من ذكره، والجليس مشهود للذاكر ومتى لم يشاهد الذاكر الحق الذي هو جليسه فليس بذاكر فإن ذكر الله سار في جميع العبد لا من ذكره بلسانه خاصة فإن الحق يكون جليس اللسان فقط .

ومع أن داود عليه السلام خليفة وقاتل عن أمر الله، ولكن الله تعالى حرمه من إتمام بيت المقدس لما تلطخت يده من دماء خلقه وإن كان محقا وبإذن .

ويتولى الحق تعالى هدم النشأة بالمسمى موتا وليس بإعدام ولكن يأخذه الحق إليه ويسوى له مركبا غير هذا المركب من جنس الدار التي انتقل إليها، وكما أن هذا الكون شهادة عندنا والله غيب نوؤمن به فإن الله تعالى في خلقه صنائن مجهولين في العالم لا يشهدون في الكون إلا الله لا يعرفون عالما لأنهم لا يشهدونه عالما فهم يشهدون

الحق عينا ويشهدون العلم إيماناً وغيباً، لأن الحق أخبرهم أن ثم عالماً فيؤمنون به ولا يرونه ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم﴾^(١٤٤) ولا شهادة على غائب فهم يشهدونه تعالى أولاً ثم يرون أنوار الإيجاد والإمداد نازلة من أسمائه على شتى المخلوقات وكل يتحمل منها على حسب طاقته وفطرته واستعداده .

فعند أهل الله الحق مشهود والخلق معقول وعند غيرهم العكس، فأهل الله يمشون على طريق يعرفونها ويعرفون غايتها «كنت رجلة التي يمشى بها، فهي في حقهم صراط مستقيم، ومن الناس من يمشى على طريق يجهلها ولا يعرف غايتها، فالعارف يدعو إلى الله على بصيرة وغير العارف يدعو إلى الله على التقليد.

ولما أراد تعالى خلق هذا الخليفة المعظم نفخ فيه من روحه ليصح النسب، وقد صح من جهة الكشف قول رسول الله ﷺ «من عرف نفسه عرف ربه، وفي كتاب «أدب الدين والدنيا» للماوردي عن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل النبي ﷺ من أعرف الناس بربه فقال: «أعرفهم لأنفسه»، فتعين على كل إنسان يحترم إنسانيته أن يتعرف على سر سجود الملائكة وهل غير روحه، فلا يغرنك قول من قال عدم جواز الخوض في الروح وعلومها مدعياً حرمة ذلك لقوله تعالى ﴿قل الروح من أمر ربي﴾^(١٤٥) فإن اليهود لعنهم الله سألوا رسول الله ﷺ عن الروح ﴿يسألونك عن الروح﴾ أي يهود

﴿ قل ﴾ أى قل لهم ﴿ الروح من أمر ربي ﴾ أى عن أمر ربي ﴿ وما أوتيتهم ﴾ أى أيها اليهود ﴿ من العلم إلا قليلا ﴾ (١٤٦) وليس فى ذلك ما يفيد عدم جواز البحث وراء هذا السر العظيم، ومن زعم أن رسول الله ﷺ لا يعرف روحه فقد أعظم الفرية .

كيف وقد نفخ الله تعالى هذه الروح الروحانية فى هذه الجثة الجثمانية للدلالة على وحدانيته وربانيته وذلك من عشرة أوجه :

الأول : أن الهيكل كان مفتقرا إلى مدبر ومحرك وهذه الروح مدبرة ومحركة فعلمنا أن هذا العالم لا بد له من مدبر ومحرك .

الثانى : لما كان مدبر الهيكل واحدا وهو الروح علمنا أن مدبر هذا العالم واحد لا شريك له فى تدبيره وتقديره .

الثالث : لما كان هذا الجسد لا يتحرك إلا بإرادة الروح وتحريكها له علمنا أنه مريد لما هو كائن فى كونه لا يتحرك متحرك بخير أو شر إلا بتقديره وإرادته وقضائه .

الرابع : لما كان لا يتحرك فى الجسد شئ إلا بعلم الروح وشعورها به علمنا أنه لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء .

الخامس : لما كان هذا الجسد لم يكن فيه شئ أقرب إلى الروح من شئ بل هو قريب إلى كل شئ فى الجسد، علمنا أنه تعالى أقرب إلى كل شئ ليس شئ أقرب إليه من شئ ولا شئ أبعد إليه من شئ .

السادس : لما كان الروح موجودا قبل وجود الجسم، ويكون موجودا بعد عدم الجسم علمنا أنه سبحانه وتعالى موجود قبل كون خلقه ويكون موجودا بعد فقدهم مازال ولا يزال وتقدس عن الزوال.

السابع : لما كان الروح في الجسد لا يعرف له كيفية علمنا أنه مقدس عن الكيفية.

الثامن : لما كان الروح في الجسد لا يعرف له أينية علمنا أنه منزّه عن الأينية فلا يوصف بأين، بل الروح موجودة في كل الجسد ما خلا منها شيء من الجسم وكذلك الحق تعالى موجود في كل مكان ما خلا منه مكان وتنزه عن المكان والزمان.

التاسع : لما كان الروح لا يدرك بالبصر ولا يمثل بالصور علمنا أنه لا تدركه الأبصار

العاشر : لما كان الروح لا يحس ولا يمس علمنا أنه تعالى منزّه عن الحس والجسم واللمس.

وهذا معنى من معاني «من عرف نفسه عرف ربه» فإذا أردت أن تتعرف على روحك فقل «الله» في سرك بغير حركة لسان فستجدك قلتها بغير لسان وسمعتها بغير آذان فتلك هي روحك القائلة السامعة «وما حدثت به أنفسها».

رواه الستة عن أبي هريرة

فهو المحدث السامعة حديثها العالمة بما حدثت به أنفسها، وهذا هو ربك المجالس لك «أنا جليس من ذكرني»، وهذا هو مقام الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإذا رأيته ظهر لك في مرآة قلبك باسمه الظاهر فنيت به عن كل كون إذ الحادث لا يثبت لمن وصفه القدم.

فلم تهونى مالم تكن فى فانيا ولم تفن مالم تجتلى فىك صورتى وهذه الروح التى هى أصلك وجوهرك إنما هى نسخة العالم من فرشه إلى عرشه وهى رائحة ربك ونفخته فىك، فإذا عرفتها وتحققت بها فقد عرفت ربك وتحققت به وإنما يدلك على عظمها ماورد من حديث البراء بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا مد البصر» وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة نزل ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر

رواه أحمد بسند صحيح

فتنزل ملائكة مد البصر من أجل روح واحدة حتى تستطيع السيطرة عليها إن كانت كافرة، وحتى تشيعها فى موكب يليق بها إن كانت طيبة، وأنت ماتعرف من ربك إلا قدر ما تعرف من روحك وكل موجود ماله من الله إلا ربه خاصة إذ يستحيل أن يكون له الكل وكل نفس مطمئنة قيل لها ﴿أرجعى إلى ربك﴾ (١٤٧) فما أمرها أن

ترجع إلا إلى ربها الذى دعاها فعرفته من الكل ولم تنظر إلى رب غيره.

وفى القيامة يتجلى ربنا بصورة لا يعرفها الناس فلا يعرفونه وينكرونه ويتعوذون منه، فإذا تجلى لهم فى صورة ربهم الذى يعرفونه عرفوه وأقروه، من هنا قال من قال أما أنا فعرفته وما بقى إلا أن يعرفنى وذلك أن لكل معتقد ربا فى قلبه أوجده فاعتقده وهم أصحاب العلامة يوم القيامة، فما اعتقدوا إلا ما نحتوا ولذلك لما تجلى لهم فى غير صورة ما اعتقدوه بهتوا وأنكروا فهم عرفوا ما اعتقدوا والذى اعتقدوه ما عرفهم لأنهم أوجدوه فى عقولهم وضمايرهم والمصنوع لا يعرف الصانع.

فما فى أحد من الله شئ وما فى أحد من سوى نفسه شئ فأى صاحب كشف شاهد فى كشفه شيئاً فتلك صورة نفسه لا غير فمن شجرة نفسه جنى ثمرة عقله فأنت صورته وهو روحك.

وإن الله تعالى جعل حجاباً بين الجسد والروح تزداد كثافته بالمعاصى وكثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى وكثرة الضحك «فإن كثرة الضحك تميت القلب، ألا إن القلوب لتصدأ، ويرق بكثرة ذكر الله تعالى فتبدأ فى التعرف على روحك التى هى معراجك إلى ربك وكلما رق الحجاب ازداد تعرفك إلى ربك، وملاك الموت يأتى فيرفع هذا الحجاب فتشاهد عينك الباصرة القاصرة ما يهولها من عظمة تلك الروح فيسقط الجسد وتبقى الروح، وما كمن فيها من معرفتك بربك

وهو مقدارك عند ربك وعاليه يكون الحساب ﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ (١٤٨).

والأرواح لا تفاضل بينها من حيث أنها مدبرة ولكن بينها تفاضل كبير في قابليتها للاستقبال النوراني، إذ لا يظهر فيك علامة منه إلا على قدر قبول روحك وصفاء مرآتها، فالفيض الإلهي واسع ومالك منه إلا ما تقبله ذاتك فذاذك حجرت عليك هذا الواسع، فذلك القدر الذي تعرفه هو ربك الذي تعبدته ولا تعرف غيره فتأتي يوم القيامة فيظهر لك بهذه العلامة، فتقول إن ربي ما عودني إلا كذا وكذا ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ (١٤٩) فالؤمن يجد ربه عند حسن ظنه والكافر ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ (١٥٠) ولا يصح أن يكون أحد مع الله، ولكن الله مع كل أحد بما هو عليه ذلك الواحد.

رق الزجاج ورق الخمر وتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وسئل الجنيد عن المعرفة فقال: لون الماء لون إنائه، وهي عبارة غاية في المعرفة والدلالة فهو تعالى السلام للمسلم والمؤمن للمؤمن والمحسن للمحسن، فمن جمع هذه النعوت وظهرت عليه أحكامها تجلى الحق له في كل صورة فلا ينكره حيث تجلى ولا يظهره في المواطن التي يجب أن يخفى فيها، فإن الحق تعالى قد حجب عنا إظهار الحق في مواطن كالغيبه والنميمة وكتم الأسرار وكلها حق ممنوع الظهور في الكون القولي.

والإحسان من الحق رؤية ومن العبد كأنه، والإيمان من الحق والخلق على حقيقته وكذلك الاسلام غير أنه لا يقال في الحق أنه مسلم فما كل ما يدري يقال ولا كل ما يشهد يُذاع، صدور الأحرار قبور الأسرار.

ياقوتة في المعرفة بالله تعالى

اعلم أنه لا يصح العلم لأحد إلا لمن عرف الأشياء بذاته، وكل من عرف شيئاً بأمر زائد على ذاته فهو مُقلد لذلك الزائد، وما في الوجود من علم الأشياء بذاته إلا الله تعالى فعلمه ذاته وما سواه فهو مقلد لذلك الزائد فلنقلد الله تعالى ولا سيما في العلم به .

فالإنسان قد يقلد حواسه فيما يتعلمه بها وقد يقلد عقله والعقل يقلد الفكر، والحواس قد تخدع، والفكر منه صحيح ومنه فاسد فينبغي للعاقل إذا أراد أن يعرف الله فليقلده فيما أخبر به عن نفسه في كتبه وعلى السنة رسله، وإذا أراد أن يعرف الأشياء فلا يعرفها بما تعطيه قواه وما من قوة إلا ولها غلط في أتفه الأشياء فكيف بالله تعالى، فليسع بكثرة الطاعات حتى يكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه

فيكون كالمرآة الصقيلة فينطبع فيها علم لدنى إلهى بالله تعالى فيعرف الأمور كلها بالله وعندئذ لا يدخل عليك شك ولا شبهة ولا جهل ولا ريب فيما عرفت، إذ قد رأينا الحق أخبر عن نفسه بأمور ترددها الأدلة العقلية والأفكار الصحيحة مع إقامة أدلتها على تصديق المخبر ولزوم الإيمان بها، والمعرفة بالله مالها طريق إلا معرفة النفس «من عرف نفسه فقد عرف ربه، فجعل معرفتك بك دليلاً على معرفتك به، إما بطريق ما وصفك بما وصف به نفسه من ذات وصفات وجعله إياك خليفة نائباً عنه فى أرضه، وإما بما أنت عليه من الافتقار إليه فى وجودك وإما الأمران معا.

والمعرفة منحصرة فى العلم بسبعة علوم:

١ - العلم بالحقائق :

وهى العلم بالأسماء الإلهية، وهى أربعة أقسام:

* قسم يدل على الذات، وهو الاسم العلم الذى لا يفهم منه سوى ذات المسمى فلا يدل على مدح ولا ذم ولا نعرف منه إلا الاسم الله أما الضمائر الدالة على الله كهو وأنا وأنت، وإنا، نحن فيجوز الذكر بها نيابة عن الله أو نذكره بها لأنه الذاكر بها على ألسنتنا.

* وقسم يدل على صفات، مثل الحى وهو اسم يطلب ذاتاً موصوفة بالحياة والقادر للموصوف بالقدره والمريد للموصوف بالإرادة والسميع والبصير والشكور وكلها معان قائمة بالموصوف وكل اسم منها له مراتب فليس العالم كالعليم كعلام كخبير كمحصى

كمحيط فكلها مراتب لمن قامت به صفة العلم، والقادر والمقتدر والقاهر كل ذلك تطلبه القدرة.

* وقسم يدل على أسماء أفعال، ومنه الصريح كالمصور ومنه المضممر كقوله ومكر الله.

* والقسم الرابع هي أسماء الاشتراك، كالمؤمن والرب فالمؤمن من البشر هو المصدق والمؤمن تعالى هو معطى الأمان والرب بمعنى السيد والمصلح والمربي وليس في أسماء الله ترادف بل كلها متباينة، فإذا دعى تعالى باسم من هذه الأسماء فيما يقتضيه هذا الاسم أجابه وإلا لم يجبه.

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لهم أدب مع الله تعالى إذ أنهم لا يعرفون ما في نفس الله تعالى ﴿ولا أعلم ما في نفسك﴾ (١٥١) فعدلوا عليهم السلام إلى الدعاء فيما يريدون من الله بغير الاسم الخاص بذلك المراد فإن كان لله في علمه رضى للداعى فيه خير أجاب فى عين ما سئل فيه وإن لم يكن عوض الداعى درجات أو تكفيرا لسيئات، وهذا رسول الله ﷺ دعا الله لأمته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعه إلا إن علم من الله الإجابة فى الوقت فإنه يدعوه بالاسم كقول سليمان عليه السلام ﴿قال رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب﴾ (١٥٢)، وبلغام بن باعوراء دعا بالاسم ولم يكن معه إلا حروفه لأنه لو كان فى قلبه لاستحيا من الله تعالى ثم أنسى حروفه بعد فاستجيب له مع أنه كان معتديا.

٢ - علم التجلى :

التجلى الإلهى دائم لاجباب عليه، فأول ما أخرج الله تعالى مرتبة عدم عدم ثم رحم تعالى عدم فأوجده من عدم عدم فهى مرتبة موجودة غير ظاهرة، وفيها خاطب تعالى جميع الموجودات وإن كانت غير ظاهرة ولقد أوجد الله عدم رحمة به فرحمته وسعت كل شئ وعدم شئ فأوجده تعالى بعد أن كان فى عدم عدم وذلك بعد أن رحم تعالى مرتبة عدم عدم فأوجدها بعد أن كانت فى علمه تعالى فإنه تعالى ما أوجد عن عدم ولكن أوجد وجودا عن وجود ولقد أسمع الله العالم كلامه فى حال عدمه وهو قوله كن فكان مشهودا له سبحانه ولم يكن الحق مشهودا له سبحانه فهو عدم بالنسبة لنا مشهود لله تعالى، وكان على أعين الممكنات حجاب عدم ولم يكن غيره فلا تدرك الموجود وهى معدومة فلما أمرها بالتكوين لإمكانها واستعداد قبولها سارعت إلى ذلك فزال عدم وانصبغ الممكن بالنور، إن الله خلق خلقه فى ظلمة فألقى عليهم من نوره.

رواه الترمذى بسند حسن عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ

فعندما فتح الممكن عينيه وجد عن يساره عدم فتحققه فإذا هو ينبعث منه كالظل المنبعث من الشخص إذا قابله النور فقال ما هذا فقال له النور من الجانب الأيمن هذا هو أنت فلو كنت أنت النور لما ظهر للظل عين، فأنا النور وأنا مذهبه ونورك الذى أنت عليه إنما هو من حيث ما يواجهنى من ذاتك أنك فإن نسبت إلى قبلك وإن نسبت

إلى العدم قبلك فأنت بين الوجود والعدم وأنت بين الخير والشر فلا تنظر إلى نظرا يفنيك عن ظلك فتدعى أنك أنا ولا تنظر إلى ظلك نظرا يفنيك عني، فعين لتشهد ظلك وعين لتشهدني ﴿ألم نجعل له عينين﴾ (١٥٣) ﴿وهديناه النجدين﴾ (١٥٤) طريق النور وطريق الظل.

فعدم العدم ظلمة والعدم ظل لا ظلمة، والتجلى الأول الذى كان للموجودات إنما هو التجلى للأرواح النورانية التى ليست لها هذه الهياكل المظلمة، ولكن لها ظل إمكانها الذى لا يبرح فيها، وهى وإن كانت نورا بما اتصبت به فظلها فيها لا ظهور له عليها وحكمه فيها لا يزول اللهم اجعلنى نورا.

٣ - العلم بخطاب الحق عباده بالسنة الشرائع :

اعلم أن ما عدا الثقلين من كل ما سوى الله تعالى على معرفة بالله ووحى منه وعلم بمن تجلى مفطور على ذلك سعيد كله ﴿ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض﴾ (١٥٥) والله تعالى لما خاطب الناس خاطبهم على قدر عقولهم فذكر لنفسه أمورا لولا أن الشرع جاء بها ماصدقناها فذكر لنفسه العين والرجل والسمع والبصر والغضب، والتردد والتبشيش والتعجب والفرح والضحك والملل والمكر والخداع والاستهزاء والسخرية والسعى والنزول والاستواء والتحديد فى القرب والصبر على الأذى.

حجمه خاصة وبقيت له رتبة كماله فجميع الموجودات قبلت كمالها والإنسان انقسم قسمين، قسم لم يقبل الكمال وقسم قبل الكمال فظهرت فيه الحضرة الإلهية بكمالها وجميع أسمائها، فأقام هذا القسم خليفة وكساه حلة الحيرة فيه فنظرت الملائكة إلى نشأة جسده فقالت ما قالت فلما أخبرهم تعالى بحقائقه وما أودع فيه حارت فيه الملائكة فقالت ﴿ لا علم لنا ﴾ (١٥٨) والحائر لا علم له فأعطاه علم الأسماء الإلهية التي لم تسبحه الملائكة بها ولا قدسته، وغدا يحمد رسول الله ﷺ بمحامد لا يعلمها الآن فإن محامد الله بحسب ما تطلبها المواطن والنشآت، فأعطت نشأة آدم ومن أشبهه من أولاده الأهلية للخلافة في العالم فظهر بأسماء الحق على كثرة تقابلها وحكم بالحق والعدل والله هو الحق والعدل.

فإن أعطى التحكم في العالم فهي الخلافة، فإن شاء تحكم وظهر كعبد القادر الجيلي رضى الله عنه، وإن شاء سلم وترك التصرف لربه في عبادته كأبى مسعود بن الشبلى رحمته الله إلا أن يقترن به أمر إلهي كداود عليه السلام فلا سبيل إلى رد أمر الله وكعثمان رحمته الله الذي لم يخلع ثوب الخلافة عن عنقه حتى قتل لنهى رسول الله ﷺ له عن ذلك.

فكل من اقترن بتحكمه أمر إلهي وجب عليه الظهور به ولا يزال مؤيداً، ومن لم يقترن به أمر إلهي فهو مخير إن شاء ظهر به وإن شاء لم يظهر وترك الظهور أولى فتلحق الأولياء الأنبياء بالخلافة خاصة ولا يلحقونهم في الرسالة والنبوة فإن بابها مسدود.

٤ - العلم بالكمال والنقص في الوجود :

فمن كمال الوجود وجود النقص فيه ﴿ أعطى كل شيء خلقه ﴾ (١٥٦) أى: حتى النقص أعطاه خلقه، فله كمال يليق به وللإنسان كمال يقبله، وعين ما يراه العقل كمالات هو النقص عند الله، وكل نقص إنما هو في مرتبته لا ينقصه شيء، وما كل إنسان قبل الكمال وما عده فكمال في مرتبته لا ينقصه شيء، كمال من الرجال كثير، فما ظهر في العالم نقص إلا في هذا الإنسان وذلك لأنه مجموع حقائق العالم وهو المختصر الوجيز والعالم هو المطول البسيط.

أما العقل فقد جاء بنصف معرفة الله وهو التنزيه وسلب أحكام كثيرة عنه تعالى وجاء الشارع يخبر عن الله بثبوت ما سلب عنه بالعقل بدلالاته فجاء بالأمرين معا ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ تنزيه ﴿ وهو السميع البصير ﴾ (١٥٧) تشبيه وهذا هو غاية الكمال الإلهي.

وخاطب الحواس والخيال بالتنزيه فحارت الحواس والخيال، وخاطب العقول بالتشبيه فحارت العقول، فعلا جل جلاله عن إدراك العقول والحواس والخيال وانفرد سبحانه بالحيرة في الكمال فلم يعلمه سواه ولا شاهده غيره فلم يحيطوا به علما ولا رأوا له عينا، ما هي إلا آثار تشهد وجناب يقصد ورتبة تحمد وإله منزه ومشبه يعبد، هذا هو الكمال الإلهي وبقي الإنسان متوسط الحال في حيرته بين تشبيه وتنزيه فبالإنسان كمال العالم وما كمال الإنسان بالعالم، ولما انحصرت في الإنسان حقائق العالم بما هو إنسان لم يتميز عن العالم بصغر

فالكمال المطلوب الذى خلق له الإنسان إنما هو الخلافة فأخذها آدم عليه السلام بحكم العناية الإلهية لا بشئ آخر، وهو مقام أخص من الرسالة فما كل رسول خليفة فدرجة الرسالة هى التبليغ خاصة ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾ (١٥٩) فإذا أعطى الرسول التحكم فيمن أرسل إليهم بالسيف والقتال والضر والنفع فهذا هو الرسول الخليفة وهذه هى درجة الخلافة والاستخلاف فما كل من أرسل حكم فإن ظهر بالتحكم من غير نبوة فهو ملك وليس بخليفة، فلا يكون خليفة إلا من استخلفه الحق تعالى على عباده فأصبح له الكمال وظهر بسلطان الأسماء الإلهية فيعطى ويمنع ويعز ويذل ويحيى ويميت ويضير وينفع وكان مع ذلك نبيا مرسلا، أما الأولياء أصحاب التصريف فهم خلفاء عن الأنبياء لا عن الله.

وليس الخليفة من أقامه الناس وبايعوه وقدموه لأنفسهم على أنفسهم، فالخلافة قد تكون مكتسبة والنبوة غير مكتسبة، وفى حقيقة الأمر أن الطريق كله مكتسب حتى تصل إلى الباب فإذا وصلت إلى الباب ووقفت عليه فحسب ما استعدت نفسك وتهيات خرج التوقيع وهو اختصاص إلهى محض لا كسب فيه فمنهم من يخرج له توقيع بالولاية، ومنهم من يخرج له توقيع بالنبوة وبالرسالة، وبالرسالة والخلافة ومنهم من يخرج له توقيع بالخلافة وحدها.

وهناك فرق بين الولي والخليفة فالولي يُنصر ولا يُنتصر، والخليفة ينصر وينتصر ويقول الخليفة لأزيدن على السبعين فى

وقت، ويدعوا على رعل وذكوان فى وقت، فالخليفة تختلف عليه الأحوال والولى لا تختلف، الخليفة قد يتهم والولى لا يتهم فأداب الأولياء غضب فى المغضوب عليهم لا رجعة فيه ورضا فى المرضى عنهم لا رجوع فيه والخلفاء آدابهم الرضى فى المرضى عنهم والعفو وقتا والغضب وقتا فى المغضوب عليهم.

٥ - علم الإنسان بنفسه من جهة حقائقه :

اعلم أن الإنسان ما أعطى التحكم فى العالم بما هو إنسان وإنما أعطى ذلك بقوة إلهية ربانية وهى الخلافة، وهى فى الإنسان ابتلاء لا تشريف ولو كانت تشريفا لبقيت معه فى الآخرة ولكنها تنتهى بانتهاء الدنيا، ولما قيل له ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ (١٦٠) فحجرت عليه والتحجير ابتلاء والتشريف إطلاق، فالإنسان هو مجموع حقائق هذا العالم فتعين عليه أن يقوم وحده من حيث هو بعبادة جميع العالم، وإن لم يفعل فما عرف نفسه من جهة حقائقه لأنها عبادة ذاتية فيشاهد جميع حقائقه كلها فى عبادتها كشفا كما هى عليه فى نفسها، فإذا شاهد عبادات حقائقه لم يتمكن من مخالفة أمر سيده فيما أمر به من عبادته بالوقوف عند حدوده فإذا قال سبحانه الله بكله انتقش فى جوهر نفسه جميع ما قاله العالم كله فلو قدرنا العالم كله ما سوى الإنسان غفل عن عبادة الله طرفة عين وكان هذا الإنسان ذاكرة لله قائما بحقه فى تلك اللحظة ناب مناب العالم وسد مسده فجوزى بجزاء العالم كله.

٦ - علم الخيال وعالمه :

وهو علم البرزخ وعلم عالم الأجساد التي تظهر فيها الروحانيات وهو علم التجلى الإلهى فى الصور، روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «..... وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله فى صورة غير صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فى صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه..... فلا بد لمن اعتنى الله به من علامة بها يعرف تجلى الحق من تجلى الملك من تجلى الجان من تجلى البشر إذا أعطوا قوة الظهور فى الصور فجبريل عليه السلام أتى إلى رسول الله ﷺ فى صورة أعرابى ولم يعرف الصحابة أنه جبريل بل لم يشكوا فى أنه أعرابى حتى عرفهم النبى ﷺ لما قال لهم هذا جبريل، وكذا يظهر الحق لعباده يوم القيامة فيتعبدون منه لعدم معرفتهم به فلا بد من العلامة، فالله تعالى لا يتجلى لنا فى الهواء ولكنه يتجلى تعالى فى الصور فيأمرنا بتقبيل الحجر الأسود، ويخبرنا بأنه يمينه ويأمرنا بالصلاة والسجود نحو الكعبة ويقول إنها بيته، ويأمرنا بتعظيم الرسول ﷺ ويقول إن من بايعه إنما بايع الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ (١٦١) ويقول ﴿بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ (١٦٢) والضمير يعود على رسول الله ﷺ، ويقول رسول الله ﷺ أنه «من رآه فقد رأى الحق، والحق اسم من أسمائه

تبارك وتعالى ويقول تعالى ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (١٦٣) والضمير عائد على واحد بعينه فما أرفع رتبة البشر حين أنزل هذا الخليفة منزلته تعالى فأمر ببيعة رسول الله ﷺ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ (١٦٤) أما الحجر الأسود فإنما هو يمينه تعالى فحسب.

قبل فإن يمين العهد في الحجر وأين رتبته من رتبة البشر
 إن المبايع من تعنو الوجوه له الواحد الأحد القيوم بالصور
 إن شاء في ملك إن شاء في بشر إن شاء في شجر إن شاء في حجر
 فما تقيده ذات ولا عرض وماله في وجود الكون من أثر

وصح أنه «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» ومن لم يستح من الناس لم يستح من الله، فترى الله تعالى في عيون الناس إذا نظرت إلينا فحياتنا منهم عين حياتنا من الله، وشكرنا لهم هو عين شكرنا لله تعالى.

وهو علم سوق الجنة فقد صح أن في الجنة سوقا ما فيها إلا الصور يدخل الرجل في أي صورة يشتهيها وهي مع ذلك في السوق، أي: ما خرجت منه وهو مع ذلك على نفس صورته الأصلية يعرفه أهله ومع ذلك يرى الصورة في السوق ما انفصلت ولا فقدت ولو اشتهاها أهل الجنة جميعا لدخلوا فيها وهي على حالها في السوق ما برحت، وهذه الحالة الخيالية هي كما يكون الإنسان في نومه فيرى

نفسه فى صورة غير صورته ويرى نفسه فى صورته فى آن واحد ويرى أنه فى مكانين فى آن واحد، وهذا العالم الذى هو عالم البرزخ يدخله الإنسان بمجرد نومه أو موته فالنوم أخو الموت، والرسول يقول «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» وهؤلاء يخرجون من قبورهم فيقولون ﴿من بعثنا من مردنا﴾ (١٦٥)، فكل حياة بالنسبة لما بعدها نوم ولما قبلها يقظة فهذا هو النائم اليقظان فكيف يكون مستيقظا بقول الرسول وكيف يكون نائما فى نفس الوقت بكلام الله تعالى.

وهو علم ظهور المعانى التى لا تقوم بنفسها مجسدة مثل الموت فى صورة كبش وذبحه ومثل وزن أعمال العباد وهى شئ معنوى، وكإتيان جبريل عليه السلام فى صورة دحية وهو فى نفس الوقت فى صورته فى السماء له ستمائة جناح، وتمثله لمريم فى صورة بشر كذلك، وكروية العلم فى صورة اللبى والدين فى صورة القيد وكروية العصى والحبال فى صورة الحيات تسعى ﴿يخيل إليه من سحرهم﴾ (١٦٦) وفى حضرة الخيال هذه يظهر وجود المحال بل لا يظهر فيها على التحقيق إلا وجود المحال، فأدم عليه السلام فى الحديث رأى نفسه خارج القبضة فلما بسط الحق يده فإذا فيها آدم وذريته، ورسول الله ﷺ رأى موسى صلى فى قبره فى الإسراء ثم رآه مرة أخرى فى بيت المقدس فصلى به، ثم رآه فى السماء وهو ما انتقل ولكنه فى هذه الأماكن فى وقت واحد، وكمن يشاهد ميتا فى قبره ساكتا خيل إليك أنه ساكت ولكنه متكلم يسأل ويجيب وينعم

ويعذب، وثمار الجنة أخبر تعالى أنها ﴿ لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾ (١٦٧) فتشاهدها فى يدك وهى فى نفس الوقت على الشجر ماقطعت وتأكّلها ولا تشك أن عين ما تأكّله هو عين ما على الشجرة ماقطعت.

وفى هذا البرزخ يتجلى ربنا فى الصور المحدودة فإنه ذكر لنفسه خمس كينونات، كينونة فى العماء «كان فى عماء، وكينونة على العرش» ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ (١٦٨) وكينونة فى السماء وكينونة فى الأرض ﴿ وهو الله فى السموات وفى الأرض ﴾ (١٦٩) وكينونة عامة فى كل المخلوقات ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ (١٧٠) بحسب مايليق بجلاله من غير تكيف ولا تشبيه ولا تصور بل كما تعطيه ذاته، فذكر استواء على العرش وهذا تحديد ثم ذكر أنه فى السماء وفى الأرض وهذا تحديد ثم ذكر أنه معنا حيث كنا ثم أخبرنا أنه عين الأشياء بقوله ﴿ والظاهر ﴾ (١٧١) فلا ظهور لشيء سواه وهى محدودة فهو محدود بحد كل محدود فالعالم صورته وهو الروح المدبرة له، وقال رسول الله ﷺ فى الحديث «كان فى عماء، فالعماء هو الخيال المحقق وفيه يقبل الله تعالى الصور وجاء الشرع يقرر ما ضبطه هذا الخيال من كينونة الحق تعالى فى قبلة المصلى وفى مواجهة المصلى.

وهذا البرزخ لا يدخله إلا أصحاب المشاهدة بالعين لا أصحاب العلم والأين فما دمت خارج البرزخ فأنت من أهل اليقين فإذا دخلته أصبحت من أهل حق اليقين، ولا يدخل هذا البرزخ إلا عن طريق أهل الله العارفين فلكل واحد منهم باب فى هذا البرزخ يدخل منه

أحبابه لا غير، عن على كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال «أنا مدينة العلم وعلى بابها».

رواه أبو نعيم عن على والطبراني والحاكم عن ابن عباس

٧ - علم العلل والأدوية :

فالعلل إما هي علل أجسام فمعروفة، وإما علل عقول، وهي في العقائد الفاسدة فتذهب بالخلوات ومداومة الذكر، وإما علل النفوس وهي على ثلاثة أضرب :

* مرض في الأقوال: كالتزام قول الحق، وهو من أكبر الأمراض ودواؤه معرفة المواطن التي ينبغي أن يصرفه فيها، فإن الغيبة حق وقد نهى عنها والنميمة حق وقد نهى عنها، وما يفعله الرجل مع أهله في فراشه إذا أفضى إليها حق، ولكن قوله من الكبائر والنصيحة في الملاء بالحق حق وهو فضيحة ولا تقع إلا من الجهلاء وأصحاب الأغراض ومن أمراض الأقوال السؤال عن أحوال الناس وما يفعلون ولم جاء فلان ولم مشى فلان والسؤال عن كل ما يعنى وأشباه ذلك.

* مرض في الأحوال : كصحبته للصالحين حتى يشتهر صلاحه والتواجد من غير وجد وهو التواجد بالكذب وغيرها.

وقد لخصت المعرفة في هذه الأبيات

ظهرت إلى خلقى بصورة آدم	وقررت هذا في الشرائع إيماناً
فلو كان في الإمكان أكمل منكم	لكان وجود النقص في إذ كانا
لأنك مخصوص بصورة حضرتي	وأكمل مني ما يكون فقد باناً

ياقوتة في الواحد والأحد

اعلم أن الأسماء الحسنى لله تعالى كأنها أنهار تصب في عين واحدة، فمادام الماء في أنهاره أمكن تمييز كل ماء من أى نهر هو، فإذا اختلطت الأنهار في العين لم يمكن تمييز ماء كل نهر، فالأنهار هي الأسماء الحسنى والعين هي العين الأحدية حيث لا نسب، فالواحد نسبة أى: ليس اثنين فهو نهر من الأنهار أما الأحد فهو تلك العين التى تفنى ويغرق فيها من ينزلها فلا يميز بين اسم واسم، وكلها تنزلات منه تعالى إما للتحقق وإما للتخلق وإما للتعلق، فالذات واحدة ثم تتصف بالضر والنفع فى آن واحد وتتصف بالإعزاز والإذلال وليس المعز هو المذل ولكن تلك حضرة وهذه أخرى، وهذا كمن بينه وبين الشمس حجب من زجاج ملون كلما ارتفع حجاب رأى الشمس على خلاف ما رآها من قبل والشمس واحدة، وهذا يسمى التلوين ثم أنه تعالى يجتبى من يشاء من حضرة الفرق والتلوين إلى حضرة الجمع والتمكين التى تنعدم فيها النسب وهى عين الأحدية ﴿قل هو الله أحد﴾ (١٧٢) فيشهد الله بالله ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ (١٧٣) وإن شئت قلت يشهد روحه بروحه ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ (١٧٤).

يرأها أمامى فى صلاتى ناظرى	ويشهدنى قلبى إمام أئمة
ولا غرو أن صلى الإمام إلى أن	ثوت بفؤادى وهى قبلة قبلتى
وكل الجهات الست نحوى توجهت	بما ثم من نسك وحج وعمرة

كان رجل بالقيروان أراد الحج فتردد خاطره في سفره بين البر والبحر فقال أول رجل ألقاه أشاوره فحيث يرجح لي أحكم به فأول من لقي يهوديا فتألم ثم عزم وقال والله لأسأله فلما سأله تعجب له اليهودي وقال ألم تر أن الله يقول في كتابكم ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر﴾ (١٧٨) فقدم البر على البحر فلولاً أن الله فيه سرا وهو أولى بكم ما قدمه وأخر البحر إلا إذا لم يجد المسافر سبيلا إلى البر فقال الرجل فسافرت في البر فلم أجد سفرا أيسر منه .

ياقوتة في الفقر

الفقير هو الذي يفتقر إلى كل شيء من حيث أن ذلك الشيء هو مسمى الله، ولا يفتقر إليه شيء وليس فوقه مقام وهو مقام العبودية، وهذا هو العبد المحض حيث لا يشم رائحة ربوبية أصلا فالعبد فيه ربوبية من حيث النفس وعبودية من حيث الأصل ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (١٧٩) وهؤلاء لا حال لهم ولا مقام ولا تصرف مع الله تعالى .

والفقر في عينه كامل الخلق لا قدم له في الغنى، والغنى في حاله كامل الخلق لا قدم له في الفقر، فلا يقال: الغنى الشاكر أفضل

فحينئذ تتم له السعادة ويكون بالله إلى الله من الله مع الله في الله
 لله على الله عن الله .
 وهؤلاء هم الذين صانوا أنفسهم عن أنفسهم فلا تعرفهم أنفسهم .

ياقوتة في المقدم المؤخر

من أراد أن يحصل علم الله في خلقه فليقف عند ترتيب حكمته
 تعالى في الأشياء فيقدم ما قدم الله ويؤخر ما أخر الله، فإذا أخرت ما
 قدمه أو قدمت ما أخره فهو نزاع خفي يورث حرمانا قال تعالى
 ﴿وَلَا تَقُولْنَ لشيءٍ إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ (١٧٥)
 فأخر الاستثناء وقدمه موسى ﴿ستجدني إن شاء الله صابراً﴾ (١٧٦)
 فلم يصبر قلوبهم أخره لصبر.

فليقف كل مسلم على مشاعر الله التي بينها ولا يتعدها،
 ألا تراه ﷺ لما صعد على الصفا في حجة الوداع قرأ ﴿إن الصفا
 والمروة من شعائر الله﴾ (١٧٧) ثم قال «أبدأ بما بدأ الله به، وما قاله
 إلا تعليماً لنا ولزوم الأدب مع الله، ولولا أنه جائز له أن يبدأ بالمروة
 في سعيه لما قال هذا ورجح ما بدأ الله به على ما في المسألة من
 التخيير، فما بدأ الله به إلا لسر يعلمه فمن لم يبدأ به حرم فائدته .

من الفقير الصابر ولا العكس، فالفقر صفة الخلق والغنى صفة الحق والمفاضلة لا تصح بين صفة حق وصفة خلق، كما لا تصح المفاضلة بين الخالق والمخلوق، ولكن النسبة بلفظ الفقر إلى الله أولى من نسبة الغنى بالله، فإذا كان البساط النظر لأوصافك فأنت الفقير إلى الله، وإذا كان البساط النظر لأوصافه فأنت الغنى بالله، وهما يتعاقبان على العارف فتارة يغلب عليه الغنى بالله فتظهر عليه آثار العناية، وتارة يغلب عليه الفقر إلى الله فيلتزم الرعاية، فحين غلب الغنى بالله على حبيب الله أطعم ألفا من صاع وحين غلب عليه الفقر إلى الله شد حجرين على بطنه من الجوع.

وأوصاف الربوبية أربعة: هي الغنى، والعز، والقوة، والعلم، ومن العبد الفقير، والذل، والضعف، والجهل، فتجعل صفات الربوبية في باطنك وصفات العبودية في ظاهرك فتكون في باطنك غنيا عزيزا قويا عالما بالله وفي ظاهرك فقيرا ذليلا ضعيفا جاهلا.

والله تعالى منعك أن تدعى مالميس لك مما هو للمخلوقين أقبيح لك أن تدعى وصفه وهو رب العالمين، فمن غيرته تعالى أن يختص بأوصاف الربوبية ونهانا عن إظهارها والتحلّي بها في الظاهر أو ادعاء ذلك.

بالمقال «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحد منهما قصمته، وكليم الله لما سئل هل أحد أعلم منك؟ فقال: لا فأدبه بطلب غيره حتى صار تلميذا له يأمره وينهاه لأنه أظهر شيئا من الحرية، فكل من أظهر الحرية رده إلى العبودية بالقهر.

فمن غيرته أن حرم الفواحش من الزنا والسرقة والغصب، وما هي إلا ادعاء ما ليس لك من حقوق المخلوقين، فإذا ادعيت ما ليس لك سابق ما ملكك، وإذا تحققت بوصفك وسلمت له وصفه منحك ما لم يكن عندك.

واعلم أن الحرية إذا تحققت في الباطن لا بد من رشحات تظهر على الظاهر فيظن الجاهل بحالهم أن ذلك دعوى ظهور، وليس كذلك إنما ذلك رشحات من قوة الباطن لا قدرة لهم على إمساكها، منها: ما يكون تحدثاً بنعمة الله، ومنها: ما يكون نصحا للعباد ليعرفوا حالهم فينتفعون بهم في طريق الإرشاد، ومن ذلك ما وقع للشيخ زروق رحمته الله مع أبي المواهب التونسي رضي الله عنه حين ظهرت عليه آثار القوة الباطنية حتى قال فيه الشيخ زروق دعواه أكبر من قدمه وليس ذلك.

وسر هذه القوة أن الروح جاءت من عالم العز والقوة، ففيها أثر النفخة الإلهية فلما ركبت في هذا البدن حجبت وقهرت فأرادت الرجوع إلى أصلها فمُنعت إلا من باب الذل والانكسار والفقر، فرجعت إلى أصلها من القوة والعز والحرية فأمرت أن تجعل ذلك في باطنها ففعلت لكن ربما رشح شيء من ذلك على الظاهر غلبة، فالفقير الصادق لا يملك ولا يملك ولا يستغنى بشيء دون الله.

قال بعض الصالحين: كان لي بعض مال فرأيت فقيراً في الحرم جالسا منذ أيام لا يأكل ولا يشرب وعليه أطمار فألقيت المال في

حجره فنفض بها في الحصباء، وقال لي اشتريت هذه الجلسة مع ربي بما ملكت وأنت تفسدها على ثم انصرف وتركني ألقطها فوالله ما رأيت أعز منه لما بدرها ولا أذل مني لما كنت ألقطها.

ومقام الفقر يعرض صاحبه للعطاء بلا مقابل من حضرة الوهاب قال تعالى ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ (١٨٠) والصدقة لا تكون في مقابل عمل، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ (١٨١) يغلق الإنسان على نفسه باب العطاء لما جعل في قلبه من خوف الفقر إن هو أعطى ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِيطْغَىٰ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ (١٨٢) فيطغى في غناه في عين فقره، فإن هو أعطى ما به استغنى افتقر، فلا يزال الغنى خائفا ولا يزال الفقير راجيا.

قال سيدى عبد القادر رضى الله عنه: الفقير الصابر مع الله تعالى أفضل من الغنى الشاكر والفقير الشاكر أفضل منهما.

﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (١٨٣) فقد أعطاك ما فيه المصلحة لك فما بقى لصاحب هذا المقام ما يسأل الله فيه فما شرع السؤال إلا لمن ليس له هذا الشهود، ورآه تعالى يسأل الأغيار فغار فشرع له أن يسأله وهذا لأهل الحجاب، أما أهل الكشف فيرونه المسئول على الحقيقة في النبات والجماد والحيوان والملك، فأخبر تعالى أن الناس فقراء إلى الله.

واعلم أن الله تعالى مدح الفقير الصابر بما مدح به الغنى الشاكر فبان أنهما واحد وأن الفقير الصابر هو عين الغنى الشاكر

﴿إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب﴾ (١٨٤) ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب﴾ (١٨٥).

فإن الفقر إليه هو عين الغنى لأنه تعالى الغنى.

فإن الله تعالى لا يقرب فقيرا من أجل فقره، ولا يبعد غنيا لأجل غناه، وليس للأعراض عنده خطر حتى بها يوصل وبها يبعد ويقطع ولو بذلت الدنيا والآخرة ما أوصلك إليه بها ولو أخذتها كلها ما قطعك بها، قرب من شاء بغير علة وقطع من شاء بغير علة.

وقال الشيخ الأكبر رحمته الله إذا أغناك فقد أبعدك في غاية القرب وإذا أفقرك فقد قربك في غاية البعد.

للإنسان وجهان إذا كان كاملا، وجه افتقار إلى الله ووجه غنى عن العالم فيستقبل العالم بالغنى عنه ويستقبل ربه بالافتقار إليه، فهو لا يكون عند الله أبدا إلا فقيرا ذليلا ويكون عند العالم وجيها أي غنيا عزيزا، فمن ذاق طعم الغنى عن العالم وهو يراه عالما لا بد من هذا الشرط فقد حصل على نصيب وافر من الغنى الإلهي إلا أنه محجوب عن المقام الأرفع في حقه لأن العالم مشهود له ولهذا اتصف بالغنى عنه، فلو كان الحق مشهوده وهو ناظر إلى العالم لاتصف بالفقر إلى الله، وجاز المقام الأعلى في حقه وهو ملازمة الفقر إلى الله لأن في ذلك ملازمة ربه عز وجل، وأما الاستغناء فإنه يؤذن بالقرب المفرط وهو حجاب كالبعد المفرط، ولما كان الغنى معظما في العموم حيث ظهر وفيمن ظهر، فإن الخصوص ماله نظر إلا في الفقر فإنه

شرفهم فلا يبرحون، في شهود دائم مع الله قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا
النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٨٦)
فصفة الغنى صفة ذاتية للحق، والفقير صفة ذاتية في العبد، لذلك قال
الشيخ رحمه الله: يناجى الحق بقوله فيامن قربه بعد، أى يامن تقرب إليك
المتقربون بصفة الغنى، ولو كان الغنى بالله فهو بعد عن الصفة
الذاتية للعبد وهى الفقر، وقال «يامن بعده قرب»، أى يامن تقرب
إليك المتقربون بصفة الفقر، وهى على الضد والبعد عن صفة الغنى
وهو شرح قوله رحمه الله: «إذا أغناك فقد أبعدك»، أى: عن صفتك الذاتية
«فى غاية القرب، من حيث أن أغناك بالله، وإذا أفقرك فقد قربك»،
أى: بصفتك الذاتية، فى غاية البعد، أى: عن صفته تعالى وهى
الغنى، كل هذا يشير إلى أن صفة الفقر إلى الله أعلى مقاماً عند
العارفين من صفة الغنى بالله.

وقف لدى حظك الذاتى تحظ بما	حظى به من له سعد وإسعاد
الفقر بالعجز فى دنيا وآخرة	فغاية القرب قرب فيه إبعاد
هذى طريقة أقوام لهم همم	فازوا بها وبها على الورى سادوا

ياقوتة في الأول . الآخر الظاهر الباطن

﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ إذن فهو الوجود كله
(وأل) تتضمن عدم مشاركة أحد له فى هذه الصفات، فإذا قلت ظاهر

يقتضى ظهور غيره، أما إذا قال: الظاهر يعنى عدم ظهور غيره، فهو تعالى الظاهر فى المظاهر، الظاهر له ولك الباطن عنك لاعنه الأول بك الآخر إذ كان عينك، قال تعالى ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ (١٨٧) ولا راد لقضائه الله على عباده أن يعبدوا سواه أو يروا سواه فتجلى لهم فى صورة كل شئ فما منعنا من رؤيته إلا شدة ظهوره وفرط قربه، فلو تباعد عنا لرأيناه ولكنه لو فارقنا لانعدمنا فى أسرع من طرفة عين نختلس منه إن نظرنا إلى غيره لالضعفه ولكن لضعفنا.

«كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به وبه الذى يبطش بها ورجله التى يمشى بها، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال: وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ألا إنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى».

فهوية الحق سمع العبد وبصره وجميع قواه، والعبد ماهو إلا بقواه فما هو إلا بالحق فظااهره صورة خلقية محدودة وباطنه هوية الحق غير محدودة للصورة فهو من حيث الصورة من جملة من يسبح بحمده وهو من حيث باطنه فالحق يسبح نفسه والمجموع هو العبد، أثنى على عبدى، أى: أثنيت على نفسى بصورة عبدى.

وللعالم غيب وشهادة فما غاب من العالم عن العالم فهو غيب والقلب من عالم الغيب وما شاهد العالم من العالم فهو شهادة وكله لله شهادة وظاهر كل ذلك لا يذاق إلا بالمشاهدة، وفرق بين من يقول علمت ومن يقول عاينت، وهم أهل الليل خاصة، والليل من حضرة

الباطن فإن الله جعل الليل لأهله مثل الغيب لنفسه، فهم خير عصابة في حق الله وهم شرفتية في حق أنفسهم، فأهل الليل فازوا بهذه الحظوة في تلك الخلوة أليس كل حبيب يحب الخلوة بحبيبه، يقول الله في حقه فأنا أتلو كتابي عليه بلساني، وهو يسمع فإذا وقف مع معانيه فقد خرج عنى بفكره «أوقفني بين يديه وقال: الليل لى لا للقرآن يتلى» فهذا العبد إذا طلع الفجر ومشى إلى معاشه فتحت بينى وبينه بابا في خلقى ينظر إلى منه والخلق لا يشعرون فأحدثه على ألسنتهم وهم لا يعرفون.

فالظاهر هو الذى ليس بغيره ظهور، فالله عين وجود الأشياء لآعين الأشياء، فتراه تعالى يدخل نفسه تحت حكم الأحكام التى شرعها لعباده من وجوب وحظر وندب وكراهية وإباحة «إنى حرمت الظلم على نفسى»، فأول ظهور له تعالى كان بالأسماء وأول من تحمل هذه الأسماء تخلقاً وتعلقاً وتحققاً هو رسول الله ﷺ هذا الإنسان الكامل فمن نظر إليه فكأنما نظر إلى الله تعالى فتعرف تعالى إلى خلقه برسوله ﷺ، عن أبى قتادة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «من رأتى فقد رأى الحق»

رواه الشيخان وأبو داود وأحمد والدارمى

﴿إن الذين يبائعونك إنما يبائعون الله﴾ (١٨٨) ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ (١٨٩) ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ (١٩٠)، ثم إن العلماء ورثة الأنبياء، فمنهم من ورث علمهم، ومنهم من ورث

أحوالهم ومنهم من جمع الله له بين العلم والحال فمن رأى هؤلاء فكأنما رأى الله تعالى «خير الإخوان من إذا نظرت إليه ذكرت الله» .
عن عائشة رضی الله عنها، قالت: «كان خلقه القرآن»

رواه أحمد ومسلم وأبو داود

فمن أراد أن يرى رسول الله ﷺ ممن لم يدركه من أمته فليُنظر إلى القرآن فإذا نظر فيه فلا فرق بين النظر إليه والنظر إلى رسول الله ﷺ والقرآن صفة الله تعالى فكان محمد ﷺ صفة الحق تعالى فيكون محمد ﷺ ما فقد من الدنيا لأنه صورة القرآن العظيم، فمن كان خلقه القرآن من الناس فقد بعث محمداً ﷺ من قبره ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله﴾ (١١١) «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» نقولها في التشهد بضمير المخاطب ولا يخاطب غائب.

ولما خلق الله تعالى آدم على صورته فله الثبوت في ظاهره والتنوع في باطنه والله تعالى الظاهر الباطن فله الثبوت في باطنه والتنوع في ظاهره، فالباطن الحق عين ظاهر الإنسان، والظاهر الحق عين باطن الإنسان فهو كالمرآة إذا رفعت يمينك رفعت صورتك يسارها فيمينك شمالها وشمالك يمينها فظاهاك أيها الإنسان على صورة اسمه الباطن وباطنك على صورة اسمه الظاهر فأنت صورته.

قال تعالى ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ وهو القاتل ﴿وما رميت إذ رميت﴾ (١١٢) وهو الرامي ﴿سراييل تقيكم الحر﴾ (١١٣) وهو الواقى .

قال تعالى ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾^(١٩٤) أى من العلم بهم إلى العلم به، وعلمنا به فرع عن علمنا بنا إذ نحن عين الدليل (من عرف نفسه فقد عرف ربه) كما أن وجودنا فرع عنه ووجوده أصل لنا، فهو أصل فى وجودنا فرع فى علمنا به تعالى.

وتحقيق كل ماسبق هو موقف السواء، وموقف السواء أن يتساوى عند الحضرتين القديمة والحديثة، فمن هنا قال بالاتحاد من قال، ومن هنا يترقى العارفون إلى الكمال أو يحط بهم إلى الطرد والإهمال فيظهر العبد فى هذا الموقف بصورة الرب، فالإنسان وإن كان يرى فى نفسه أنه عبد ضعيف تؤلمه قرصة البعوضة ومع ذلك فإنه يظهر بالرياسة لما عليه صورته التى خلق عليها فرجال الله هم الذين لم يصرفهم، خلقهم على الصورة عن الفقر والذل والعبودية فإن لم يمن الله على هذا العبد بالعصمة والحفظ حيث يضع عبوديته أمام عينيه وإلا زلت قدمه فهو مقام وما رميت إذ رميت، فموقف السواء هو المقام الذى لا يتميز فيه سيد من عبد ولا عبد من سيد، فإن قلت فيه فى هذه الحالة سيد صدقت وإن قلت عبد صدقت، فكونه رعى حق وكونه لم يرم حق «كنت يده التى يبطش بها».

واعلم أن للحق فى كل خلق ظهوراً فهو الظاهر فى كل مفهوم وهو الباطن عن كل فهم.

وما عبد شئ في العالم إلا بعد التلبس بالرفعة عند العابد والظهور بالصورة في قلبه وأعظم مجلى عبد فيه وأعلاه الهوى كما قال ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ (١٩٥) وهو أعظم معبود وأكثر تابعا فإنه لا يعبد شئ إلا به ولا يعبد هو إلا بذاته، حتى عبادة الله تعالى كانت عن هوى أيضا، لأنه لو لم يقع له هوى في الجنب المقدس وهي الإرادة بالمحبة ماعبد الله ولا آثره على غيره، وكذلك كل من عبد صورة من صور العالم واتخذها إلها ما اتخذها إلا بالهوى، فكل عابدٍ أمراً ما يكفر من يعبد سواه والذي يحير العقول اتحاد الهوى بل أحديته فإنه عين واحدة في كل عابد، ولذلك سموه كلهم إلها ولذلك قال الكفار ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ (١٩٦) فما أنكروه ولكن تعجبوا من ذلك ولذلك قامت الحجة عليهم بقوله ﴿قُلْ سَمُوهُمْ﴾ (١٩٧) فسيقولون هذا حجر وهذا شجر فأين الله إذن في ما عبدتم.

عن أبي يزيد قال: رأيت الهوى، في بعض مكاشفاتي ظاهرا بالألوهية، جالسا على عرشه، جميع عباده حافون من حوله، فما وجدت معبودا أكثر عابدا منه فبالهوى يجتنب الهوى، وبالهوى يعبد الهوى، ولولا الهوى ما هوى من هوى، ولذلك حاز جنة المأوى من نهى نفسه عن الهوى.

وحق الهوى إن الهوى سبب الهوى ولولا الهوى في القلب ماعبد الهوى وكل من عبد شيئا سوى الله فإنهم محجوبون بوصف دون سائر الصفات، فمنهم من عبد الجمال حيث رآه وترك باقي الصفات

ومنهم من عبد الشمس لتجلى الله فيها بالدفاء ومنهم من عبد البقر لتجلى الله فيها بالخير، فمن لم يعبد الله تعالى على جميع صفاته فلا حجة له في الآخرة ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (١١٨) ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (١١٩).

وأعظم ظهور لله تعالى هو تجليه في المرأة للرجل وفي الرجل للمرأة، عن أبي علي بن مرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»

رواه أبو نعيم والطبراني

وذلك أن الله أوجد هذا المخلوق المسمى إنسانا حبا له وتوددا إليه فهو الودود، ثم نفخ فيه من روحه فما اشتاق إلا لنفسه، ثم اشتق له منه شخصا على صورته سماه امرأة، ولذلك كان للرجل درجة على المرأة بأنه خلقه بيديه ثم خلق منه المرأة فالرجل بالأصالة والمرأة بالتبعية ﴿وَاللرِّجَالُ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (٢٠٠) ولذلك سموا نساء من النساء وهو التأخر، أي: لتأخر خلقهن عن الرجال ولذلك ينضح بول الصبي ويغسل بول الجارية ما لم يطعما فظهرت هذه المرأة بصورة تشبه صورته فحن إليها حنين الشيء إلى نفسه، وحنن إليه حنين الشيء إلى وطنه، وقد كان الله تعالى قد حن إلى هذا الرجل الذي نفخ فيه من روحه حنين الشيء إلى نفسه، وحن هذا الرجل إلى ربه حنين الشيء إلى وطنه، فإذا نظر الرجل إلى المرأة تذكر نظر الله إليه، وإذا نظرت هي إليه تذكر نظرتة إلى ربه، ومن هنا حبيب الله إلى الرسول

النساء عن تحبيب لآعن حب، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ «ما أصبنا من دنياكم إلا نساءكم».

رواه الطبراني بسند حسن

عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال «لم يكن شيء أحب إلى رسول الله ﷺ من الخيل ثم قال اللهم غفرا بل النساء»

رواه أحمد الطبراني بسند صحيح

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «حبيب إلى من دنياكم النساء»

رواه أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي بسند صحيح

وهذا هو الرجل الكامل أما الرجل الحيوان فينظر للمرأة على أنها شهوة عاجلة فقط، وانظر إلى دقة قوله تعالى ﴿وللرجال عليهن درجة﴾ فالرجولة درجة أما الذكورة فنوع، فكلمة رجال لم تستعمل في القرآن إلا لبيان المزية ﴿رجال صدقوا﴾ (٢٠١) ﴿رجال لا تلهيهم﴾ (٢٠٢) ﴿وعلى الأعراف رجال﴾ (٢٠٣) فأحب رسول الله ﷺ النساء لكمال شهود الحق فيهن إذ لا يشاهد الحق مجردا عن المواد أبدا.

ولما أحب الرجل المرأة طلب الوصلة بها فلم يكن في صورة النشأة العنصرية أعظم وصلة من النكاح، ولذلك فنى الرجل في زوجته وفنيت فيه حال الجماع، ولذلك أمر الله تعالى بالاغتسال لتعم الطهارة كما عم الفناء وهذا للمحجوبين «تحت كل شعرة جنابة» وهي جنابة الغفلة عن الله، أما أهل الفتح والكمال فهم أقرب ما يكونوا إلى الله تعالى في تلك الحالة لصفاء مشهدهم وكمال معرفتهم فاغتسلهم

أمر تعبدى للقيام بظاهر الشرع لا لاستغراق شهودهم فى غير الله، فمن أحب النساء على هذا الحد فهو حب إلهى ومن أحبهن على جهة الشهوة فهو صورة بلا روح.

واعلم أنه لا يستغرق المحب الحب كله إلا إذا كان محبوبه الحق تعالى أو أحدا من جنسه هو من جارية أو غلام، وأما ماعدا من ذكرته فلا يستغرقه حبه إياه لأن الإنسان لا يقابل بذاته كلها إلا من هو على صورته إذا أحبه فما فيه جزء إلا وفيه مايمثله فيهم، ظاهره فى ظاهره وباطنه فى باطنه فإذا أحب الإنسان صورة من العالم إنما يستقبله بالجزء المناسب ويبقى مابقى من ذاته صاحبة فى شغلها وأما استغراق حبه إذا أحب الله لكونه على صورته فيستقبل الحضرة الإلهية بذاته كلها ولهذا تظهر فيه جميع الأسماء الإلهية ويتخلق بها.

فالنساء هن محل الانفعال لتكوين أتم الصورة وهى الصورة الإنسانية التى لا صورة أكمل منها فما كل محل ذلك كان حب النساء ما امتن الله به على رسوله فحببهن إليه.

ياقوتة فى مقام المحبة

الحب مقام إلهى وصف به نفسه، وتسمى بالودود وبالمحب (إنى وحقى لك محب، ثم أنه سبحانه حبب إلينا أشياء منها بالتزيين ومنها

مطلقة فقال ممثنا علينا ﴿ولكن الله حبيب إليكم الإيمان﴾ (٢٠٤)
 ﴿زين للناس حب الشهوات﴾ (٢٠٥) ﴿وجعل بينكم مودة
 ورحمة﴾ (٢٠٦) .

وألطف ما في الحب أن تجد عشقا مفرطا وهوى وشوقا مقلقا
 وغراما ونحولا وامتناع نوم ولذة بطعام ولا يدري بمن ولا يتعين لك
 محبوب، ثم إما يبدو لك تجل في كشف فيتعلق ذلك الحب به، أو ترى
 شخصا فيتعلق ذلك الوجد الذي تجده به عند رؤيته فتعلم أن ذلك
 كان محبوبك وأنت لا تشعر، وهذا من أخفى دقائق استشراف النفوس
 على الأشياء من خلف حجاب الغيب فتجهل حالها ولا تدري بمن
 هامت ولا فيمن هامت ولا ما هي مهامها، ويجد الناس ذلك في القبض
 والبسط الذي لا يعرف له سبب فعند ذلك يأتيه ما يحزنه فيعرف أن
 ذلك القبض كان لهذا الأمر أو يأتيه ما يسره فيعرف أن ذلك البسط
 كان لهذا الأمر، وذلك لاستشراف النفس على الأمور من قبل تكونها
 في تعلق الحواس الظاهرة ويشبه ذلك أخذ الميثاق على الذرية بأنه
 ربنا فلم يقدر أحد على إنكاره بعد ذلك فتجد في فطرة كل إنسان
 افتقارا لموجود يستند إليه وهو الله تعالى ولا يشعر به ولهذا قال
 ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ (٢٠٧) يقول لهم ذلك
 الافتقار الذي تجدونه في أنفسكم متعلقه الله لا غير ولكن لا تعرفونه .

علقت بمن أهواه من حيث لأدري ولا أدري من هذا الذي قال لأدري
 فقد حرت في حالي وحارت خواطري وقد حارت الحيرات في وفي أمري
 فبيننا أنا من بعد عشرين حجة أترجم عن حب يعانقه سرى

ولم أدري من أهوى ولا أعرف اسمه ولا أدري من هذا الذى ضمه صدرى
إلى أن بدا لى وجهها من نقابها كمثّل سحاب الليل أسفر عن بدر
ودون ذلك الحب هو حب الحب وهو الشغل بالحب عن متعلقه،
جاءت ليلى إلى قيس وهو يصيح: ليلى ليلى فقالت: أنا ليلى فقال لها:
إليك عنى فقد شغلت بحبك عنك.

والحب من الأمور التى لا تحد وكل حب يحكم على صاحبه،
بحيث أن يصمه عن كل مسموع سوى ما يسمع من كلام محبوبه
ويخرسه عن كل كلام إلا عن ذكر محبوبه وذكر من يحب محبوبه
ويختم على قلبه فلا يدخل فيه سوى حب محبوبه، ويرمى قفله على
خزانة خياله فلا يتخيل سوى صورة محبوبه إما عن رؤية تقدمته
أو عن وصف ينشئ منه الخيال صورة فيكون كما قيل.

خيالك فى عينى وذكرك فى فمى ومثواك فى قلبى فأين تغيب
قبه يسمع، وله يسمع وبه يبصر وله يبصر وبه، يتكلم وله يتكلم،
قال أحد الأكابر: بلغ بى من قوة الخيال أن كان حبى يجسد لى
محبوبى من خارج لعينى فلا أقدر أنظر إليه ويخاطبنى وأصغى إليه
وأفهم عنه ولقد تركنى أياما لا أسيغ طعاما كلما قُدمت لى المائدة
يقف على حرفها وينظر إلى ويقول بلسان أسمع به بأذنى تأكل وأنت
تشاهدنى فأمتنع من الطعام ولا أجد جوعا وأمتلىء منه حتى سمنت
من نظرى إليه فقام لى مقام الغذاء.

فإذا كان الله هو المحبوب فإن الحب يستغرق جميع العبد فهو دائم
المشاهدة، ومشاهدة المحبوب كالغذاء للجسم به ينمى ويزيد، فكلام

زاد مشاهدة زاد حبا، ولهذا الشوق يسكن باللقاء، والاشتياق يهيج باللقاء وهو الذى يجده العشاق عند الاجتماع بالمحبيب، لا يشبع من مشاهدته فكلما نظر إليه وجد به شوقا مع حضوره معه كما قيل:

ومن عجب أنى أحن إليهم وأسأل شوقا عنهم وهم معى
وتبكيهم عيلى وهم فى سوادها وتشتاقهم نفسى وهم بين أضلعي

وكل حب يبقى فى المٌحب عقلا يعقل به عن غير محبوبه فليس بحب خالص وإنما هو حديث نفس. ولنجعل الله تبارك وتعالى نصب أعيننا وفى قلوبنا وفى قبلتنا وفى خيالنا حتى كأننا نراه، لا بل نراه فينا لأننا عرفناه بتعريفه لا بنظرنا، والله لا يحب فى الموجودات غيره فهو الظاهر فى كل محبوب لعين كل محب، وما فى الوجود إلا محب، فالعالم كله محب ومحبوب وكل ذلك راجع إليه كما أنه لم يعبد سواه فإنه ما عبد من عبد إلا بتخيل الألوهية فيه ولولاها ما عبد، ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ (٢٠٨) وكذلك الحب ما أحب أحد غير خالقه ولكن احتجب عنه تعالى بحب زينب وسعاد وهند وليلى والدنيا والدرهم والجاه وكل محبوب فى العالم، فأفنت الشعراء كلامها فى الموجودات وهم لا يعلمون، أما العارفون فإنهم لم يسمعوا شعرا ولا غزلا ولا تمدحا إلا فيه من خلف حجاب الصور، وسبب ذلك الغيرة الإلهية أن يحب سواه فإن الحب سببه الجمال، وهو له لأن الجمال محبوب لذاته، والله جميل يحب الجمال فيحب نفسه وسببه الآخر الإحسان وما ثم إحسان إلا من الله ولا محسن إلا الله،

فإن أحببت للإحسان فما أحببت إلا الله فإنه المحسن، وإن أحببت للجمال فما أحببت إلا الله تعالى فهو الجميل، فقله تعالى ﴿يحبكم الله﴾ (٢٠٦) على الحقيقة نفسه أحب.

واعلم أن الحب لا يتعلق إلا بغائب، فإذا أحببت محبوباً من شأنه أن يعانق فتحب عنقه أو ينكح فتحب نكاحه أو يجالس فتحب مجالسته فتتخيل أن حبك متعلق بالشخص وليس كذلك فانظر إلى الذي يهيجك للقاءه فهو متعلق حبك به، واعلم أن متعلق حبك به ليس هو عنقه ولا مجالسته لأنك إذا عانقته أو جالسته فإن متعلق حبك ليس معانقته أو مجالسته ولكن دوام ذلك واستمراره والدوام والاستمرار معدوم فما تعلقت إلا بغائب معدوم وما أحسن قوله تعالى ﴿يحبهم ويحبونه﴾ (٢١٠) بضمير الغائب والفعل المستقبل فما أضاف متعلق الحب إلا لغائب.

والفرق بين الحب الروحاني والطبيعي هو الجمع بين الضدين، فالبهائم تحب ولا تجمع بين الضدين بخلاف الإنسان فإنه جمع بين الضدين لخلقته على الصورة والله وصف نفسه بالضدين فقال ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ (٢١١) المعز المذل الضار النافع.

فالحب من صفاته الاتصال بالمحبوب، ومن صفاته اللازمة حب ما يحبه المحبوب فيحب المحبوب الهجر فإن أحب المحب الهجر فقد فعل ما لا تقتضيه المحبة وإن أحب الاتصال فقد فعل ما لا تقتضيه المحبة أيضاً، فالمحب محجوج على كل حال وغاية الجمع بينهما أن

يحب حب المحبوب للهجر لا الهجر ويحب الاتصال، كالراضي بالقضاء فيصح له اسم الرضا بالقضاء مع كونه لا يرضى بالمقضى إذا كان المقضى به كفراً، فإن القضاء هو حكم الله بالمقضى وليس هو عين المقضى فيرضى بحكم الله، وهذا هو الحب الروحاني، أما الحب الطبيعي كحب الحيوانات فإنه يطلب الاتصال بمن يحب خاصة ولا يعلم أن محبوبه له حب في كذا لا علم له بذلك.

فالحب منه إلهي وروحاني وطبيعي وما ثم حب بغير هذا، فالحب الإلهي هو حب الله لنا، وحبنا الله أيضاً قد يطلق عليه أنه إلهي، والحب الروحاني هو الذي يسعى به في مرضات المحبوب فلا يبقى له مع محبوبه غرض ولا إرادة بل هو بحكم ما يراد به خاصة، والحب الطبيعي هو الذي يطلب به نيل أغراضه سواء سر ذلك المحبوب أو لم يسره وعلى هذا أكثر حب الناس اليوم.

الحب الإلهي: هو أن يحبنا لنا ولنفسه، فأما حبه إيانا لنفسه فهو قوله «أحببت أن أعرف فخلقت الخلق فتعرفت إليهم فعرفوني» فما خلقنا إلا لنفسه حتى نعرفه وقوله ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (٢١٢) وأما حبه إيانا لنا فلما عرفنا به من الأعمال التي تؤدينا إلى سعادتنا ونجاتنا من الأمور التي لا توافق أغراضنا ولا تلائم طباعنا، فخلق الله الخلق ليسبحوه ويسجدوا له ويثنوا عليه فقال ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض.....﴾ (٢١٣) ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض.....﴾ (٢١٤)

فما ترك شيئاً، وخطابه في الآيتين بألم تر هو للنبي ﷺ الذي أشهده تعالى سجود المخلوقات وتسبيحها فلم يقل ألم تروا فهو لنا إيمان ولرسول الله ﷺ عيان، فالعالم كله في مقام الشهود والعبادة إلا كل مخلوق له قوة التفكير وليس إلا النفوس الناطقة الإنسانية والجانية خاصة من حيث أعيان أنفسهم، لا من حيث هياكلهم فإن هياكلهم كسائر العالم في التسبيح والسجود له فأعضاء البدن كلها بتسبيحه ناطقة ألا تراها تشهد على النفوس المسخرة لها يوم القيامة وهذا كله من حكم حبه إيانا لنفسه، فمن وفى شكره ومن لم يوف عاقبه فنفسه أحب وتعظيمه والثناء عليه أحب.

وأما حبه إيانا لنا فإنه عرفنا بمصالحنا دنيا وآخره، ونصب لنا الأدلة على معرفته حتى نعلمه ولا نجعله ثم أنه رزقنا وأنعم علينا مع تفريطنا بعد علمنا به، وأنه ما أوجد تلك النعم إلا من أجلنا للنعم بها وتركنا نرأس ونتربع ثم أنه بعد هذا الإحسان التام لم نشكره، ومن إحسانه أن قذف في قلوبنا نور الإيمان، وحببه إلينا، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، فآمنا وصدقنا واستعملنا في محابه ومراضيه فعلمنا أنه لولا ما أحبنا ما كان شيء من هذا كله، ثم أن رحمته سبقت غضبه.

أما حبنا لله تعالى فهو الحبان مع الحب الروحاني الطبيعي، ونحن في حبنا إياه، إما أنا نحبه له أو نحبه لأنفسنا أو نحبه للمجموع ولا لواحد مما ذكرنا، وهناك تقسيم آخر وهو وإن أحببناه فهل نحبه

بنا أو نحبه به، أو نحبه بالمجموع أو نحبه ولا بشيء مما ذكرناه، فمن عرفه في الشهود أحبه للمجموع، ومن عرفه في الخبر أحبه له، ومن عرفه في النعم أحبه لنفسه، وحبه له يكون بغير طلب جزاء بل عبادة ذاتية كعبادة الجماد والنبات والحيوان فهم يعبدون ويسبحون لا للجزاء ولا يتصور معها طلب مجازاة، ومنهم من حبه له ولنفسه وهم الذين عبدوه لأن العبادة ترضيه ثم أنه لما ذكر لهم الثواب والعقاب عبدوه عبادة أخرى تطلبها رغبة في الثواب، ورهبة من العقاب فجمع بين عبادة له وعبادة رغبة ورهبة، والله تعالى قد وصف نفسه بالغيرة فلم يرد المشاركة في الحب، وأراد أن يستخلص نفوسنا لنفسه «خلفتك لنفسى، ﴿واصطنعتك لنفسى﴾» (٢١٥) فلا تحب سواه فتجلى لها في صورة طبيعية وأعطاهما علامة لا تقدر على إنكارها في نفسها وهي المعبر عنها بالعلم الضروري فعلمت أنه هو هذه الصورة ثم تجلى لها بهذه العلامة في جميع الأسباب كلها فعرفته فأحبت الأسباب من أجله لا من أجلها فتجلى لها في عين ذاتها الطبيعية والروحانية بتلك العلامة فرأت أنها ما رآته إلا به لا لنفسها وما أحبته إلا به لا بنفسها فهو الذى أحب نفسه ما هى أحبته فهو المحب والمحبوب والطالب والمطلوب.

وهذا هو بدء حبه إيانا، وأما حبنا إياه فبدء السماع لا الرؤية، وهو قوله لنا ونحن في جوهر العماء كن، فنحن كلماته التى لا تنفذ، فلما سمعنا كلامه ونحن ثابتون في جوهر العماء لم نتمكن أن نتوقف عن الوجود، فكنا صورا في جوهر العماء فأعطينا بظهورنا في العماء

أثبتها فإنه لا يتغير باللقاء، وأما حب الإحسان فمعلول قد تزيله الغفلة مع دوام الإحسان لكون عين المحسن غير مشهودة وقد يطلق الهوى على محاب الإنسان فيأمره ربه بأن لا يتبع محابه بل يتبع محاب ربه ﴿ولا تتبع الهوى﴾ (٢١٦).

٢ - الحب :

فهو أن يتخلص هذا الهوى في تعلقه بسبيل الله دون سائر السبل ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ (٢١٧) فهو من الصفاء ومنه الحب الذى يوضع فيه الماء ليصفو، إذ أن الكفار تبرأ بعضهم من بعض فزال حبهم وبقي حب المؤمنين فكان أشد، لأن حب المشركين كان منقسما فى الدنيا بين الله وبين شركائه الذين توهموهم فلما كان فى الآخرة وصفا لهم حبهم ، خاصة وتبرأوا من شركائهم كان حب المؤمنين أشد إذ لم يكن منقسما.

٣ - العشق :

فهو إفراط المحبة ﴿أشد حبا﴾ (٢١٨) وذلك إذا عم الإنسان وأعماه عن كل شىء سوى محبوبه وسرى فى روحه وجميع قواه وجرى فيه مجرى الدم من العروق وغمرت جميع مفاصله فاتصلت بوجوده وعانقت جميع أجزائه ولم يبق فيه متسع لغيره وصار نطقه به وسماعه منه ونظره إليه ورآه فى كل صورة

ما قد لى عضو ولا مفصل إلا وفيه لكم ذكر

الوجود للعماء بعدما كان معقولى الوجود حصل له الوجود العينى فهذا كان سبب بدء حبنا إياه ولهذا نتحرك ونطيب عند سماع النغمات لأجل كلمة كن الصادرة من الصورة الإلهية غيبا وشهادة.

الحب الروحانى: أن يحب محبوبه لمحبوبه ولنفسه، الموجود محبوب فإن كان ذا إرادة أى: له محبة لشيء أو غرض فينبغى أن يحب محبوب ذلك الموجود فيحبه له، فإن لم يكن ذا إرادة أحبه لنفسه، أى: لنفس المحب، وغاية الحب الروحانى أن يقول: أنا من أهوى أهوى أنا، وكل ما فى الوجود محب ولكن لا يعرف متعلق حبه وينحجبون بالموجود الذى يوجد محبوبه فيه فيتخيلون أن ذلك الموجود محبوبهم وهو على الحقيقة بحكم التبعية، فعلى الحقيقة لا يحب أحد محبوبا لنفس المحبوب وإنما يحبه لنفسه لأن المحبوب معدوم والمعدوم لا يتصف بالإرادة.

الحب الطبيعى: هو أن يحب لنفسه لا لعين المحبوب، ولا يصح أن يحب المحب اثنين أصلا لأن القلب لا يسعها وهذا بالنسبة للمخلوق، والحب من المحال زواله إلا بزوال المحب من الوجود والمحب لا يزول من الوجود فالمحبة لا تزول.

والحب له أربع ألقاب: -

١ - الهوى:

وهو سقوطه فى القلب، أى: ظهوره من الغيب إلى الشهادة، وسبب حدوثه إما نظرة أو سماع أو إحسان وأعظمها النظر وهو

وهؤلاء العشاق الذين استهلكوا في الحب، وهذا الذي يسمى بالغرام وهو الملازمة لملازمة المحب لمحبيه، وسمى الغريم غريما لملازمته لغريمه ومقلوبه الرغام وهو اللصوق بالتراب من الذل فصاحب الغرام ما رأينا أذل منه مع حبيبه.

٤ - الود:

هو ثبات الحب أو العشق أو الهوى، فإذا ثبت صاحب هذه الصفة عليها ولم يغيره شيء عنها في المنشط والمكروه وما يسوء ويسر في حال الهجر والطرْد وفي حال القرب والوصل ولم يبرح تحت سلطان محبوه لكونه صار مظهرا لمحبيه سمي ودا ﴿سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ (٢١١) أى ثباتا في المحبة عند الله وفي قلوب عباده.

وأعلى درجات المحبة أن ينزل محبوه من حضرة المعانى. إلى حضرة خياله، فهي في خياله ألطف منها في عينه «اعبد الله كأنك تراه، ولذلك لما جاءت ليلى إلى المجنون فقال لها: إليك عنى، لئلا تحببه كثافة المحسوس منها عن لطف هذه المشاهدة الخيالية فإنها في خياله ألطف منها في عينه وأجمل، أما من يرى الله تعالى في حضرة المعانى فإنما يراه به تعالى ومنهم من بلغ خياله من القوة بأن يجسد له ما يراه بخياله ويكتفه صورة أمامه يراها بعينه.

ومنهم من قال إن الحب يذهب بالعقول، وقالوا: لا خير في حب يدبر بالعقل، ومنهم من قال الحب أملك للنفوس من العقول، ومن أخص صفات الحب الضلال والحيرة وتفرق الهموم ﴿إنك لفي

ضلالك القديم ﴿٢٢٠﴾ ﴿إنما أشكو بثي﴾ (٢٢١) والبث هو التفرق قال تعالى ﴿وبث منهما﴾ (٢٢٢) ﴿هباء منبثا﴾ (٢٢٣)، والمحب في حكم محبوبة فلا تدبير له في نفسه وإنما هو بحكم ما يعطيه ويأمره به سلطان الحب المستولى على قلبه، ومن ضلالته في حبه أنه يتخيل في كل شخص أن محبوبة حسن عنده كما هو حسن عنده، أي: يتخيل أن كل من يرى محبوبة يحسن عنده.

والحب كالسراب يحسبه الظمان ماءً، وذلك لظمأه ولولا ذلك ما حسبه ماء لأن الماء موضع حاجته فيلجأ إليه لكونه مطلوبه ومحبوبة لما فيه من سر الحياة ﴿إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾ (٢٢٤) أي: انعدمت شيئته ﴿ووجد الله عنده﴾ (٢٢٥) وهو المحبوب على الحقيقة، فيرجع إليه تعالى، لما تقطعت به الأسباب وتغلقت دون مطلوبه الأبواب فكان قصده الماء والله يسوقه به إليه من حيث لا يشعر إما اضطراراً ورهبة وإما اختياراً ورغبة، وكذلك إذا تحقق كل شيء يطلق عليه لفظ شيء لتجدن الله عنده.

وجزاء من أحب غير عينه شوق لا يخمد.
وأبكى إن نأوا شوقاً إليهم وأبكى إن دنوا خوف الفراق
فشوقه يهيج باللقاء وهو الاشتياق أما الشوق فإنه يسكن باللقاء.
وأبرح ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الديار من الديار
فلو أحب الله تعالى وهو روحه ومطناه لتكون هذه حالته، فإنه ما أحب غير عينه، فمحب الله لا يخاف فرقة وكيف يفارق لشيء لازمه

وهو في قبضته لا يبرح وبحيث يراه محبوبه وهو أقرب إليه من حبل الوريد، أين الفراق وما في الكون إلا هو.

يقول تعالى «من تقرب إلى شبرا تقربت منه ذراعا، فإذا كان الحق مع غناه عن العالم إذا أحبه عبده سارع إليه بالوصلة وقربه وأدنى مجلسه وجعله من خواص جلسائه، فأنت أولى بهذه الصفة إذا أحبك شخص فقد أعطاك السيادة عليه وجعل نفسه محلا لتحكمك فيه، وينبغي لك إن كنت عاقلا أن تعرف قدر الحب وقدر من أحبك ولتسارع إلى وصلته تخلقا بأخلاق الله، فإنه من بدأك بالمحبة فتلك يد له عليك لا تكافئها أبدا.

ومن نعوت المحبين الهيام: أي: يجعله الحب يهيم على وجهه من غير قصد جهة مخصوصة فمحب الله متيقن بالوصلة غير، أي: محب آخر فإنه يئس من وصل محبوبه، فهيام محب الله لأنه علم أنه تعالى لا يتقيد ولا يختص بمكان ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ (٢٢٦) وهيام غيره ليأسه من الوصال، فالله تعالى يتجلى لحبيبه في قصد يقصده على أي حالة كان ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ (٢٢٧).

ومن نعوت المحبين الكمد، وهو أشد حزن القلب، إلا أن صاحبه يكون كثير التأوه والتنهد، وهو حزن يجده في قلبه لا على فائت ولا تقصير وهذا هو الحزن المجهول ليس له سبب إلا الحب خاصة، وليس له دواء إلا وصال المحبوب فيفتيه شغله به عن الإحساس بالكمد.

ومن نعوت المحبين لله خاصة الاتباع لرسوله ﷺ فيما شرع، قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (٢٢٨) فمحبة الله لعباده وقعت من قبل خلقهم أما المحبة الخاصة ف وقعت من النوافل فكيف بالفرائض.

١ - فمن ذلك حبه للتوابين ومن أسمائه التواب فما أحب إلا اسمه وصفته وأحب العبد لا تصافه بها ولكن إذا اتصف بها على حد ما أضافها الحق إليه، وذلك أن الحق يرجع على عبده في كل حال يكون العبد عليه مما يبغده من الله وهو المسمى ذنبا ومعصية فإذا أقيم العبد في حق من أساء إليه من أمثاله فرجع عليه بالإحسان إليه والتجاوز عن إساءته فذلك هو التواب ما هو الذي رجع إلى الله فإنه لا يصح أن يرجع إلى الله إلا من جهل أن الله معه على كل حال، وما خاطب الحق بقوله ﴿تَرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ (٢٢٩) إلا من غفل عن كون الله معه على كل حال، وكذلك قال عليه السلام «إن الله يحب كل مفتن تواب، أي: يختبره الله تعالى بمن يسيء إليه من عباد الله فيرجع عليهم بالإحسان إليهم في مقابلة إساءتهم وهو التواب، لا أن الله يختبر عباده بالمعاصي حاشا لله أن يضاف إليه مثل هذا وإن كانت الأفعال كلها لله من حيث كونها أفعالا وما هي معاصي إلا من حيث حكم الله فيها بذلك فجميع أفعال الله حسنة من حيث ما هي أفعال.

٢ - ومن ذلك حبه للمتطهرين، فيطهر العبد نفسه من الكبرياء والجبروت والخيلاء والعجب وغيرها مما لا يصلح إلا لله وقد طبع الله على القلوب أن يدخلها العجب والجبروت والكبر، لأن الإنسان يعلم عجزه وحاجته إلى كسرة خبز ليدفع عن نفسه ألم الجوع وحاجته إلى الخلاء ليدفع عن نفسه ألم ما فى بطنه فمن صفته هذه كل يوم وليلة كيف يصح أن يكون فى قلبه كبرياء ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ (٢٣٠) ولكن يظهر ذلك على ظاهره وجعل الله له مواطن يظهر فيها ولا يكون مذموماً، ومواطن إذا ظهر فيها يكون مذموماً ممقوتاً فمن طهر ذاته عن أن ترى عليه هذه النعوت فى غير مواطنها فهو متطهر ويحبه الله، كما نفى محبته عن كل مختال فخور ﴿إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ (٢٣١).

٣ - ومن ذلك حبه للمتطهرين ﴿والله يحب المطهرين﴾ (٢٣٢) وهم الذين طهروا غيرهم كما طهروا نفوسهم فتعدت طهارتهم فقاموا فيها مقام الحق نيابة عنه فإنه المطهر على الحقيقة.

٤ - ومن ذلك حبه للصابرين ﴿والله يحب الصابرين﴾ (٢٣٣) وهم الذين ابتلاهم فحبسوا نفوسهم عن الشكوى إلى غير الله، ﴿وما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا﴾ عن حملهم لأنهم حملوه بالله ﴿وما صبرك إلا بالله﴾ (٢٣٤) وإن شق عليهم ﴿وما استكانوا﴾ (٢٣٥) لغير الله فى إزالته ولجأوا إلى الله فى إزالته كما قال العبد الصالح ﴿مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ (٢٣٦) فرفع الشكوى إليه لا إلى غيره فأثنى الله عليه بأنه وجده صابراً نعم

العبد إنه أواب مع هذه الشكوى، فدل أن الصابر يشكو إلى الله لا إلى غيره بل يجب عليه ذلك لما في الصبر إن لم يشك إلى الله من مقاومة القهر الإلهي، وهو سوء أدب مع الله، ومن أسمائه الصبور فما أحب إلا من رأى خلعتة عليه، وقد عرفنا تعالى أن في خلقه من يؤذيه ونعتهم لنا لنعرفهم فنُدفع ذلك الأذى عنه تعالى بمقاتلتهم أو بتعليمهم إن كانوا جاهلين طالبيين العلم، وقد سمى نفسه صبورا وقد رفع إلينا ما أودى به وعرفنا بهم لئذنب عنه مع الاتصاف بالصبور لنعلم أنا إذا شكونا إليه ما تزول من البلاء وسألناه في رفعه عنا لا يزول عنا اسم الصبر فلا تزول عنا محبته، وفي الصحيح «ليس أحد أصبر على أذى من الله».

٥ - ومن ذلك حبه للشاكرين، و﴿الله شاكر عليم﴾ (٢٣٧) فما أحب من العبد إلا ما هو نعتة، والشكر لا يكون إلا على النعم لا على البلاء فمن استعمل دواء فإنه يصبر على ما يكره من استعماله ويشكر على ما في الدواء من نعمة إزالة الداء، فلما شكره على ما في هذا المكروه من النعمة زاده نعمة أخرى وهي العافية و﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ (٢٣٨)، وكذلك لما أودى الحق تعالى وسعينا في إزالة ذلك المؤذى بقتال مثلا كان ذلك للحق بمنزلة شرب الدواء الذي يكرهه المريض في الحال ويراه نعمة لما فيه من إزالة الداء، وقد أوحى الله لنبيه داود أن يبنى له بيتا يعنى بيت المقدس فكلما بناه تهدم فقال ربه فيما أوحى إليه أنه لا يقوم على يديك فإنك سفكت الدماء فقال له يارب ما كان ذلك إلا في سبيلك فقال صدقت ما كان إلا في

سبيلي ومع هذا أليسوا عبيدى فلا يقوم هذا البيت إلا على يد مطهرة من سفك الدماء فقال يارب اجعله منى فأوحى الله إليه أنه يقوم على يد ولدك سليمان فبناه سليمان عليه السلام، فلما أزال العبد هذا الأذى عن جناب الحق شكره الله على ذلك والشكر يطلب المزيد فطلب من عباده سبحانه أن يزيده فزادوه فى العمل وهو قوله عليه السلام «أفلا أكون عبدا شكورا» فزاد فى العبادة لشكر الله له شكرا فزاد الحق فى الهداية والتوفيق، فزد فى عملك تكن قد جازيت ربك على شكره إياك على ما عملت له وذلك العمل هو الصوم فإنه له، ودفع الأذى عنه وهو قوله: «هل واليت فى وليا أو عاديت فى عدوا»، وقد باسط الله أحد العارفين فقال له: لن تبلغ حد الشاكرين حتى لا ترى منعمًا عليه غيرك، فقال العارف: كيف وهؤلاء الملوك والعلماء والأنبياء؟ فقال له الله: كل هذا من نعمى عليك فلو لا الأنبياء ما اهتمت ولولا العلماء ما اقتديت ولولا الملوك ما أمنت، وهذا هو شكر القلب، وشكر اللسان يكفى فيه قول الحمد لله رب العالمين، ألا ترى أن الجنة التى هى أعظم النعم فكان شكر أهلها فيها ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ (٢٣٩).

٦ - ومن ذلك حبه للمحسنين ﴿والله يحب المحسنين﴾ (٢٤٠)، والإحسان صفته، والإحسان الذى به يسمى العبد محسنا هو أن يعبد الله كأنه يراه أى على المشاهدة، وإحسان الله هو مقام رؤيته عباده فى حركاتهم وتصرفاتهم وهو قوله ﴿إنه على كل شىء شهيد﴾ (٢٤١) ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ (٢٤٢) فشهوده لكل شىء هو إحسانه فإنه يشهوده يحفظه من الهلاك فكل حال ينتقل فيه العبد فهو من إحسان

الله إذ هو الذى نقله تعالى ومعنى «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» أى فإن لم تحسن فهو المحسن، وهذا المقصود به الصحابة لا النبى ﷺ ولذلك قال «هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم» .

٧ - ومن ذلك حبه المقاتلين فى سبيل الله بوصف مخصوص، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَنِيَانٍ مَرْصُوعِينَ﴾ (٢٤٣) أى لا يدخله خلل فإذا دخلها خلل زال سبيل الله وظهرت سبل الشياطين، وكذا فى الصلاة يتراص المصلون فالشياطين تتخلل خلل الصفوف .

ولما أحب الله من أحب من عباده رزقهم محبته من حيث لا يعلمون فوجدوا فى نفوسهم حبا لله فادعوا أنهم من محبى الله فابتلاهم الله من كونهم محبين وأنعم عليهم من كونهم محبوبين، فإنعامه دليل على محبته فيهم، وابتلاؤه إياهم لما ادعوا من حبهم إياه فلهذا ابتلى الله أحبابه من المخلوقين .

٨ - ومنه حب الجمال، ثبت فى الصحيح عن رسول الله ﷺ قال «إن الله جميل يحب الجمال» فالعالم هو جمال الله فهو الجميل المحب للجمال فمن أحب العالم بهذا النظر فقد أحبه بحب الله وما أحب إلا جمال الله فإن جمال الصنعة لا يضاف إليها وإنما يضاف إلى صانعه .

أما نعوت الحب الذى ينبغى أن يكون المحب عليها وبها يسمى محبا، مقتول تالف سائر إليه بأسمائه دائم السهر كامن الغم راغب

فى الخروج من الدنيا إلى لقاء محبوبه، متبرم بصحبة ما يحول بينه وبين لقاء محبوبه، كثير التأوه يستريح إلى كلام محبوبه وذكره بتلاوة ذكره موافق لمحاب محبوبه، خائف من ترك الحرمة فى إقامة الخدمة، يستقل الكثير من نفسه فى حق ربه ويستكثر القليل من حبيبه لا يطلب الدية فى قتله يؤثر محبوبه على كل مصحوب غيور على محبوبه لا يقبل حبه الزيادة بإحسان المحبوب ولا النقص بجفائه، لا يفرق بين الوصل والهجر من هيامه يقول عن نفسه أنه عين محبوبه لا يقول لمحبوبه لم فعلت كذا، مهتوك الستر، سره علانية، لا يعلم الكتمان، لا يعلم أنه محب لا يدري إلى ولا فيمن لا يتميز له محبوبه مسرور محزون حاله يترجم عنه بغير كلام سكران لا يصحو، كلما فرغ نصب، لا يعرف التعب، روحه عطية وبدنه مطية، لا يعلم شيئاً سوى ما فى نفس محبوبه قرير العين لا يتكلم إلا بكلامه هم المسمون بحملة القرآن حتى صاروا عين القرآن سبحان من قواهم على ما هم فيه .

أما العارفون فمحببتهم لا أثر لها فى ظواهرهم، فالمعرفة تمحو آثارها لا خبر للطبيعة بما يحمله من المحبة، حبه إلهى وشوقه ربانى مؤيد باسمه القدوس عن تأثير الكلام المحسوس، أما الذى يذوب عندما يسمع كلام الحب فلو كان ذا حب ما كان هذا حاله، فقد كان محبا ولم يذب حتى سمع كلام الشيخ فصار ماء، وقصته أن رجلا محبا دخل على شيخ فتكلم الشيخ عن مقام الحب فما زال ذلك الشخص ينحل ويذوب عرقا حتى تحلل جسده كله على الحصر ماء،

فحب لا حكم له في المحب حتى يثيره كلام متكلم حب طبيعي لا إلهي فلو كان إلهيا لما أثرت فيه كلمات الحروف ولا هزت روحانيته هذه الظروف، فالمحب الإلهي روح بلا جسم والمحب الطبيعي جسم بلا روح، والمحب الروحاني ذو جسم وروح، فالكلام في المحبة يؤثر في المحب الطبيعي ولا يؤثر في المحب بالحب الإلهي ويؤثر بعض التأثير في المحب بالحب الروحاني.

ومن أخلاقهم أنهم لا يذيعون أسرار محبوبهم فإن هم أذاعوها فالمحبوب بالخيار إما أن يبدله من الإيناس إحاشا وإما أن يعفو ويتوب عليه فينتزع السر من قلوب من أذاعه عليهم، والأصل الكتمان إلا أن يأمره المحبوب بإذاعة السر فليس له إلا الامتثال، والله قد سبقت محبته محبة من أحبه ﴿يحبهم ويحبونه﴾ (٢٤٤) والمحب قد تغلب الطبيعة عليه فيكون مظلّم الهيكل فيحب الحق في الخلق فيدرج النور في الظلمة ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾ (٢٤٥) وقد تغلب عليه الروح فيكون منور الهيكل فيحب الخلق في الحق «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، فأحبيته في النعم».

وقال المحب إنما أدخل على الله بأسمائي وإذا خرجت إلى خلقه أخرج إليهم بأسمائه الحسنى تخلقاً، فلما دخل عليه بما يظن أنها أسماؤه رأى أن الكل أسماؤه تعالى وأن العبد لا اسم له حتى إن اسم العبد ليس له وأنه متخلق به كسائر الأسماء الحسنى فعلم أن السير إليه والدخول عليه والحضور عنده ليس إلا بأسمائه وهذه غاية عظمى دونها من قال الله له «تقرب إلى بما ليس لي».

والمحب دائم السهر لأن حبيبته لا تأخذه سنة ولا نوم، وهو جليس من ذكره والنوم عليه حرام، أى: على المحب، وهذا المحب يقول إن النوم عليه حرام مع الفراق فكيف مع الشهود والمجالسة.

النوم بعدكم على حرام من فارق الأحباب كيف ينام فالنوم مع المشاهدة أبعد وأبعد.

والمحب يحب لقاء الله تعالى بالموت فالله تعالى خلق الموت وابتلاهم به تمحيصاً لدعواهم فى محبته وغيره عليهم أن تكون لهم علاقة وألفة بأجسامهم فإذا انقضى حكمه ذبحه يحيى عليه السلام بين الجنة والنار.

والمحب موافق لمحباب محبوبه وكل ما يفعل المحبوب محبوب .
هو بين الملاحاة والجمال يقاسيه القوى من الرجال
ويضعف عنه كل ضعيف حال تقلب فى النعيم وفى الدلال
وتقلبى مع الهجران عندى أذ من العناق مع الوصال
فإنى فى الوصال عبید نفسى وفى الهجران عبد للموالى
وشغلى بالحبيب بكل وجه أحب إلى من شغلى بحالى
وفى هذا قال من قال:

أريدك لا أريدك للثواب ولكنى أريدك للعقاب
وكل ما ربي قد نلت منها سوى ملذوذ وجدى بالعذاب
والمحب قتله شهادة، فقتله حياته والحي لادية فيه، والمحب قد جاوز الحدود بعد حفظها وهو معين فى أحباء أهل بدر، قال لهم افعلوا

ما شئتم فقد غفرت لكم، وأما في غير المعينين من أهل الخصوص فقد قال الله تعالى «أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب فقال في الرابعة أو في الثالثة اعمل ما شئت فقد غفرت لك، فأباح له وأخرجه من التحجير في الدنيا إذ كان الله لا يأمر بالفحشاء فما عصى الله صاحب هذه الصفة بل تصرفه فيما أحبه الله له، وقد كان قبل هذه الصفة من أهل الحدود فجاوزها بعد حفظها بخلاف صاحب الحال فإن حكم صاحب الحال المجنون الذي ارتفع عنه القلم فلا يكتب لا له ولا عليه وهذا يكتب له ولا عليه فهذا قدر ما بين العلم والحال فما أشرف العلم، فالمحب إذا كان صاحب علم هو أتم من كونه صاحب حال فالحال في هذه الدار الدنيا نقص وفي الآخرة تمام والعلم هنا تمام وفي الآخرة أتم ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (٢٤٦) الحسنى هي الحسننة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ومجاورة الحدود هي الزيادة فما تخلقوا إلا بخلقه تعالى.

والمحب غيور على محبوبه وهذا أحق ما يوجد في حق من يحب الله، وهذا مقام الشبلى أداه إلى تعظيم محبوبه في نفسه وحقارة قدره فرأى أنه لا يليق بذلك الجناح العزيز إدلال المحبين فهم لا يظهرون عند العالم بأنهم من المحبين وهذا مقام رسول الله ﷺ فإنه وصف نفسه بأنه أغير من سعد فستر محبته وماله من الوجد بالمزاح وملاعبة الصغير وإظهار حبه فيمن أحبه من أزواجه وأولاده وأصحابه وقوله ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ (٢٤٧) فلم يجعل عند نفسه أنه من المحبين، وقال ﷺ «والله أغير منى ومن غيرته حرم الفواحش،

والمحب لا يفرق بين الوصل والهجر لشغله بما عنده من محبوه
فهو مشهوده دائماً

فالليل إن وصلت كالليل إن هجرت أشكو من الطول ما أشكو من القصر

فهو في الحالتين صاحب شكوى وعذاب دائم، ومنهم من يكون
في الحالتين صاحب شهود واستغراق فيقول:

شغلى بها وصلت ليلاً وإن هجرت فما أبالى أطل الليل أم قصرا
والمحب لا يقول لمحبيه لم فعلت كذا.

عن أنس رضي الله عنه قال «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال: لى
لشئ فعلته، لم فعلته ولا لشئ لم أفعله لم لم تفعله، لأنه كان يرى
تصريف محبيه فيه وتصريف المحبوب فى المحب يسلم بل ويستأذ
فهو يبذل المجهود ولا يرى أنه وفى ولا يخطر له أنه تحرك فيما
يرضى محبيه.

والمحب مهتوك السر سره علانية.

الحب أغلب للفؤاد بقهره من أن يرى للسر فيه نصيب
وإذا بدا سر اللبيب فإنه لم يبد إلا والفتى مغلوب
إنى لأحسد ذا الهوى متحفظاً لم تتهمه أعين وقلوب
فالحب غلاب لا يبقى ستر إلا هتكه ولا سرا إلا أعلنه، زفراته
متصاعدة وعبراته متتابعة.

ليفتضح المحبون في دعوام محبته فغارأن يدعى فيه الكاذب دعوى
الصادق فوضع الميزان وحرّم الفواحش من ادعى محبته وقف عند
حدوده .

والمحب جرحه جبار، حكى أن عصفورا قال لعصفورة يحبها في
قبة لسليمان عليه السلام لقد بلغ منى حبك أن لو قلت لى اهدم هذه
القبة على سليمان لفعلت فسمعه سليمان عليه السلام فاستدعاه وقال
ما هذا الذى سمعته منك فقال لا تعجل على فإن للمحب لسانا
لا يتكلم به إلا المجنون فنحن نتكلم بلسان الحب لا بلسان العلم والعقل
فضحك سليمان ورحمه، فالله تعالى لا يؤاخذ أهل محبته الذين هم
تحت سلطان حبهم له وقد علمنا تعالى أنه قد يعفو عن أهل المعاصي
من غير توبة أصلا بل امتنان وفضل فأهدر ما كان له عندهم وذلك
مع توعده لهم من شديد عقابه فكيف بأهل المحبة والعشق .

والمحب ليس له اسم بل هو مجهول الاسم فبأى اسم سماه به
محبوبه ودعاه به أجابه ولباه، فإذا قيل للمحب ما اسمك؟ يقول سل
محبوبى فما سماني به فهو اسمى فالمألوه يقول يا الله فيقول الله له
لبيك والمربوب يقول يارب فيقول له الرب لبيك والمخلوق يقول
ياخالق والمرزوق يقول يارازق والضعيف يقول يا قوى فأحوالنا
تدعوه دعاء تحقيق فيتخذها أسماء فالمحبوب بأى اسم دعا محبه
أجابه .

ياقوتة في مقام الخلّة

من أراد أن يكون خليلاً للرحمن فإنه يحسن إلى أعدائه مع عداوتهم، ولا يشعرهم أن هذا الإحسان منه، كما فعل الله مع أعدائه فإنه يحسن إليهم وهم لا يشعرون أن هذا الإحسان منه تعالى، فينبغي للإنسان طالب مقام الخلّة أن يحسن لجميع الخلق كافرهم ومؤمنهم طائعهم وعاصيهم ويوصل الإحسان إليهم من حيث لا يعلمون، وإن لم يستطع بالظاهر لعدم الموجود أمدهم بالباطن فدعا الله لهم في نفسه بينه وبين ربه، قال ﷺ «المرء على دين خليله، وهو الله تعالى».

نزل ضيف من غير ملة إبراهيم عليه السلام بإبراهيم عليه السلام فقال له إبراهيم وحد الله حتى أكرمك وأضيفك فقال يا إبراهيم من أجل لقمة أترك ديني ودين آبائي فأنصرف عنه فأوحى الله إليه يا إبراهيم له سبعون سنة وأرزقه وهو يشرك بي! فلحقه إبراهيم عليه السلام فاعتذر إليه وأخبره بما أوحى إليه فقال المشرك مثل هذا ينبغي أن يعبد فأسلم، وقال إبراهيم عليه السلام تعلمت الكرم من ربّي، رأيته لا يضيع أعداءه فلا أضيعهم فأوحى الله إليه أنت خليلي حقاً.

ولولا الرحمة الإلهية ما كان الله يقول ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ (٢٤٨) وما كان يقول ﴿حتى يعطوا الجزية عن يد﴾ (٢٤٩) أليس هذا إبقاء عليهم، فهو في الدنيا يرزق مع الكفر ويعافى ويرحم

فكيف مع الإيمان والاعتراف في الدار الآخرة على الكشف، فهو تعالى ينظفهم ويطهرهم في النار وهذه رحمة أخرى بهم إذ لولا النار لبقوا بقذارتهم.

ولو لم يكن من عظيم الرجاء في شمول الرحمة إلا قوله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (٢٥٠) فإذا استقرت الرحمة في العرش الحاوي على جميع أجسام العالم فالرحمة إذن عمت العالم أجمع وكل ما يناقضها أو يريد رفعها من الأسماء والصفات فعوارض لا أصل لها في البقاء، لأن الحكم للمستولى وهو الرحمن فإليه يرجع الأمر كله فمال الخلق إلى الرحمة فابحث عن صفات إبراهيم عليه السلام وقم بها ترزق مقام الخلّة.

واعلم أن الكون كله ما فيه إلا أخلاق الله تعالى فعندما يقول ﷺ «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، فما ثم سفاسف أخلاق، إذ أن أخلاق الله كلها مكارم، فأبان رسول الله ﷺ المصارف لهذا المسمى سفاسف أخلاق من حرص وحسد وشره وبخل وفزع وكل صفة مذمومة فأعطانا لها المصارف إذا أجريناها عليها عادت مكارم أخلاق وزال عنها اسم الذم وكانت محمودة، وما أمر الله باجتنب ما يتجنب منها إلا لاعتقادهم فيها أنها سفاسف أخلاق وما تسفّف إلا اعتقادهم.

ياقوتة في مقام الشوق والاشتياق

وهو من نعوت المحبين العشاق

شوق بتحصيل الوصال يزول والاشتياق مع الوصال يكون
 إن التخيل للفراق يديمه عند اللقاء فربه مغبون
 من قال هون صعبه قلنا له ما كل صعب في الوجود يهون
 هو من صفات العشق لا من غيره والعشق داء في القلوب دفين
 ما حكم هذا النعت إلا ها هنا وهناك يذهب عينه ويبين
 متعلق الشوق لأبد وأن يكون غائبا غير مشهود له في الحال وقد
 اشتاقت الجنة إلى علي وسلمان وعمار وبلال.

ياقوتة في الحلّي

العلو نسبتيان، علو مكان وعلو مكانة، فعلو المكان ﴿ورفعناه
 مكانا عليا﴾ (٢٥١) وعلو المكانة ﴿وأنتم الأعلون والله معكم﴾ (٢٥٢)
 أي في هذا العلو وهو يتعالى عن المكان لا عن المكانة، أما الكمل فهم
 عالون بعلو المكان وعلو المكانة.

ياقوتة في الولي

رسالة الرسول غير ولايته، فالرسل من حيث هم رسل لا من حيث هم أولياء وعارفون على مراتب ما هي عليه أممهم، فما عندهم من العلم الذي أرسلوا به إلا قدر ما تحتاج إليه أمة ذلك الرسول لا زائد ولا ناقص، وتفاضل الرسل في علم الإرسال بتفاضل أممها ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾ (٢٥٣) والرسالة لا تستصحب الرسول بعد موته.

أما تفاضل الأنبياء فبحسب استعدادهم في المعرفة والنبوة ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ (٢٥٤) وتلك النبوة أو تلك الولاية والمعرفة فإنها مستصحبة لذات النبي بعد موته، أما الخلق فقال تعالى ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾ (٢٥٥) والرزق منه ما هو روحاني كالعلوم وحسي كالأغذية وما ينزله الحق إلا بقدر معلوم، وهو الاستحقاق الذي يطلبه الخلق، فالولاية لم تنقطع أما نبوة التشريع أو الرسالة فمنقطعة، وفي محمد ﷺ قد انقطعت فلا نبي بعده، يعني مُشرعاً أو مُشرعاً له وإلا فإن عيسى عليه السلام نازل وهو نبي رسول ولكنه على شرع محمد ﷺ ولا يأتي بشرع جديد.

والله تعالى ما تسمى بنبي ولا رسول ولكنه تسمى بولي ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ (٢٥٦) ﴿وهو الولي الحميد﴾ (٢٥٧) ولكن الله رحمة بعباده أبقي للناس النبوة العامة التي لا تشريع فيها وأبقى

لهم التشريع فى الاجتهاد فى ثبوت الأحكام وهى وراثه سليمانىة حيث أعطيت هذه الأمة المحمدية رتبة سليمان عليه السلام ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ (٢٥٨) وأبقى لهم الوراثة فى التشريع فقال العلماء وراثه الأنبياء، فإذا رأيت النبى يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو ولى وعارف.

والولاية هى سر العناية لا تنال بحيلة ولا تدرك بطلب.

ياقوتة فى الوهاب الرزاق

العطايا إما ذاتية أو أسمائية، فالعطايا الذاتية لا تكون إلا عن تجل إلهى والتجلى من الذات لا يكون إلا بصورة استعداد المتجلى له فالمتجلى له ما رأى سوى صورته فى مرآة الحق، وما رأى الحق ولا يمكن أن يراه، واجهد فى نفسك عندما ترى الصورة فى المرآة أن ترى جرم المرآة، لا تراه أبدا فلون الماء لون إنائه، فهو تعالى مرآتك فى رؤيتك نفسك وأنت مرآته فى رؤيته أسمائه وظهور أحكامها «المؤمن مرآة المؤمن، فتارة تكون المؤمن الأولى اسم من أسمائه تعالى وتارة تكون الثانية، وهذه العطايا هى لأهل الفتح والوصول وكلها من حضرة اسمه الوهاب، فيعطى لينعم ولا يكون مع

الواهب تكليف المعطى له بعوض على ذلك من شكر أو عمل، لأنها وهب والهبة لا تقتضى العوض.

وعطايا الأنبياء عليهم السلام مواهب على طريق الإنعام والإفضال لا يطلب عليها منهم جزاء ﴿ووهبنا له اسحاق﴾ (٢٥٩) ﴿ووهبنا له أهله﴾ (٢٦٠) ﴿ووهبنا له من رحمتنا﴾ (٢٦١)، ولما طلب الشكر على ذلك العمل طلبه من آل داود ولم يتعرض لذكر داود عليه السلام، ليشكره الآل على ما أنعم به على داود عليه السلام، فهو في حق داود عليه السلام عطاء نعمة وإفضال من اسمه الوهاب، وفي حق آل غير ذلك، وإن كانت الأنبياء عليهم السلام قد شكروا الله على ما أنعم به عليهم فلم يكن ذلك على طلب من الله بل تبرعوا بذلك من نفوسهم.

وهذه المواهب والعطايا لا تكون عن سؤال أصلا، وإن كانت عن سؤال فيكون هذا السؤال بأمر إلهي خاص، ويكون للطالب الأجر التام على طلبه، فمن أعطاه الله ما أعطاه بسؤال عن أمر إلهي فإن الله لا يحاسبه به في الدار الآخرة، ومن أعطاه الله ما أعطاه بسؤال عن غير أمر إلهي فالأمر فيه إلى الله إن شاء حاسبه وإن شاء لم يحاسبه.

أما العطايا الأسماوية، فما من مخلوق إلا أصابته تلك العطايا بل ولا حياة له إلا بها فأوجده وخلقه باسمه الباري واسمه الخالق والخالق، ورزقه باسمه الرزاق، وأمدّه باسمه السميع فأسمعه والبصير

فأبصره فجعله بصيرا، وأعطاه قوته من حضرة اسمه القادر وحكمه في غيره باسمه المقتدر.

فتارة يعطى الله تعالى على يدي الواسع فيعم أو على يدي الحكيم فينظر في الأصلح في الوقت أو على يدي الوهاب فيعطى لينعم بغير طلب، ولما قال تعالى في حق الكل ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ (٢٦٢) اختص سليمان عليه السلام بأن التسخير كان عن أمره ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ (٢٦٣) وليس من كونه تسخييرا عن أمر الله، وهذا النوع الوهبي لا ينقص صاحبه شيئا من آخرته ولا يحسب عليه لقوله تعالى ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾ ولم يقل لك ولا لغيرك ﴿فَاْمَنَنْ﴾ أى اعط ﴿أو أَمْسَكَ بغير حساب﴾ (٢٦٤) فعلمنا أن سؤال سليمان عليه السلام ذلك كان عن أمر ربه، أما رسول الله ﷺ فقد عرض عليه أن يكون نبيا ملكا يدين له العالم سفليه وعلويه بغير أن ينقص ذلك مما له عند الله في الآخرة فأبى إلا أن يكون نبيا عبدا تواضعا لله تعالى فما أرفعه من مقام.

فالوهاب يكون من غير عوض، والعطايا تكون لطلب عوض وصاحب اسم الوهاب يقوم بالإحسان إلى نفسه، وإلى كل عباد الله بدون طلب شكر إلا لمجرد الإنعام ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ (٢٦٥).

ياقوتة في الرحمن الرحيم

فالرحمن هو رحمة الامتنان وهي رحمة ذاتية ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ (٢٦٦) حتى وسعت أسماءه فلا يخلو عنها شيء حتى العدم وسعته فأوجدته فصارت مرتبة العدم معروفة موجودة «سبقت رحمتي غضبي» وهي رحمة تحصل من الله بدون مقابلة عمل بل عناية سابقة كإعطاء الوجود والقدرة وغيرها.

والرحيم هي رحمة الوجوب وهي رحمة صفاتية ﴿فسأكتبها للذين يتقون﴾ (٢٦٧) فدخل الرحيم في الرحمن دخول تضمن يعنى دخول الخاص تحت العام ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ (٢٦٨) وهي تحصل بمقابلة عمل كإعطاء الثواب على الأعمال في الجنة، يعنى أن العبد من حيث أنه عبد يجب عليه إتيان أوامر مولاه فلا تجب الرحمة على المولى في مقابلة شيء فإذا أوجب المولى على نفسه لعبده شيئاً في مقابلة عمله يستحق العبد ذلك الشيء بسبب عمله، فوصول ذلك الشيء للعبد من المولى امتنان وعطاء محض، ولذا قالوا: الجنة فضل إلهي فلا يستحقها العبد إلا بفضل الله، فكان وجوب الرحمة من وجوب الامتنان، فامتن بالرحمن وأوجب بالرحيم.

حتى العذاب فإن الله تعالى يعذب رحمة لغضبه ليزول الغضب وتشمل الرحمة من حقت عليه كلمة العذاب فبرحمته عذب من عذب لأنه لولا العذاب لتسرمد الغضب وهو أشد من العذاب، وهكذا العارفون، فترى الخضر ما قتل الغلام إلا رحمة به وبأبويه لأنه لو

عاش لدخل النار بكفره، أما إذا مات صغيراً فهو إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، وما دعا رسول الله ﷺ على رعل وذكوان إلا رحمة لهم حتى لا يزدادوا كفراً وعناداً حتى ينفذ غضبه الله فيهم فلا تتصرف فيهم مرتبته، ولذلك قال إبراهيم عليه السلام ﴿يَأْتِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابُكَ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ فكان العذاب من حضرة الرحمة برز، ولما استوى الحق تعالى على عرشه الذي هو محيط بالوجود كله استوى باسمه الرحمن.

وقلب العارف هو من رحمة الله تعالى وهو أوسع منها، فعن أبي عتبة الخولاني رفعه «إن لله آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين».

رواه الطبراني بسند صحيح

وفي الحكم «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن»، فقلب العارف أي: روحه وسع الحق تعالى ورحمته لا تسعه جل جلاله فالحق راحم ليس بمرحوم فلا حكم للرحمة فيه فيكون القلب أوسع، قال أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه لو أن العرش ومثله ألف ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف لما أحس به لأنه بيت الله تعالى، فقلب وسع القديم كيف يحس بالمحدث فإن المحدث إذا قرن بالقديم لم يبق له أثر.

وفي المنازل، من جعل قلبه بيتي، وأخلاه من غيري ما يدرى أحد ما أعطيه فلا تشبهوه بالبيت المعمور، فإنه بيت ملائكتي لا بيتي

ولذلك لم أسكن فيه خليلي إبراهيم بل جلس سائدا ظهره إليه عليه السلام وما دخله، وبهذا القلب كانت أمة رسول الله ﷺ خير الأمم لأن ما كان في قلبها من الأم شهادة فهو فيها غيبا فالسكينة نزلت في تابوت طالوت وهي في قلوب المؤمنين من هذه الأمة ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾ (٢٦٩) لا يدركها إلا أهل الأذواق من هذه الأمة فكل صفات الأم كانت أجنبية عنهم، أما علامة هذه الأمة ففي قلوبهم ولذلك قيل لهذه الأمة «استفت قلبك، ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾» (٢٧٠).

وورثة الأنبياء السابقين يعرفهم الخاص والعام، أما وارث رسول الله ﷺ فلأن سره في قلبه ولا يظهر على ظاهره منه شيء فلا يعرفه إلا الخاص لأن خرق عادته إنما هو حال وعلم في قلبه فهو في كل نفس يزداد علما بربه ناتج من الطمأنينة التي يجدها فيه، ألا ترى رسول الله ﷺ كيف أسرى به إلى المقام الذي قد عرفت فلما خرج إلى الناس بكرة تلك الليلة أنكر عليه بعض الصحابة لكونهم ما رأوا لذلك أثرا في الظاهر، وموسى عليه السلام لما جاء من عند ربه كساه الله تعالى نورا على وجهه يعرف به صدق ما ادعاه.

فمن جعل الله آيته في قلبه وكان على بينة من ربه كساه الله الصفة الحجابية غيرة منه عليه فقد ملأ يديه من الخير.

ومن رحمته تعالى الغيرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن الله يغار».

متفق عليه

وغيرته تعالى أن حرم المحارم ﴿ يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا ﴾ (٢٧١) فغار على عبده أن يرى غيره فتجلى له في صورة كل شيء ﴿ وله المثل الأعلى في السموات وفي الأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ (٢٧٢) وغار على عبده فستره عن الكون، فسبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ولم يوصلهم إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه.

قال الشيخ أبو العباس المرسى معرفة الولي أصعب من معرفة الله فإن الله تعالى معروف بكماله وجلاله ومتى تعرف مخلوقاً مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب، ومن غيرته تعالى أن ستر نفسه بك فأنت ظاهره وهو باطنك من حيث أن العبد محبوب يتحكم على محبه فيدعوه فيستجيب له ويرضيه فيرضى ويسخطه فيعفو ويصفح مع نفوذ قدرته وقوة سلطانه إلا أن سلطان الحب أقوى، فالأولياء خلقهم تعالى له لا للخلق فإن أمرهم بالظهور ظهرُوا وإن خيرُوا اختاروا الستر، أما الأنبياء فمأمورون بالظهور فالأولياء غالباً مجهولون عند الناس في الدنيا ولا تطلب منهم الشفاعة في الآخرة لعدم معرفة الناس بهم ولأن الشفاعة لا تمثل عندهم كبير خطر، قال أبو يزيد رضى الله عنه لو شفعتى الله فى جميع الخلائق يوم القيامة لم يكن ذلك عندى بعظيم لأنه ما شفعتى إلا فى لقمة من طين.

وفى المنازلات، من غار على لم يذكرنى، أى: إذا كسانوا فى العامة لم يذكروا الله جهاراً لأنهم لو ذكروه جهراً سمع الغافلون الذكر فذكروا الله بقلوب غافلة فغاروا على الله أن يذكر بقلوب غافلة ومنه

قوله ﷺ في الحديث الذي أخرجه أبو داود وابن خزيمة عن ابن عباس رضي الله عنه «كرهت أن أذكر الله إلا على طهر، وهو صحيح وذلك أن رجلا سلم على رسول الله ﷺ فلم يرد عليه السلام وتتحى إلى الجدار فتييم وقاله.

أغار عليها أن أهيم بحبها وأعرف مقداري فأنكر غيرتي واعلم أن من غار على الله لم يعرفه إنما يغار له لا عليه، فأهل الظاهر غاروا لله وأهل الباطن غاروا على الله أما الملائكة فغاروا أن يعبدوا تعالى غيرهم فقالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يَفْسُدُ فِيهَا﴾ (٢٧٣) وما رأوا في هذا إلا نفوسهم ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (٢٧٤) فليس للملائكة فناء في الله كالعارفين من البشر ولكنهم دوما يعبدون الله على الخشية والعارفون يعبدون الله على الحب دوما.
عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «مررت ليلة أسرى بي بالملأ الأعلى وجبريل كالحلس البالي من خشية الله».

رواه الطبراني في الأوسط

وأناس غاروا على الله أن يذكره غيره فهم يشهدون أن الله هو الذاكر نفسه بلسان عبده فذكروه، وهم يعلمون أنهم ما ذكروه، ومثاله أن الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده في الصلاة، فالله تعالى هو القائل على لسان عبده فهذا العبد هو الذاكر الصامت وهؤلاء يقول لسان حالهم.

بذكر الله تزداد الذنوب وتحتجب البصائر والقلوب وترك الذكر أفضل منه حالا فإن الشمس ليس لها غروب

وصاحب هذه الغيرة لا يكون له دلال مع الله أبداً، إذاً صاحب حشمة أبداً، قيل المشبلى متى تستريح فقال إذا لم أر الله ذاكراً، أى أن المحب غيور على محبوبه فرأى أنه لا يليق بذلك الجنب العالى إدلال المحبين إلا المحبين الموصوفين بالغيرة فإنهم لا إدلال لهم لما غلب عليهم من التعظيم فهم لا يظهرون عند العالم بأنهم من المحبين، فبقدر دلالك على الله بقدر نقص عبوديتك، وما صاحب إدلال إلا تغير عند موته لما فاته من العبودية.

تركوا الحق ليتصرف لهم فلا يتصرفون لأنفسهم، إذا ظهرت منهم الخوارق فهم غير قاصدين لذلك لأنها صدرت منهم ولم تصدر عنهم، قيل لأبى مدين فى تمسح الناس به أما تجد فى نفسك من ذلك أثراً فقال هل يجد الحجر الأسود فى نفسه أثراً يخرج به عن حجريته إذا قبلته الرسل والأنبياء؟ قيل لا قال أنا ذلك الحجر.

فالمعرفة لا تترك للهمة تصرفاً فكما علت المعرفة نقص التصرف بالهمة لتحقيقه بمقام العبودية، والنظر إلى أحدية المتصرف والمتصرف فيه فلا يرى على من يرسل همته فيمنعه ذلك من التصرف ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ ثم قال له الحق هذا الأمر الذى استخلفتك فيه اتخذنى وكيلاً فيه، حتى أن بعض الأبدال سأل الشيخ أبا مدين فقال لم لا يعتاص علينا شيء وأنت تعتاص عليك الأمور ونحن نرغب فى مقامك وأنت لا ترغب فى مقامنا، وقال ﷺ فى هذا المقام ﴿ولا أدري ما يفعل بى ولا

بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي ﴿٢٧٥﴾ فإن أوحى إليه بالتصرف بجزم تصرف وإن منع امتنع وإن خير اختار ترك التصرف ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ ﴿٢٧٦﴾ والدلال غالبا يلقي صاحبه في الزلات وزلات الأكابر غالبا في نزولهم إلى المباحات أو قيل لهم على سماع منهم «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فما خالفوا وما تصرفوا إلا فيم أبيح لهم فإن الغيرة الإلهية تمنع أن ينتهك المقربون عنده حرمة الخطاب الإلهي فما عصوا ظاهرا ولا باطنا.

وأخص الغيرة على أهل بيت رسول الله ﷺ حيث أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، والرجس هو القذر عند العرب فلا يضاف إليهم إلا مطهرا ولا يضيفون هم لأنفسهم إلا من له حكم الطهارة والتقديس فهذه شهادة من النبي ﷺ لسلمان من الطهارة والحفظ الإلهي حيث قال «سلمان منا أهل البيت».

رواه الطبراني والحاكم عن عمرو بن عوف رضي الله عنه بسند صحيح

ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلا في الدار الآخرة، فإنهم يحشرون مغفورا لهم أما في الدنيا فمن أتى منهم حدا أقيم عليه مع تحقق المغفرة ولا يجوز ذمه ونعتقد أن جميع ما يصدر من أهل البيت إنما هو معفو عنه مغفور لهم كيف وقد شهد لهم بذهاب الرجس وهي الذنوب.

وجعل حبهم من حب رسول الله ﷺ وجعل بغضهم من خيانة الله ورسوله ﴿قل ما أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾ ﴿٢٧٧﴾

العدم ما تحمل ذلك إلا رسول الله ﷺ فكان أول سامع وأول مجيب فلما أوجد تعالى حقيقة رسوله ﷺ ونوره تجلى عليه تعالى بكل تجل هو متجليه على كل مخلوق حتى العذاب «أشد الناس بلاء الأنبياء، وظل يتجلى عليه إذ أنه أول موجود أوجده ما شاء الله من الزمان ليس هناك موجود غيره» أول ما خلق نور نبيك يا جابر، ثم شفع رسول الله ﷺ في المخلوقات التي في العدم أن يخرجها تعالى إلى الوجود والرحمة، فقال له ربه إنهم لا يتحملون ولكنني أحبيتك أنت فكنت لك سمعا وبصرا وكنت جميع قواك فمرهم أنت بالتكوين فأمرك أمري وقولك قولي فأمرهم رسول الله ﷺ فلما سمعوها منه حسبوا أنهم سمعوها من الحق وصدقوا ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ (٢٧٨) فهو أمرهم وهو ممدهم وهو حجابهم الأعظم فلا يعرفون ربهم إلا من خلاله ﷺ والآية الكريمة تقول ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك * قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآيتنا يؤمنون * الذين يتبعون النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾ (٢٧٩) فرحمتي في الآية هي رسوله ﷺ حتى أنها وسعت العذاب فكل تجل سيتجلى به تعالى على مخلوق أودعه رسوله ﷺ «إنما أنا قاسم» ثم يقسمه رسوله ﷺ على أصحابه وانظر إلى قوله يأمرهم وينهاهم ويحل ويحرم

فهو وأهل بيته على السواء في المودة، فلو صحت محبتك لله ولرسوله أحببت أهل بيت رسول الله ﷺ ورأيت كل ما يصدر منهم في حق مما لا يوافق طبعك ولا غرضك إنه جمال تنعم به بوقوعه منهم فتعلم عند ذلك أن لك عناية عند الله الذي أحببتهم من أجله حيث ذكرك من يحبه وخطرت على باله وهم أهل البيت فتشكر الله تعالى على هذه النعمة فإنهم ذكروك بألسنة طاهرة بطهر الله طهارة لم يبلغها علمك وإذا رأيناك على ضد هذه الحالة مع أهل البيت الذي أنت محتاج إليهم ولرسوله ﷺ حيث هداك الله به فكيف أثق أنا بوجدك، وقال أحد العلماء كنت أكره ما تفعله الشرفاء بمكة في الناس فرأيت في النوم فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهي معرضة عني فسلمت عليها وسألتها عن إعراضها فقالت إنك تقع في الشرفاء فقلت لها ياستى ألا ترين إلى ما يفعلون في الناس فقالت أليس هم منى فقلت لها من الآن وتبت فأقبلت على.

فلا تعدل بأهل البيت خلقا فأهل البيت هم أهل السادة
فبغضهم من الإنسان خسر حقيقى وحبهم عبادة

وقال رسول الله ﷺ «إنما أنا رحمة مهداة» فإذا رحم الحق باسمه الرحمن أو الرحيم فإنما يرحم برحمة، ورحمة في الحديث نكرة تفيد التعميم فما رحم تعالى إلا برسوله ﷺ إذ كان الوجود في عدم العدم فلما تجلى عليهم الحق أخرجهم إلى العدم ليس لهم فيه إلا السمع عن الله تبارك وتعالى فلما أمرهم تعالى بالتكون والخروج إلى الوجود من

فهم لا يعرفون غيره ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (٢٨٠) وهي عامة في كل العالمين حتى الملائكة حتى جبريل ما استراح وأمن سوء العاقبة إلا بعد نزول قوله تعالى ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (٢٨١) روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال «لا تمس النار مسلما رآني ولا من رأى من رآني» فالمسلم هنا نكرة تفيد عموما فكل نبي مسلم وكل من آمن بنبي في حياته قبل مجيء نبي آخر فهو مسلم فمن رآه من هؤلاء رؤية التعظيم في الدنيا أو في الآخرة قبل وروده النار فلن تمسه النار.

ياقوتة في الحسن والمحنة

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إنما الأعمال بالنيات».

رواه الستة

ومعناه أن قوام كل عمل نية عاملة كما أن قوام الجسم بالروح وقوام النبات بالماء.

الروح للجسم والنيات للعمل	تحيا به كحياة الأرض بالمطر
فتبصر الزهر والأشجار بارزة	وكل ما تخرج الأشجار من ثمر

فعندما يبرز أى عمل إلى الوجود فإنه تسبقه نية عاملة ومن هذه النية تخرج صورة محسوسة ملموسة يراها أهل الفتح والشهود وهذه الصورة هي قوام هذا العمل وعلى قدر قوة هذه الصورة يرفع هذا العمل إلى مكانه، ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ (٢٨٢) فتكون هذه الصورة كالمطية للعمل، فإما إلى أعلى عليين وإما إلى أسفل سافلين، وعلى إخلاص هذه الصورة وبهائها أو على خبثها وفتنها يكون الحساب، ﴿وحصل ما فى الصدور﴾ (٢٨٣) ولا عبرة بعمل لا تسبقه النية الصالحة، قال ابن عطاء الله السكندرى رحمه الله فى الحكم (رب ذنب أورث ذلا وانكسارا خيرا من طاعة أورثت عزاء واستكبارا) وتكون لهذه الصورة رائحة طيبة يخجل من عرفها المسك أو رائحة منتنة تتباعد عنها الملائكة.

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال «إذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلا من نتن ما جاء به».

رواه الترمذى بسند صحيح

وأولو العلم بالله تعالى يشمون تلك الروائح التى تخرج من الأعمال فهم والملائكة سواء ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم﴾ (٢٨٤) فالملائكة وأولو العلم يشهدون وسائر الناس يعلمون فقط، وكتب السنة المطهرة تفيض بما قدمنا:-

ففى حديث البراء بن عازب رضى الله عنه الذى رواه أحمد رحمه الله بسند صحيح فى مسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال «ويأتية

رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذى يسرك
هذا يومك الذى كنت توعده فيقول من أنت فوجهك الوجه يجيئ
بالخير فيقول أنا عمالك الصالح.

وفى الحديث أيضاً يصف حالة أهل العصيان.

«ويأتية رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر
بالذى يسوءك هذا يومك الذى كنت توعده فيقول من أنت فوجهك
الذى يأتى بالشر فيقول أنا عمالك الخبيث».

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «من صلى الصلاة
لوقتها وأسبغ لها وضوءها وأتم لها قيامها وخشوعها وركوعها
وسجودها خرجت وهى بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتنى،
ومن صلى الصلوات لغير وقتها ولم يسبغ لها وضوءها ولم يتم لها
خشوعها ولا ركوعها ولا سجودها خرجت وهى سوداء مظلمة تقول
ضيعك الله كما ضيعتنى، حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف
الثوب الخلق ثم ضرب بها وجهه».

رواه الطبرانى فى الأوسط

فالعامل له صورة حسية يراها صاحبه وهى صورة ناطقة،
والصلاة تخرج بصورة حسية ناطقة أيضاً، وعن عبد الله بن عمر
رضى الله عنهما قال: بينما نحن نصلى مع رسول الله ﷺ إذ قال
رجل من القوم: الله أكبر كبيراً والحمد، كثيراً وسبحان الله بكرة

وأصيلاً، فقال رسول الله ﷺ : «من القائل كذا وكذا» قال رجل من القوم أنا يا رسول الله قال «عجبت لها فتحت لها أبواب السماء» .

رواه مسلم والترمذي والنسائي

فهذه الكلمات لها صورة مفخمة حملت ملائكة السماء على فتح أبواب السماء لها حين رأتها إجلالا لها وللموكب الذي صعد معها من الملائكة .

وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران - وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد - قال كأنهما غمامتان أو ظلتان (أى: سحابتان) سوداوان بينهما شرق (أى: ضوء) أو كأنهما حزقان (أى: جماعات) من طير صواف تحاجان .

رواه مسلم والترمذي

عن سلمان رضى الله عنه «أن رسول الله ﷺ خرج يعود رجلا من الأنصار فلما دخل عليه وضع يده على جبينه فقال كيف تجدك؟ فلم يحر إليه شيء فقليل يا رسول الله إنه عنك مشغول، فقال: خلوا بينى وبينه فخرج الناس من عنده وتركوا رسول الله ﷺ فرفع رسول الله ﷺ يده فأشار المريض أن أعد يدك حيث كانت ثم ناداه يافلان ما تجد قال أجدنى بخير وقد حضرني اثنان أحدهما أسود والآخر أبيض فقال رسول الله ﷺ أيهما أقرب منك قال الأسود قال إن الخير قليل

وإن الشر كثير قال فمتعنى منك يا رسول الله بدعوة فقال رسول الله ﷺ اللهم اغفر الكثير وأنم القليل ثم قال ما ترى قال خيرا بأبى أنت وأمى أرى الخير ينمى والشر يضمحل وقد استأخر عني الأسود.

رواه البزار

وتلك الصور التي تخرج من النية تكون على ثلاثة أحوال، إما ثابتة وإما مضاعفة، وإما متعددة متصرفة، فتكون ثابتة كما في قوله تعالى ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ (٢٨٥) وفي قول رسول الله ﷺ «فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وتكون مضاعفة كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال «إن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة أو محاهها ولا يهلك على الله إلا هالك».

رواه البخاري ومسلم

وقد تخرج من النية الصالحة صورة قوية متصرفة تتعدى إلى غير صاحبها فتؤثر في أرواحهم فتستخرج من نياتهم صور أعمالهم الصالحة وأرواحهم الطيبة، عن جرير بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام

سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء .

رواه مسلم

قال سيدى محيى الدين بن عربى رحمته الله خدمت امرأة صالحة فكانت إذا قرأت الفاتحة خرجت من قراءتها صورة على شكل امرأة حسنة وضيئة فتأمرها وتقول لها افعلى كذا وكذا وكانت تقول من معه الفاتحة فلا يحتاج إلى أحد وصدق الله إذ يقول ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ﴾ (٢٨٦) وكذلك تتعدى صور الأعمال الفاسدة والنيات الخبيثة فتتعدى على غيرها فتسبب لها الشرور والأسقام فيسمى حسداً، وإما باستنفار الشياطين فتسمى سحراً.

وكما أن للنية صورة تخرج لها فإن لكل معنى من المعانى صورة حسية يراها العارفون بالله تعالى، فعن مالك بن صعصعة رحمته الله فى حديث الإسراء الطويل قال رسول الله ﷺ «ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً فغسل قلبى ثم حشيت ثم أعيدت وفى رواية «فأتيت بطست من ذهب مملوءة حكمة وإيماناً» .

رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى

فالإيمان والحكمة شيئان معنويان ومع ذلك فقد تحيزتا فى طست من ذهب ورأهما رسول الله ﷺ رأى العين، وقال تعالى ﴿ فزادهم إيماناً ﴾ (٢٨٧) فالإيمان يزيد وينقص وهو مذهب أهل السنة والزيادة والنقصان من صفات الجواهر فأثبتوا أن الإيمان جوهر يرى ويحس،

والسكينة أمر معنوى ومع ذلك فإن أسيد بن حضير رضي الله عنه وهو يقرأ القرآن ليلة نزلت عليه مثل الظلة فيها أمثال السرج فلما غدا على رسول الله ﷺ فقص عليه ما رأى، قال رسول الله ﷺ «تلك السكينة تنزلت بالقرآن» .

رواه البخارى ومسلم والترمذى وأحمد

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب» .

رواه مالك ومسلم والترمذى

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن تحت كل شعرة جنابة فاغسلوا الشعر وأتقوا البشرة» .

رواه أبو داود الترمذى

ووزن الأعمال يوم القيامة وهى شىء معنوى ولكن الأعمال جاءت لها صورة حسية توضع على الميزان وتوزن، والإتيان بالموت على صورة كبش أقرن يوم القيامة وذبحه بين الجنة والنار.

وبالمثل كما أن للمعنويات محسوسات فإن للمحسوسات أيضاً أموراً معنوية وأرواحاً تسرى لا يحس بها ولا يشاهدها إلا أهل الشهود، فكل

ماحولنا من جمادات وطيور وحيوانات ونباتات فإنها تسبح وتعقل وتتعرف وتنطق، قال تعالى ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ (٢٨٨) ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطيور صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾ (٢٨٩) ﴿حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة....﴾ (٢٩٠) ﴿الذي أنطق كل شيء﴾ (٢٩١) وقال الله تعالى باسما الحوار الذي دار بين الهدد ونبي الله سليمان عليه السلام ﴿فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به...﴾ (٢٩٢)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال «كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منه فلما صنع له منبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار».

وهو حديث متواتر قال القاضى عياض رواه تسعة عشر صحابيا

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه «بينما راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فأخذها منه فألقى الذئب فقال للراعى ألا تتقى الله، حلت بينى وبين رزقى، قال الراعى العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك، رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق، فأتى الراعى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ له قم فحدثهم ثم قال صدق، والحديث فيه قصة وفيه بعض طول».

رواه أحمد والبيهقي وصححه البغوى وأبو نعيم بسند صحيح

عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قالوا وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي ﷺ دعاه فوضع مشفره على الأرض وبرك بين يديه فخطمه وقال «ما بين السماء والأرض شيء إلا يعلم أنى رسول الله إلا عاصى الإنس والجن» .

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لقد «كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل» وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود «كنا نأكل مع رسول الله ﷺ الطعام ونحن نسمع تسبيحه» .

رواه البخارى وأخرجه الترمذى وقال حسن صحيح

وقال أنس «أخذ النبي ﷺ كفا من حصى فسبحن فى يد رسول الله ﷺ حتى سمعنا التسبيح ثم فى يد أبى بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فسبحن ثم فى أيدينا فما سبحن» وروى مثله أبو ذر وذكر أنه سبحن فى كف عمر وعثمان رضى الله عنهما» .

أخرجه ابن عساکر فى تاريخه

روى أسامة بن زيد وقال: «قال لى رسول الله ﷺ فى بعض مغازيه: هل؟ يعنى مكانا لحاجة رسول الله ﷺ - فقلت إن الوادى ما فيه موضع من الناس، فقال هل ترى من نخل أو حجارة؟ قلت أرى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن إن رسول الله ﷺ يأمركن أن تأتين لحاجة رسول الله ﷺ وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذى بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن،

والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال
لى قل لهن يتفرقن فوالذى نفسه بيده لرأيتهن والحجارة يتفرقن حتى
عدن إلى مواضعهن، .

وضرب رسول الله ﷺ صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر
له أنه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب وأثبتهم .

رواه البخارى ومسلم

فلا بد أن شيئاً حسياً انتقل من يده الشريفة وسرا ملموساً انتقل عن
طريق هذه الضربة أو خلق عند هذه الضربة ولا غرو فإنها ورائة
إلهية، فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال «أتانى ربي
عز وجل الليلة فى أحسن صورة - أحسبه يعنى فى النوم - فقال
يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملائة الأعلى ؟ قال: قلت: لا قال النبى
ﷺ فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثدى فعلمت ما
فى السموات وما فى الأرض» .

رواه أحمد وعبد الرزاق بسند صحيح

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ «نخس جملاً كان لجابر رضي الله عنه
وكان قد أعبى فنشط حتى كان ما يملك زمامه» .

وروى البخارى أن أبا هريرة شكا إلى رسول الله ﷺ النسيان فأمره
ببسط ثوبه وغرف بيده ثلاث مرات ثم أمره بضمه ففعل فلم ينس
شيئاً بعد» .

وكذلك انتقلت الأسرار والأنوار من الأولياء إلى من يريدون من المخلصين بطريق المصافحة أو يلمسه بيده أو يلبسه بعض ثيابه أو يعطيه من يديه لقمة أو ينظر إليه نظرة خاصة بإذن خاص فتنتقل الأنوار والأسرار على شكل صور محسوسة متعددة متصرفة، ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ (٢٩٣).

أما الهممة فهي التوجه إلى العمل لإخراجه إلى الوجود مع العزم الأكيد ﴿ولقد همت به﴾ (٢٩٤) فمهما توجهت الهممة إلى شيء أنفعل لها هذا الشيء، فالهممة قاهرة لجميع الأكوان متى تعلقت بمطلوب وسعت في طلبه على الجادة المستقيمة بحيث لا ينالها في طلبه سآمة ولا رجوع عنه ولم ينلها شك ولا تردد في نيله بل كان باعتقاد أن تناله أو تموت في طلبه اتصلت بمطلوبها ولو كان وراء العرش.

ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة، والملائكة لا تكتب إلا ما تراه من قول أو فعل فلا بد أن تكون خرجت من هذه الهممة صورة مرئية للملائكة حتى تكتبها، وهذه هي عين الهممة التي أوجد بها السحرة في خيالات الناس صوراً لحيات وأفاعي ﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ (٢٩٥) فالعصى والحبال هي العصي والحبال لم تنقلب ولم تتحرك ولكنها خيالات في أعين الناظرين، فلما ألقى موسى عصاه ﴿فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾ (٢٩٦) ﴿إنما صنعوا كيد ساحر﴾ (٢٩٧) فالسحرة لم يصنعوا الحبال ولا العصي ولكن صنعوا صور الحيات في

مخيلة الناظرين، فعصى موسى تلقفت والتقف لا يكون من على الأرض ولكن يكون من علو فتلقفت العصا ما صنعه السحرة بهمهم من صور الحيات فنظر الناس فإذا العصى هي العصى والحبال هي الحبال فعرفوا بطلان ما جاء به السحرة، ولو أن عصا موسى تلقفت الحبال والعصى التي كانت تسعى لظن الناس أن هذا السحر من جنس ذاك السحر ولكنه سحر أقوى، أما إذا تلقفت الصور والخيالات وتركت لهم العصى والحبال فهو دليل على بطلان سحرهم.

ومعجزات الأنبياء دوما لا تكون عن همة ولا عن انفعال لأسماء وليست عن حيلة، والأنبياء لا علم لهم بذلك فسميت معجزة، أى: يعجز البشر كان ما كان عن الإتيان بمثلها إنما هي من الله وبالله، وبتلك الهمة أتى الذى عنده علم من الكتاب بعرش بلقيس فى أقل من طرفة عين ولكن العرش لم يقطع مسافة ولا زويت له الأرض ولكن بهمته أعدمه هناك وأوجده هنا، وهذا علم تجديد الخلق مع الأنفاس والإنسان لا يشعر به فى نفسه أنه فى كل نفس لا يكون ثم يكون ولكنه لا يحسه لقصر الزمن بينها، ولما سأل رجل عليما الأسود رضي الله عنه أن يحول اسطوانة المسجد وكانت من رخام إلى ذهب، فتوجه إليها بهمته فإذا هي كلها ذهب فتعجب الرجل فقال له عليم ياهذا إن الأعيان لا تنقلب ولكنها أصبحت ذهبا فى عين الرائي فقط ثم أن الرجل أبصرها بعد ذلك حجرا، وإنما كساها من خلقها تلك الكسوة فى عين الرائي بهمة هذا الشيخ الجليل.

وأنت إذا طالعك الله على حقيقتك وجدت نفسك عبدا محضاً عاجزاً ميتاً ضعيفاً عدماً لا وجود لك ثم يكسوك الله تعالى صور الأسماء الإلهية فتظهر بها عنه تعالى «يا عبدي كلّم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، فأول ما يلبسه الإنسان هو الوجود ثم بعد ذلك يقبل جميع ما يخلع عليه من الأسماء الإلهية فيتصف عند ذلك بالحي والقادر والعليم والمريد والسميع والبصير والمتكلم والشكور والرحيم ومع ذلك لا يزول عن الإنسان حقيقة كونه عبداً إنساناً، فأنت لا تخلو عن صورة إلهية تظهر فيها، وقد يكسو الله من أسمائه حجراً كالكعبة فيكسوها أنواراً وتعظيماً وإجلالاً فمن رآها حجراً فإنما عبد الأوثان ومن رأى الكسوة الإلهية فإنما عبد الرحمن.

وأعظم الناس همّة أهل الليل فلهم المعراج والله تعالى النزول إلى سماء الدنيا فيلقاهم الحق في الطريق فيضع عليهم تعالى كنفه، فمن ألهم من تلقاها الحق في السماء الدنيا، ومنها من يلقاها عند العرش في أول النزول فيعطى لتلك الهمم من المعاني والمعارف والأسرار على قدرها ثم ينزلون في كنف الله تعالى إلى سماء الدنيا فتقف الهمم بين يديه تعالى ويستشرف الحق على من بقى من الهمم من أهل الليل في محاريبهم وما عرجت بعد إذ أنها لا تستطيع الخروج فيعطيه ما يسألون.

وكذب من ادعى محبة الله فإذا جنه الليل نام عنه، أليس كل محب يطلب الخلوة بحبيبه.

ياقوتة في مراتب العلماء

إن الله تعالى خلق الخلق على مراتب وأهلهم لما أراد بهم من مواهب فثبتت المقامات بالقرآن الكريم وجاء الحديث الشريف بمقام الإحسان لعبد يعبد الله كأنه يراه، وآخر بمقام الحب حتى يكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه، ولكل مقام أهل وطلاب، فمن هذه المقامات ولسان أهلها تكلم رجال فأنكر عليهم من لم يكن له هذه الحال وتوهم أنهم حازوا كل المراتب فلا يعرفون معنى للتقوى ولا للزهد ولا للورع ولا للأخوة إلا ما تعرفوا عليه في زمانهم وصدق الحسن البصري رحمته الله وهو يصف الصحابة للتابعين فيقول: لقد أدركت رجالا لو رأيتموهم لقلتم إنهم مجانيين ولو رأوكم لقالوا إنكم لم تؤمنوا قط، وهناك فرق بين أن تقول إن هذا الكلام ما قاله أحد لا الرسول ﷺ ولا الصحابة وبين أن تقول ما بلغنا دليل على أنه ما وقع، فمن المعلوم أن الرسول ﷺ صحبه أصحابه ثلاثة وعشرين عاما يعلمهم بالليل والنهار في الحل والترحال في السلم والحرب، ولو جمع منصف عاقل ما بلغ إلينا من حديث رسول الله ﷺ ما جمع ما يكفي لشهر واحد من هذه الصحبة.

وعن عمرو بن أخطب الأنصاري رحمته الله قال صلى رسول الله ﷺ يوما الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضر الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى وخطبنا

حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن إلى يوم القيامة
قال فأعلمنا أحفظنا، .

رواه مسلم وأحمد

ولم يذكر الصحابي شيئا مما قاله رسول الله ﷺ وانتقل رسول الله
ﷺ إلى جوار ربه عن أكثر من مائة ألف صحابي كلهم روى
الحديث عنه فماذا بلغنا منهم أو عنهم، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه
أقرب أصحاب رسول الله ﷺ وأصدقهم به ما روى عنه إلا بضعا
وتسعين حديثا.

ثم اعلم أنه ليس كل من فهم الكلام فهم عن المتكلم وأن كل من
فهم عن المتكلم فقد فهم الكلام فحين نزول قوله تعالى
﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ (٢٩٨) فتلاها على
بلغاء قريش فضجت الصحابة وقالت من منا لم يظلم نفسه فقال ﷺ
«ليس هذا إنما هو الشرك»، فهؤلاء الصحابة فصحاء العرب فهموا الكلام
ولم يفهموا قصد المتكلم ويقول تعالى ﴿ففهمناها سليمان﴾ (٢٩٩) مع
أن كليهما رسول فهلا اتهمت فهمك يا أخى بدلا من أن تقع فى
أعراض أولياء الله وخاصته، وهذا كله فيما يظهر من الأحكام
والآيات فما بالك بالأذواق فإنهم أشد اختلافا لأن كلا منهم له ذوق
خاص به ولذلك قال الجنيد رحمه الله لا يبلغ أحد درج الحقيقة حتى
يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق وهذا موسى عليه السلام قد اختلف
ذوقه مع الخضر رضي الله عنه.

والعلوم على ثلاث مراتب، علم العقل وعلم الأحوال وعلم الأسرار.

فأما علم العقل: فهو كل علم يحصل لك ضرورة، أو عقيب نظر في دليل كعلم الفقه والحديث والطب والحساب وغيرها، وعلم الأحوال: لا سبيل إليه إلا بالذوق فلا يقدر عاقل أن يقيم على معرفتها دليلاً كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع والعشق والوجد والخشوع والرضا وغيرها وهذا العلم وما بعده هو المقصود بحديث رسول الله ﷺ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال كنا مع النبي ﷺ فشخص بنظره إلى السماء ثم قال «هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدر من علمه على شيء» فقال زياد بن لبيد الأنصاري كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرأه ولنقرئنه أبناءنا ونساءنا فقال رسول الله ﷺ «تكلتك أمك زياد إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود فماذا تغني عنهم» قال جبير فلقيت عبادة بن الصامت فقلت ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء فأخبرته بالذي قال فقال صدق أبو الدرداء أن شئت أحدثك بأول علم يرفع، أول علم يرفع من الناس الخشوع يوشك أن تدخل المسجد الجامع فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً.

رواه الحاكم وابن حبان بسند صحيح ورواه الترمذي وحسنه

فسمى الخشوع علماً وهو ذوق، وهذا علم لا يؤخذ من كتاب ولا يعرف من كلام، إنما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء بدليل

أنه يموت بموت العلماء به مع وجود العلم المدون في الكتب ومع وجود القرآن الكريم وما أجمل قول رسول الله ﷺ «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا».

رواه أحمد ومسلم والترمذي عن العباس بن عبد المطلب

والمرتبة الثالثة من العلوم هي علم الأسرار: وهو علم فوق طور العقل، ولا غرو فإن هذا العقل ما أعجزه أن يعرف طعم شيء لم تذقه الجوارح فهو عاجز عن معرفة حلاوة العسل مثلاً ما لم يذقه اللسان، وهذا في الأذواق فما بالك بالأسرار، يختص الله بهذا العلم الأنبياء والأولياء ولا يدرك بداية إلا بالروح، ثم بعد ذلك قد يدخل تحت طور العقل أو الذوق كالجنة والنار وحوض الرسول ﷺ والصلاة والقرآن فكل هذه كانت أسراراً، فالقرآن والصلاة المعروفة كانتا سرا حتى على الأنبياء والملائكة حتى أهديت إلى رسول الله ﷺ بطريق روحاني بحث فلما أخبر بها أدركناها بعقولنا علماً ويقلوبنا ذوقاً، وهي على ثلاث مراتب أولها إشارة:-

وهو ما يرد على القلوب من معان زائدة عما يفهمه عامة الناس وعلمائهم من قرآن كمن قرأ قوله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (٣٠٠) فغاب عن وعيه من شدة فرحه برسول الله ﷺ ومن قرأ قوله تعالى ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (٣٠١) فورد عليه وارد قوى جعله يتوب عن السرقة ويصبح من كمل الأولياء ومن قرأ ﴿وَنفُخُ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ (٣٠٢)

فخر ميتا من شدة ما تجلى له من معنى ومن قرأ ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ (٣٠٣) فعلم أنه من تفكر في ذات الله تعرض للهلكة ومن قرأ ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ (٣٠٤) فعلم أنه لا فتح إلا بعد الانتصار على النفس وغيرها، أو من حديث كقول رسول الله ﷺ «المؤمن مرآة المؤمن، فمَنهم من فهم فيه معنى زائدا، وهو أن لفظ المؤمن الثانى هو اسم من أسماء الله فكان الإنسان المؤمن هو مرآة صافية تتجلى فيها صفات الله تبارك وتعالى، أو من شعر فمَنهم من سمع جارية تنشد وتقول:

قال الرسول غدا نزور قلت تعقل ما تقول
فتذكروأنهم فى الجنة يأتهم رسول من ربهم كل جمعة يبشرهم
بزيارة ربهم لهم فغشى عليه أو كقول الشاعر
رق الزجاج ورقّت الخمر...
فالأقداح أشباح والخمور أقداح
فانكسرت الأوانى وسطعت المعانى.
وثانيها رمز:-

كقوله تعالى ﴿ كهيعص ﴾ وقوله ﴿ ألم ﴾ ﴿ ألر ﴾ وغيرها فهذه الأحرف النورانية لها معان كموج البحر، ومن قال أن فى القرآن حرفا ليس له معنى فقد قال الجمهور بكفره ذكره النووى فى الآداب فهى رموز على تلك المعانى لا يكشفها الله تعالى إلا لأهل الخاصة والمشاهدة، وقال رسول الله ﷺ لأبى بكر رضى الله عنه «أتذكر يوم يوم؟

فقال: بلى "وقال عمر: رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يتكلم مع أبى بكر فى التوحيد وأجلس بينهما كأنى أعجمى.
وثالثهما سر:-

وهو ثمرة من ثمرات الحب فكل متحابين لابد وأن يكون بينهما سر لا يفشى وقول لا يذاع إلا عن تراضى منهما وتشاور، وهو على أنواع فمنه ما أخبر به رسول الله ﷺ عن أمر من الله.

فكاد بعض الناس أن يضل وذلك أنه ﷺ أخبرهم أنه أسرى به فى بعض ليلة إلى بيت المقدس على البراق وفى صحبة جبريل عليه السلام فارتد بعض من أسلم ولم تتحمل عقولهم السقيمة ذلك فكيف لو كان أخبرهم بالمعراج، ومن صدقه من المسلمين فهم على درجات من التصديق، فكما زاد تصديقهم كلما أباح بعضا من السر الذى لم يصلنا منه سوى بضعة أحاديث فنحن حتى الآن لم نعرف ما رآه ﷺ مفصلا فى هذه الرحلة المباركة إذ أنه من الأسرار.

ومن هذه العلوم والأسرار ما أخبر به الأمة جميعا كالصلاة والقرآن إذ أن السر فى ذلك ليس فى هيئة كالصلاة والتلفظ بالقرآن ولكن السر قد انطوى فيمن أحب من عباده ثم ترك للأرواح ميدانها تغترف كل روح منها على قدر استعدادها وأنوارها، وكإخباره عن الملائكة والجنة وما فيها والنار وما فيها وأهوال يوم القيامة وحساب القبر وغيرها كثير، فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «أذن لى

أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام.

رواه أبو داود والضياء في المختارة وأبو يعلى والطبراني في الأوسط بسند صحيح

ومن هذا العلم ما أخبر به ﷺ بعضهم دون بعض كاختصاصه لحذيفة رضي الله عنه بعلم أسماء المنافقين حتى أن عمر رضي الله عنه كان يأتيه فيقول له أنا منهم فيقول: لا وأخبر حذيفة أن رسول الله ﷺ أعلمه «اثنى عشر منافقا منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط».

رواه مسلم

وعن أنس رضي الله عنه قال «أسر إلى رسول الله ﷺ سرا فما أخبرت به أحدا بعده ولقد سألتني عنه أم سلمة فما أخبرتها به».

رواه البخاري ومسلم

وعن حذيفة رضي الله عنه قال «أخبرنا رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة».

رواه مسلم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال «أخذت عن رسول الله ﷺ وعاءين وعاء فبثثته لكم، وأما الآخر لو بثثته لقطع مني هذا البلعوم».

رواه البخاري ومسلم

ونوع منه ما أخبر به رسول الله ﷺ أحدا أصلا فهو سر بينه وبين ربه، وهى معظم الأحاديث التى تبدأ بكلمة لو تعلمون، أو يعلمون.
عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا».

رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن حبان

عن أبى هريرة رضى الله عنه «لو تعلمون ما فى الصف الأول ما كانت إلا قرعة».

رواه مسلم وابن ماجه

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «لو يعلم المتخلفون عن صلاة العشاء وصلاة الغداة مالهم فيهما لأتوهما ولو حبوا».

رواه أحمد بسند صحيح

عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «لو يعلم الناس من الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده».

رواه الترمذى وابن ماجه

عن أبى جهيم رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لو يعلم المار بين يدى المصلى ماذا عليه لكان يقف أربعين خيرا له من أن يمر بين يديه».

وغيرها كثير، أى: أن فى هذه الأمة أسرار لا تطيقها عقولهم من الخير أو من الشر فلم يصرح بها الرسول ﷺ واكتفى بعلمه ﷺ بها،

عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أين كان الله قبل أن يخلق الخلق؟ قال: كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء.

رواه أحمد والترمذي وابن ماجه

ونوع آخر من الأسرار لو أخبر به غير رسول الله ﷺ لكفره الناس ولكنهم قبلوه من رسول الله ﷺ واكلوا علم حقيقته إلى الله تبارك وتعالى كصفات الاستواء على العرش والضحك والفرح والتبشيش من الله تعالى واليد والقدم والنزول وغيرها، عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث آدم الطويل يقول رسول الله ﷺ فقال له الله ويده مقبوضتان إخترا أيهما شئت قال اخترت يمين ربى وكلتا يديه يمين مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته فقال أى رب ما هؤلاء قال هؤلاء ذريتك.....

رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي والترمذي حسنه

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ أرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاء صكه ففقا عينه فرجع إلى ربه فقال أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت....

رواه البخارى ومسلم والنسائى

عن ابن عباس رضي الله عنه ما أن النبي ﷺ قال: أتانى ربى عز وجل الليلة فى أحسن صورة فقال: يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملائكة

الأعلى؟ قال: قلت: لا: قال النبي ﷺ: فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات وما في الأرض....».

رواه أحمد وعبد الرزاق بسند صحيح.

وآخرها بل هو أولها السر الذي أحاط بكل سر، والخفاء الذي لم يعلمه الخفاء، والجوهر المكنون الذي لا يدره زمان أو مكان أو إنسان هو رسول الله ﷺ حيث جمع الله تعالى في ذاته الشريفة كل ما أراد إيصاله لخلقه من أرزاق وأنوار وأسرار، ورسول الله ﷺ يقسم ذلك على أرواحهم على قدر استعدادها، عن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم ويعطي الله».

رواه مسلم

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العلم علمان فعلم ثابت في القلب فذاك علم نافع وعلم في اللسان فذاك حجة الله على عباده».

رواه أبو نعيم في الحلية، وقال الترمذي صحيح وقال العراق جيد.

فالعلم الأول هو علم القلوب والبواطن والحقائق فهو علم الحقيقة والعلم الثاني هو علم الجوارح والظواهر والشرائع فهو علم الشريعة، فالشريعة: هي ما تعبد الله به عباده في ظواهرهم من صلاة وصيام وجهاد في سبيل الله وصدقة وقراءة قرآن وغيرها، وهذه إما حجة لك أو عليك فتكون حجة لك إن صاحبها نية صالحة وخشوع ورجاء

وحب لله تعالى وهي الحقيقة وتكون حجة عليك إن صاحبته نية سيئة من رياء وسمعة وحقد وغل وحسد، فعلم الحقيقة: هو حقيقة ما أراد الله منك في القيام بشريعته، وهي وجهان لعملة واحدة هي الدين لا ينفكان عن بعضهما، فمن تشرع ولم يتحقق فقد تفسق ومن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق، فالحقيقة هي درجة الإحسان وهي أن تعبد الله كأنك تراه ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم...﴾ (٣٠٥) فقله تعالى ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ (٣٠٦) تشريع.

وقوله ﷺ «اعلموا أنه لن يدخل أحدكم الجنة عمله، تحقيق.

رواه أحمد والشيخان

وقوله تعالى ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ (٣٠٧) تشريع وقوله ﴿قل كل من عند الله﴾ (٣٠٨) تحقيق.

والقضاء والقدر ما هو إلا معاملة وآداب بين العبد وربّه في دائرة التشريع والتحقيق فمن فعل حسنة فقابل الله فيها بالتشريع فنسبها إلى نفسه وأنه الفاعل لها قابله الله بالتحقيق وقال له بل أنا يسرتها لك وقدرتك على فعلها ولم أقبلها منك وسأدخلك النار، أما من قابل الله منها بالتحقيق فقال أنت يارب الذي يسرت ومهلت وأعنت قابله الله تعالى بالتشريع فقال بل أنت ياعبدى الذى عملت وقبالتها منك وسأدخلك الجنة، ومن اقترف سيئة، فقال يارب أنت الذى قضيت

وقدرت على ذلك قابله الله فقال بل أنت الذى فعلت وأنت الذى جنيت وسأدخلك النار، وأما من قال يارب أنا الذى جنيت وأنا الذى أخطأت فسامحنى، قال الله له بل أنا الذى قضيت وقد غفرتها لك وسأدخلك الجنة.

وكم شدد الله على أمر الشهود والكتابة فى أمر المداينة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ (٢٠٩) ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ...﴾ (٢١٠) وهذا هو ظاهر الشرع، أما التحقيق فيرويه لنا البخارى وأحمد وابن حبان بسند صحيح عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «ذكر رجلا من بنى اسرائيل سأل بعض بنى اسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال ائتنى بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدا، قال: فائتنى بالكفيل قال: كفى بالله كفيلا، قال: صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج فى البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يقدم عليه للأجل الذى أجله لم يجد مركبا فاتخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج موضعها ثم أتى بها البحر فقال اللهم إنك تعلم أنى تسلفت فلانا ألف دينار فسألنى كفيلا فقلت كفى بالله كفيلا فرضى بك وسألنى شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا فرضى بك وإنى جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذى له قلم أقدر وإنى أستودعها فرمى بها فى البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف، وهو فى ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده فخرج الرجل الذى أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله فإذا الخشبة التى فيها المال فأخذها لأهله حطبا

فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه وأتى بألف دينار فقال والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي جئت به قال فإن الله قد أدى عنك الذي بعثته في الخشبة فانصرف بالألف دينار راشدا.

وكم شدد الله تبارك وتعالى في أمر الشهادة، فظاهر الشرع أنه لا يجوز أن يشهد أحد إلا على ما رأت عيناه أو وعت أذناه، أما حقيقة الأمر فيرويه لنا عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عمه وكان صحابيا «أن النبي ﷺ ابتاع فرسا من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليقتضيه ثمن فرسه فأسرع رسول الله ﷺ المشى وأبطأ الأعرابي فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومونه بالفرس ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه فنادى الأعرابي رسول الله ﷺ فقال إن كنت مبتاعا هذا الفرس وإلا بعته فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي فقال أو ليس قد ابتعته منك، فنطق الأعرابي يقول هلم شهيدا فقال خزيمة أنا أشهد أنك قد بايعته فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال بم تشهد فقال بتصديقك يا رسول الله فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين،.

رواه النسائي وأبو داود

وقصة موسى عليه السلام مع الخضر وكيف أن عليه السلام عامل موسى بحقائق الأمور لا بظواهرها فكان مخالفا في الظاهر

طائعا في حقيقة الأمر وقال تعالى في حقه ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ (٢١١) فبهذه الرحمة قتل الغلام وفعل ما فعل.

وقد جمع رسول الله ﷺ التشريع والتحقيق في حديث واحد رواه البخاري وأحمد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا عَدُوَّ وَلَا طَيْرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفْرَ وَفَرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ.

فقوله ﷺ لا عدوى تحقيق، وقوله فر من المجذوم تشريع ظاهر.

أما الناس في تعاملهم مع هذه العلوم وأهلها على أضرب وأصناف، عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مِثْلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمِثْلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ وَأَنْبَتَتِ الْكُلَّ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبٌ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرَبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْهَا إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تَنْبِتُ كَلًّا فَذَلِكَ مِثْلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعِلْمٌ وَعِلْمٌ وَمِثْلُ مَا لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

رواه البخاري ومسلم

فهذا الحديث قسم الناس ثلاثة أصناف صنف تعلم وعمل وذاق وشاهد يعنى أخذ العلم من أوله لآخره فأصبح هاديا مهديا نفع الناس بعلمه ودعا إلى الله على بصيرة، وصنف تعلم ولم يعلم أحداً فعلمه فيه لوقت الحاجة إليه، وصنف لم يتعلم ولم يعمل ولم يعلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى قال «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، وما زال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإذا سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه».

رواه البخارى

هذا الحديث الشريف قسم الناس إلى أناس تعلموا العلم فعملوا به فقاموا بالفرائض أولا فأتقنوها، والنوع الثانى أتقن الفرائض ثم ثنى بالنوافل ولكنه لم يبلغ حب الله بعد والنوع الثالث قام بالفرائض فأتقنها والنوافل فأحكمها حتى بلغ إلى حب الله تعالى، ولا يكون الإنسان صاحب نافلة حتى يحكم الفرائض إحكاما تاما بحيث لا يؤخذ من نوافله لاستكمال فرائضه، وما شهد الله لأحد أنه صاحب نافلة إلا رسول الله ﷺ حيث قال ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ (٣١٢)، وقوم تعلموا العلوم وما عملوا بها ونصحوا الناس وما انتصحووا، عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله ﷺ «مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون».

رواه البخارى ومسلم

وقوم قالوا نتعلم ما نقيم به فرائضنا ونوافقنا من أحكام ظاهرة، إذ لا وقت عندهم قد شغلوا بمعاشهم ولكنهم كانوا أذكىاء فقالوا نحب أهل الصلاح والمشاهدة الذين سلكوا العلوم من أولها لآخرها فنحشر معهم يوم القيامة بلا عناء، عن أنس وابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال «المرء مع من أحب».

رواه مالك والبخارى ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذى

﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ (٣١٣).

ومما من الله تعالى على العلماء من أمة هذا الرسول الكريم أن جعلهم ورثة للأنبياء، أى: فى منازل الأنبياء والرسل فأباح لهم الاجتهاد فى الأحكام فكل مجتهد منهم مصيب كما أن كل نبي معصوم وتعبدهم الله بذلك ليحصل لهذه الأمة نصيب من التشريع وتثبت لهم فيه قدم فلم يتقدم عليهم سوى نبيهم ﷺ فتحشر علماء هذه الأمة حفاظ الشريعة المحمدية فى صفوف الأنبياء لا فى صفوف الأمم فهم شهداء على الناس وهذا نص فى عدالتهم، إذ لا تقبل شهادة إلا من عدل، فما من رسول إلا ولجانبه عالم من علماء هذه الأمة أو اثنان أو ثلاثة، والنبي ﷺ له التقدم وجميع الأنبياء خلفه وأمته خلفه وجميع الأمم وراءهم، ومن الناس من يكون له صورتان كعيسى عليه السلام له صورة مع الأنبياء وصورة

مع أمة رسول الله ﷺ، والعلماء من أمة رسول الله ﷺ لهم صورة مع الأنبياء وصورة مع سائر الأمة.

والشهود يوم القيامة ستة وكلهم عدول، الله ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ (٣١٤) ورسول الله ﷺ ﴿وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ (٣١٥) والمرسلين ﴿قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ (٣١٦) ﴿والملائكة يشهدون﴾ (٣١٧) وأمة رسول الله ﷺ ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ (٣١٨) والجوارح ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ (٣١٩) ﴿شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ (٣٢٠).

قال تعالى ﴿أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ (٣٢١) وهم الورثة بصدق اتباعهم أورثهم الله تعالى دعوة الناس وأشركهم مع الأنبياء في الدلالة على الله كما أشركهم في الابتلاء في قوله ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس﴾ (٣٢٢).

وقوله تعالى ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ (٣٢٣) يريد علم الوهب، فلو أراد العلم المكتسب لم يقل أوتيتم بل كان يقول أوتيتم الطريق إلى تحصيله، وعلم الوهب هو علم أنزله الله على قلوب وأسرار العارفين أما العلم الذي هو نتيجة التقوى فهو علم كسب ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾ (٣٢٤) ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ (٣٢٥) فإن التقوى طريق إلى اكتساب علم الكسب، أما الوهب فلا

يحصل عن سبب وقول رسول الله ﷺ «من عمل بما علم علمه الله ما لم يعلم، هو كسب أما الشرائع كلها فعلوم وهبية.

ياقوتة في القلب

قال تعالى ﴿قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة﴾
﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ دلت الآيتان على أن في القلب عينا ترى وتبصر
﴿على بصيرة أنا ومن اتبعن﴾ وهي لا ترى ولا تبصر إلا الشيء الذي يقع عليه نور الله المخصوص بقوله ﴿الله نور السموات والأرض﴾ فإذا وقع عليه نور الله القديم تلاشى الحادث فهي لا تبصر الأشياء إذ لا شيء يبقى مع نوره تعالى، فنور الله ليس كالأنوار ولكنه نور تنكشف به الحقائق وتنجلي به ظلم الدقائق، وترتفع به الحجب والعوائق وتسمى عين البصيرة وهي عين لا ترى الكوائف ولكنها لا ترى إلا كل لطيف فهي من حضرة اللطيف برزت، فإذا أردت أن ترى الكوائف لطفتها فرأتها على صورة أخرى غير صورتها الكثيفة، فالناس نيام وهم أهل الحجاب فكل ما رآه من الكوائف فكما يرى النائم في منامه، فإذا أصبح من أهل البصيرة كان كمن قام من نومه فعبر ما رآه في المنام فإن كان رأى لبنا عبره

بالعلم أى عبر به من عالم النوم والخيال إلى عالم اليقظة والخيال على سعته فهو الواسع الضيق فعلى سعته لا يقبل المعانى إلامقيدة بصورة حسية فيرى العلم لبنا والدين قيذا.

﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواكم من فضله﴾ (٢٢٦) ذكر المنام دون اليقظة فى حال الدنيا فدل على أن اليقظة لا تكون إلا عند الموت، وإن الإنسان نائم أبدا ما لم يموت، فذكر انه ثم منام بالليل والنهار فى يقظته ونومه والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، فلم يأت بالباء فى النهار ليحقق المشاركة وأنه يريد المنام فى حال اليقظة المعتادة، منامكم بالليل هو النوم المعتاد وفى النهار هو نوم الغفلات ولهذا جعل الدنيا جسراً أو عبرة أى تعبر كما تعبر الرؤيا التى يراها الإنسان فى نومه، فكما أنه فى حال نومه يرى ما هو مراد لنفسه، إنما هو مراد لغيره فيعبر من تلك الصورة المرئية فى حال نومه إلى معناها المراد بها فى عالم اليقظة، كذلك حال الإنسان فى الدنيا ما هو مطلوب للدنيا فكل ما يراه فإنما هو مطلوب للآخرة فهناك يعبر ويظهر له ما رآه فى الدنيا فالدنيا جسر يعبر ولا يعمر، فحين يستيقظ لا يرى شيئاً مما رآه فى المنام من خير وشر وبناء وسفر.

فمن نور الله بصيرته، وعبر رؤياه هنا قبل الموت أفصح ويكون فيها مثل من رأى رؤيا ثم رأى فى رؤياه أنه استيقظ فيقص ما رآه وهو فى النوم على بعض الناس الذى يراهم فى نومه فيفسره له حال نومه فإذا استيقظ حينئذ يظهر له أنه لم يزل فى منام فى حال

الرؤيا في حال التعبير بها وهو أصح التعبير، وكذلك الفطن اللبيب في هذه الدار مع كونه في منامه يرى أنه استيقظ فيعبر رؤياه في منامه ليتنبه ويزدجر وسلك طريق السداد فإذا استيقظ بالموت حمد رؤياه ومدح بمنامه وكان ابتغاء الفضل منه في حق من رأى في نومه أنه مستيقظ في نومه.

فشرف الإنسان وفضيلته التي فاق بها أصناف الخلق باستعداداته لمعرفة الله سبحانه وتعالى، وإنما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحه من جوارحه فالقلب هو العالم بالله، وهو المتقرب إلى الله، وهو العامل لله وهو الساعي إلى الله، وهو المكاشف بما عند الله ولديه، وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية فالقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب والمخاطب وهو المعاتب وهو الذي سعد بالقرب ويشقى بالبعد والطرده وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره وهو العاصي المتمرد على الله وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره، وهو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف ربه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء».

رواه أحمد

فلو فرضنا حوضاً محفوراً في الأرض احتمال أن يساق إليه الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه؛ ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من أسفل الحوض، ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر، فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء وتكون الحواس الخمسة مثال الأنهار فيمكن أن تساق العلوم والأنوار إلى القلب بواسطة أنهار الحواس ويمكن أن تسد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد إلى عمق القلب فيطهره ويرفع طبقات الحجب عنه بمداومة الذكر حتى لا تتفجر ينابيع العلم من داخله، ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ (٣٢٧) ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ (٣٢٨) وقد يقول قائل كيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال منه، فنقول له: كما أن المهندس يصور أبنية الدار في ورقة ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره في اللوح المحفوظ ثم أخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة، والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورته تتأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال، فإن من ينظر إلى السماء والأرض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر إليها ولو انعدمت السماء والأرض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدهما وهو ينظر إليهما ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب فيحصل فيه حقائق الأشياء، والحاصل في القلب موافق للحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود حولنا

والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ، فكما أن المهندس إذا أراد أن يعبر عن شجرة بالرسم على الورق فإنه يرسمها نقطة فهي على الورق نقطة وفي الحقيقة شجرة فكذلك اللوح اللبني فيه معناه العلم، والقيد معناه الدين.

فالقلب يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ مباشرة، كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتفجر إليه العلم منه، فاستغنى عن الاقتباس من الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض، ومهما أقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجاباً له عن مطالعة اللوح المحفوظ، وكما أن من نظر إلى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظراً إلى نفس الشمس فإن للقلب بابان أو عيانان عين مفتوحة إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وتسمى عين البصيرة، وعين مفتوحة إلى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة وعالم الملك والشهادة أيضاً يحاكي عالم الملكوت نوعاً من المحاكاة وهو الفرق بين علوم الأنبياء والأولياء وبين علوم العلماء والحكماء، فعلوم الأنبياء والأولياء تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت وهو علم موهوب، وعلوم العلماء والحكماء تأتي من أبواب الحواس المفتوحة إلى عالم الملك وهو علم مكتسب.

فإن العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها إلى القلب والأولياء يعملون في جلاء مرآة قلوبهم وتطهيرها وتصفيتها فقط فتنتطبع فيها علوم اللوح المحفوظ بغير تعب، فقد حكى أن أهل الصين وأهل الروم تباهاوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر رأى الملك على أن يسلم إليهم صُفَّة لينقش أهل الصين منها جانباً وأهل الروم منها جانباً ويرخى بينهما حجاباً يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ففعل ذلك فجمع أهل الروم من الأصباغ الغريبة ما لا ينحصر، ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يجلون جانبهم ويصقلوه فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين أنهم قد فرغوا أيضاً فعجب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ وقيل كيف فرغتم من غير صبغ؟ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا وإذا بجانبهم يتلأأ منه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة إشراق وبريق إذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد التصقيل.

فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلأأ فيه الحق بنهاية الإشراق كما فعل أهل الصين، وعناية الحكماء والعلماء لا لاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها في القلب كما فعل أهل الروم، فكيفما كان الأمر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحي وصفائه لا يتكدر، فإذا أردت أن تعبر من عالم الملك إلى عالم الملكوت ومن عالم الشهادة إلى عالم الغيب فعليك بالخلوة على يد شيخ عارف، وفي الخلوة تصلى الفرائض والرواتب، ثم

لا تشغل نفسك في التفكير في أى شيء ولا بدراسة علم ولا قراءة قرآن ولا غيره بل تجمع همتك وتذكر الله بلسانك على الدوام مع حضور القلب حتى تنتهي إلى حالة تترك فيها تحريك اللسان وترى كأن الكلمة جارية على لسانك، ثم تصبر حتى يمحي أثرها عن اللسان ويذكرها القلب بغير لسان ثم تواظب حتى تمحي صورة الكلمة وحروفها وهيئتها عن القلب ويبقى فيه معنى الكلمة مجردا حاضرا في قلبك لازم له لا يفارقه، وبذلك تصير متعرضا لنفحات رحمة الله، وعندئذ تنقل من مقام الذكر إلى مقام ذكر الذكر وفيه يكون الذاكر عين المذكور.

لا يترك الذكر إلا من يشاهده وليس يشهده من ليس يذكره
فلا أزال مع الأحوال أشهده ولا أزال مع الأنفاس أذكره
والذكر بالقلب لا حروف له لأنه واحد من ساكني البلد.

بذكر الله تزداد الذنوب وتحتجب البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل منه حالا فإن الشمس ليس لها غروب
فحينئذ تنفك قراءة القرآن، وترى أنه مجدد الإنزال على قلوب
التالين له دائما أبدا، فلا يتلوه من يتلوه إلا عن تجديد تنزيل من الله
الحكيم الحميد، ولون الماء لون إنائه، فبحسب ما يكون عليه القلب
يكون ظهور القرآن فيه، فقد أغلق الله تعالى باب التنزل بالأحكام
المشروعة وما أغلق باب التنزل بالعلم على قلوب أوليائه حتى يكونوا

على بصيرة، أما إذا دخلتها أى الخلوة بغير إذن شيخ له الإذن فى التربية فإنك لا تأمن أن تكون من عقلاء المجانين، وهؤلاء قوم كانت عقولهم محجوبة بما كانوا عليه من الأعمال والتكاليف ولم يعلموا بأن الله تعالى فجأة لمن خلا به فى سره وأطاعه فى أمره، ففاجأه الحق على غفلة منه بذلك فذهب بعقله فى الذاهبين وبقي يأكل ويشرب ويتصرف فى أمور دنياه كالحيوان المفطور على ذلك من معرفة ضروراته ومضاره من غير تدبير ولا روية فسقط عنهم التكليف فعقولهم منعمة بشهوده تعالى فى حضرته يقولون بالحكمة من غير قصد.

ورسول الله ﷺ لما فاجأه الملك قال: زملونى زملونى، فكيف إذا فاجأه الملك؟ كان ﷺ إذا فاجأه الوحي أخذ عن حسه وسجى ورغا من هول ما يجد ثم يرده ربه إلى حسه. كى يبلغ عنه، أما موسى عليه السلام فلما فاجأه ربه خر صعبا فانظر الفرق بين المقامين، وأصحاب القلوب التى ملأها الله تعالى بنوره لا يؤثر فيهم الشيطان ولا يخرجهم عن عبوديتهم، قيل لإبليس كيف حالك مع الشيخ أبى مدين قال كشخص بال فى البحر المحيط فالشيطان يلقى فى قلوب الأولياء ولا يؤثر فيهم لأنهم محفوظون أما الأنبياء فلا يستطيع إلقاء شىء فى قلوبهم لأنهم معصومون، قيل لأبى مدين فى تمسح الناس به: أما تجد فى نفسك من ذلك أثرا، فقال: هل يجد الحجر الأسود فى نفسه أثرا يخرج به عن حجريته إذا قبلته الرسل والأنبياء؟ قيل: لا، قال: أنا ذلك الحجر.

ومن الغريب أن يرتبط الفتح على القلوب بأماكن معينة فمنهم من يفتح عليه بمكان دون غيره، يقول أحد العارفين مررت بمسجد فقلت أصلى فيه ركعتين فوجدت قلبي فمكثت فيه سنتين، وقال أحدهم مررت وأنا في طريقى إلى البيت الحرام بشاب يصلى تحت سمرة فى الصحراء فقلت هلا ذهبت إلى بيت الله الحرام فقال كنت ذاهبا إليه منذ عشر سنين ومررت فصليت تحت هذه السمرة فوجدت قلبي فمكثت تحتها حتى أفقده.

ومن العجائب أيضاً أن تُفطر قلوب العارفين من هذه الأمة على قلوب من سبقهم من الأنبياء فيرثون أحوالهم وعلومهم، فعن رسول الله ﷺ قال ﴿العلماء ورثة الأنبياء﴾ فالمخاطب هم علماء هذه الأمة، ولم يقل ورثة نبي واحد، ولكن قال ﷺ ورثة الأنبياء أما رسول الله ﷺ فلا يفطر قلب أحد على قلبه لأنه مقام عزيز المثال.

وأعلى مقامات العارفين سجود قلوبهم فمن رأى قلبه ساجدا فقد بلغ الذروة، وما سمى القلب قلباً إلا لأنه يتقلب من سجود إلى سجود أما من رأى قلبه يسجد فقد رأى قيامه، وهو نقص ومنه قولهم ما عرفنا نقص أبى يزيد إلا من قوله رأيت قلبي يسجد، وسجوده إنما يكون للأسماء الإلهية لا للذات، ومن سجد ظاهره تخلى عنه الشيطان يبكى فكيف بمن سجد باطنه.

ياقوتة في السماع

السماع: على ثلاثة أقسام، سماع إلهي، وسماع روحاني، وسماع طبيعي.

فالإلهي: بالأسرار، وهو السماع من كل شيء، وفي كل شيء، وبكل شيء، فالوجود عندهم كله كلمات الله وكلماته لا تنفذ ولهم في مقابلة هذه الكلمات أسماع لا تنفذ تحدث لهم هذه الأسماع في سرائرهم بحدوث الكلمات وهي قوله ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه﴾ (٣٢٩) فمنهم من أعرض بعد السماع ومنهم من وقف عندما سمع، وهو يتعلق بأسماء الله تعالى على كثرتها فلكل اسم لسان، ولكل لسان قول، ولكل قول منا سمع، وكان من قوله ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ (٣٣٠) فكما قال وسمعنا أمرنا عندما جعل فينا قوة القول أن نقول فيسمع هو تعالى، ومنا من يقول به كما قال الله تعالى على لسان: عبده سمع الله لمن حمده، فكلام صاحب هذا المقام كله نيابة، فالله عند لسان كل قائل فكما أنه ليس في الوجود إلا الله كذلك ما ثم قائل ولا سامع إلا الله.

أما السماع الروحاني: فمتعلقه صريف الأقلام الإلهية في لوح الوجود المحفوظ من التغيير والتبديل، فالأقلام تنطق وأذان العقول تسمع ويكون معه علم ومعرفة في غير مراد.

أما السماع الطبيعي: وهو علم الألحان والأوزان وصاحبه يجد طربا في نفسه، أو حزنا عند سماع هذه النغمات، والمتواجد بالسماع

يكون له بقية إحساس وذلك نتيجة الألفاظ والأوزان فإذا أردت أن تختبر صدقهم من كذبهم فاصبر حتى ينتهي القول ثم داس أحدهم في آية قرآنية تحمل معنى قول القول فمن تأثر بها وتواجد فهذا صادق أما من لم يتأثر فهو كاذب، وإنما حركه الوزن واللقن كالبهائم والحيوانات، أما صاحب الوجد فلا تكون له بقية إحساس وتكون حركته بالله نتيجة السماع من الله.

لولا سماع كلام الله ما برزت أعياننا وسعت منه على قدم

ياقوتة في الكرامة

وهي نتيجة الاستقامة أو ينتج عنها استقامة وهي حسية كالطير في الهواء والمشى على الماء وقراءة الخواطر والإخبار بالمغيبات وطي الأرض، وقد يدخلها المكر الخفي، وهي لأهل الاستقامة ولغيرهم، وقد يجعلها الله حظ عملك وجزاء فعلك الصالح فإذا قدمت عليه يمكن أن يحاسبك بها ولا يعرف العامة سوى هذا النوع.

وكرامة معنوية لا يعرفها إلا الخواص من عباد الله ولا يشارك فيها أحد إلا الملائكة المقربون، وأهل الله المصطفون الأخيار ولا يدخلها مكر ولا استدراج بل وملأت لك كفة الحسنات يوم

القيامة، وهى أن يحفظ الله عليك آداب الشريعة، وأن يوفقك لإتيان مكارم الأخلاق واجتناب سفاسفها، والمحافظة على أداء الواجبات مطلقاً فى أوقاتها، والمصارعة إلى الخيرات وإزالة الغل والحد من صدرك للناس، وكذا سوء الظن وطهارة القلب من كل صفة مذمومة وتحليته بالمراقبة مع الأنفاس، ومراعاة حقوق الله فى نفسك وفى الأشياء، فإذا ظهر عليك شىء من كرامات العامة فضج إلى الله منها ولسل الله ستره بالعوائد وأن لا تتميز عن العامة بأمر يشار إليه فيه ما عدا العلم، لأن العلم هو المطلوب وبه تقع المنفعة، ولو لم يعمل به فإنه لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون، فالعلماء هم الآمنون من التلبس، وما أمر الله به نبيه ﷺ أن يطلب منه الزيادة من شىء إلا من تعلم العلم، لأن الخير كله فيه والبطالة مع العلم أحسن من الجهل مع العمل، ولا نعى بالعلم إلا العلم الإلهى وهو العلم بالله والدار الآخرة وما تستحقه الدار الدنيا وما خلقت له، سئل أبو يزيد عن طى الأرض؟ فقال: ليس بشىء فإن إبليس يقطع من المشرق إلى المغرب فى لحظة واحدة، وسئل عن اختراق الهواء؟ فقال: إن الطير يخترق الهواء والمؤمن عند الله أفضل من الطير، فالكرامة هى التعريف الإلهى بأن الذى أتخفك به كرامة منه لا ينقص لك حظاً من آخرتك، ولا هو جزاء لشىء من عمالك إلا لمجرد قدومك عليه.

ياقوتة في السلوك

الساكنون في سلوكهم على أربعة أقسام: سالك يسلك بربه، وسالك يسلك بنفسه، وسالك يسلك بالمجموع، وسالك لاسالك.

فأما الذي يسلك بربه: فهو الذي يكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه، ولذلك أعاد الضمير عليك لوجودك في قوله «كنت سمعه، فهذه الهاء هي عينك الذي الحق سمعها وبصرها.

والسالك بنفسه: وهو المتقرب إلى ربه ابتداء بالفرائض والنوافل الموجبين محبة الحق، فهو يجهد فيما كلفه الحق ويبذل استطاعته وقوته فيما أمره به ربه ونهاه، وهذا هو سلوك الأدباء من أهل الله فيبذلون المجهود ويوفون بالعقود، وإن جهلوا المقصود إلى أن يفتح الله لهم كما فتح لمن سلك بربه.

وأما السالك بالمجموع فهو السالك بعد أن ذاق كون الحق سمعه وبصره وعلم سلوكه أولاً بنفسه على الجملة من غير شهود نفسه على التعيين، فلما علم أن الحق سمعه وعلم أن السامع بالسمع ما هو عين السمع، ورأى ثبوت الضمير، وعانين على من عاد فعلم أن نفسه وعينه هي السميعة بالله والناظرة بالله والمتحركة بالله والساكنة بالله وأنها المخاطبة بالسلوك فسلك بالمجموع.

وأما القسم الرابع فهو سالك لاسالك: لأنه رأى نفسه لم تستقل بالسلوك مالم يكن الحق صفة لها، ولا تستقل مالم تكن نفس المكلف

موجودة ويكون كالمحل لها ورأى الحق يقول ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ (٣٣١) علم أنه سالك لاسالك. ثم اعلم أن السالكين الذين ذكرنا على مراتب. فمنهم السالك منه إليه: وهو المنتقل من تجل إلى تجل. ومنهم السالك إليه منه فيه: وهو السالك من اسم إلهي إلى اسم إلهي في اسم إلهي. ومنهم السالك منه إليه فيه به: وهو السالك باسم إلهي من اسم إلهي إلى اسم إلهي في اسم إلهي. ومنهم السالك منه لا فيه ولا إليه: فهو الذي خرج من عند الله في الكون إلى الكون. ومنهم السالك إليه لا منه ولا فيه: فهو الفار إليه في الكون من الكون كفرار موسى عليه السلام. ومنهم السالك لا منه ولا فيه ولا إليه: فهو المنتقل في الأعمال الصالحة من الدنيا إلى الآخرة وهم الزهاد غير العارفين.

والناس أربعة أنواع: سالكون فقط، مجذوبون فقط، سالكون ثم مجذوبون، مجذوبون ثم سالكون.

فالنوع الأول والثاني: لا يصلحان للتربية والارشاد. لأن النوع الأول ظاهري محض لانور له في باطنه يجذب به. والثاني: لاسلوك عنده يسير به. والنوع الثالث والرابع: يصلحان للتربية مع أفضلية النوع الثالث. فالنوع الأول يشهد خلقا بلا حق والنوع الثاني يشهد حقا بلا خلق والثالث والرابع يشهدون خلقا بحق. فأهل السلوك شهدوا الآثار ثم تعلقوا بالأسماء ثم شهدوا الصفات ثم الذات. وأهل الجذب بالعكس فأحدهما نازل يشهد الأشياء بالله في تدليه، والآخر

صاعد يشهد الأشياء بنفسه فى ترقيه، فربما التقيا فى الطريق.
والمترقى أكمل من المتدلى فى التربية ولكنهما يجتمعان فى مقام
البقاء.

﴿الله يجتبى إليه من يشاء﴾ (٣٣٢) هم المحبوبون أهل الجذب
﴿ويهدى إليه من ينيب﴾ (٣٣٣) هم المحبوبون أهل السلوك. والبقاء
فى السلوك أعلى، والفناء فى الوصول أعلى، وهو الفناء عن الفناء
والبقاء.

وأهل الجذب بالوارد درجات، إما أن يؤخذ بالكلية، وإما أن يؤخذ
عقله ويبقى يدبر أموره كالحيوان، وإما إذا جاءه الوارد كان معك
ولكنه مشغول البال عنك، وأعلامهم من لا يشغله وارد عن جالس معه
ولا جالس عن وارد.

ياقوتة فى حديث عهد بربه

الحكم دائما للحديث فكان ﷺ يخرج للمطر ويمسح به على وجهه
ويقول «حديث عهد بربه، ولما كان الطفل الصغير حديث عهد بربه
كان له الحكم، فكان ﷺ يحبهم ويمازحهم مع عظيم قدره، وقد
امتطاه مرة الحسين بن على رضى الله عنهما فما رفع رأسه من
السجود حتى أن بعض من وراءه رفع رأسه فوجد الغلام ممطيا

رسول الله ﷺ ومارفع رأسه حتى نزل الغلام، وقد طال السجود حتى ظنوا أنه قبض، فلما سئل قال «إن ابني هذا ارتحلني فكرهت أن أعجله، ولما رأى رسول الله ﷺ الحسن والحسين رضي الله عنهما وكان يخطب الجمعة رأهما يتعثران في مشيهما نزل من على المنبر وحملهما وصعد ثم قال ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (٣٣٤). وكان ذلك من عظيم معرفته بربه، وتري الملك العظيم القدر ينزل من على عرشه ليداعب طفلاً صغيراً وماذا لك إلا لأن الحكم للحدائث.

والطفل من حين ولادته يلزمه قرينان ملك وشيطان يأخذ كل واحد منهما، يهزمه الملك بفعل الخير، والشيطان بفعل الشر، وذلك ليس من أجله ولكن من أجل والديه، فحركات الطفل كلها لا إرادة له وإنما يحركه الملك فيضحك فيأتي من الخير بما يسعد والديه جزاء عملهما الصالح والطفل لا يشعر، ويلزمه الشيطان فيأتي بما يحزن والديه من كسر الأشياء والبكاء وغيرها، واعلم أن أول درجات التكليف إذا كان الطفل ابن سبع سنين إلى أن يبلغ الحلم ولذا أمرنا بأن نأمر أطفالنا بالصلاة لسبع، وقد اعتبر الله فعل الصبي في غير زمان تكليفه لو قتل لم يقم عليه الحد وحبس إلى أن يبلغ ويقتل بمن قتل في صباه إلا أن يعفو ولي الدم، فقد أخذ الله بما لم يعمله زمن تكليفه، فمن إنفاذ الوعيد من حيث لا يشعر أحد وجود التكليف، وهو أول العذاب لقيام الخوف بنفس المكلف فقد عذب عذاباً نفسياً مؤلماً وهو عقوبة ماجرى منه في الزمان الذي لم يكن فيه مكلفاً من الأفعال التي تطراً بين الصبيان من الأذى والشتم والضرب على

طريق التعدي وكل خير يفعله الصبي يكتب له، وقال ﷺ للمرأة التي رفعت له طفلاً وقالت ألهذا حج قال نعم ولك أجر، وهو أجر المعونة التي لا يقدر الصبي عليها وقد ورد عن رسول الله ﷺ أن الصبي إذا حج قبل بلوغ التكليف ثم مات قبل البلوغ كتب الله له ذلك الحج عن فريضته. وكما أقام الله تعالى التطوع في الآخرة مقام الفرض إذا أكمله به فكذا كل ما يأتي الصبي فهو تطوع، فهو محسوب له في الآخرة. فكل ما يفعله الصبي في غير بلوغ زمان التكليف معتبر في الشرع في الخير والشر غير أن الكرم الإلهي جازاه المعمول في هذا الزمان وفي الدار الآخرة وأدخر له ذلك، وأما الشرف فلم يدخر له في الآخرة منه شيئاً بل جازاه به في الدنيا بالآلام الحسية والنفسية التي تطرأ على الصبيان.

ياقوتة في المكر

هي إرداف النعم مع المخالفة وزوالها عند الموافقة، وإبقاء الحال مع سوء الأدب.

ومن المكر أن يرزق العبد ويحرم العمل به أو يرزق العمل ولا يرزق الاخلاص فيه. والمكر الإلهي أخفاه الله عن الممكور به خاصة لا عن غير الممكور به، ولذلك قال ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ (٣٣٥). وقد يعطى المكر الإلهي الشقاء وهو في العامة. وقد يعطى نقصان

الحظ، وهو المكر بالخاصة وخاصة الخاصة حتى لا يأمن أحد المكر الالهى. ومكر الله بالماكرين هو عين مكرهم الذى اتصفوا به ﴿ومكروا مكرا ومكرنا مكرا﴾ (٣٣٦) وقد يمكر بهم بأمر زائد على مكرهم فإنه أرسله سبحانه نكرة فقال ﴿ومكرنا مكرا﴾ (٣٣٧) فدخل فيه عين مكرهم ومكر آخر زائد على مكرهم.

فمناسبات الجزاء كلها لا تختل ﴿ومكروا ومكر الله﴾ (٣٣٨)، ﴿قالوا إنما نحن مستهزؤن﴾ (٣٣٩) و﴿والله يستهزئ بهم﴾ (٣٣٨)، ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ (٣٤١) ويحشر المتكبرون يوم القيامة كأمثال الذر.

وذلك أن عدد درجات الجنة على عدد دركات النار فما من درج إلا ويقابله درك من النار، وذلك لأنك بين أمر ونهى فإذا فعلت الأمر فهو عين درجة فى الجنة فإن لم تفعله كان ذلك التترك لذلك العمل عين سقوطك إلى ذلك الدرك ﴿فاطلع فرآه فى سواء الجحيم﴾ (٣٤٢) والاطلاع على الشئ من أعلى إلى أسفل، والسواء حد الموازنة على الاعتدال، فما رآه إلا فى ذلك الدرك الذى فى موازنة درجته، فإن العمل الذى نال به هذا الشخص تلك الدرجة تركه هذا الشخص الآخر، فانظر إلى العدل الإلهى ما أحسنه* ولهذا سمي جزاء وفاقا ولولم يكن الأمر كذلك لما كان جزاء، فالجنة خير لاشر فيها والنار شر لاخير فيها. فجميع علم المشرك وعمله وقوله الذى لو كان موحدًا جوزى عليه فى الجنة يعطى ذلك الجزاء للموحد الجاهل. فالؤمن هنا فى عباده، والعباده تعطيه الخشوع والذلة، والكافر فى

* أنظر الرسم ص ٢٢٠.

درج التوحيد في عطين

درج الإيمان بالنصلاة

درج الإيمان بالزكاة

درج الإيمان بالصوم

درج الإيمان بالحج

الْعَدْلُ

الدرك الأسفل

أعلى

أسفل

شمال

جنوب

عزة وفرحة، فإذا كان في هذا اليوم يخلع عز الكافر وسروره وفرحه على المؤمن ويخلع ذل المؤمن وخشوعه على الكافر يوم القيامة ﴿خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي﴾ (٣٤٣) الله تعالى وهو ذل كله إخلاص وهو حال المؤمن في الدنيا، ولذا سمي يوم التغابن حيث يرى الإنسان صفة عزه وسروره وفرحه على غيره ويرى ذل غيره وحزنه على نفسه.

ياقوتة في التوبة

التوبة للخائف والإنابة للطائع والأوبة لراعي الأمر الإلهي، وهي مقام التوبة من التوبة ومقام التوبة من المقامات المستصعبة إلى الموت، وأما توبة المحققين فلا ترتفع دنيا ولا أخرى استصحابا لاسمه التواب.

فالتوبة المشروعة هي الرجوع من حالة المخالفة، والتوبة من التوبة هي الرجوع منه إليه به، أي: من التوبة التي يقال في صاحبها تائب، ولكن يقال لصاحبها تواب، وهو الذي ينتقل مع الأنفاس من الله إلى الله بالموافقات.

والتوبة ما هي إلا الندم كما فعل آدم عليه السلام، وقال رسول الله ﷺ: «الندم توبة، أي: هو الركن الأعظم كما قال ﷺ: «الحج عرفة».

أما من كان صفته ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ (٣٤٤) ﴿إنه بكل شيء محيط﴾ (٣٤٥) ﴿أو لم يعلم بأن الله يرى﴾ (٣٤٦) ﴿والذي يراك حين تقوم﴾ (٣٤٧) ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ (٣٤٨) ﴿ونحن أقرب إليه منكم﴾ (٣٤٩) فكيف تكون له توبة وإلى من يتوب وإن نادى فهو المنادى لأنه لا ينادى إلا من يسمع وهو سمعك فلا تسمع إلا به فما فقدته في ندائه إياك، فلا يتوب إلا من لا يشعر ولا يبصر هذا القرب، ولهذا لم يأمر بالتوبة إلا المؤمنين فقال ﴿توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون﴾ (٣٥٠).

فترك التوبة هو ترك الرجوع، وذلك إذا رأيت النور فكشف لكم عنكم فعلمتم أنه أقرب إليكم منكم ﴿فتاب عليهم﴾ فكان هو التائب على الحقيقة، والعبد محل ظهور الصفة، ولذلك قال: ﴿ليتوبوا﴾ ثم قال ﴿إن الله هو التواب﴾ (٣٥١) وهو لفظ مبالغة إذا كانت له التوبة الأولى من قوله ﴿ثم تاب عليهم﴾ والثانية من قوله ﴿ليتوبوا﴾ فالتوبتان له من كل عبد فهو التواب لاهم ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ (٣٥٢) وهذا الحكم سار في جميع أفعال العباد فماتاب من تاب ولكن الله تاب.

فالتوبة المشروعة هي الرجوع من المخالفات إلى الموافقات، والتوبة من التوبة هي الرجوع منه إليه به، وإذا كانت التوبة تجب لأجل الوصلة فالمتصل لا يتصل، وفرح الله بالتائب فرح رجوعه إلى الموافقة، كفرح أهل الغائب برجوع الغائب، أما من كان في الوطن

الذى فيه ولد فلا غربة عليه أصلاً، وقوله ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ هو من باب تعليم الخصم الحجة إذا كان محبوباً مثل ﴿ما غرك بربك الكريم﴾ (٣٥٣) وقال ﴿يا أيها الإنسان﴾ ليعم جميع الناس مما يدل على أن إرادة الله بهم السعادة فى المال ولو نالهم ما نالهم مما يناقضها.

فالتائب رجع إلى الله من نفسه، والعارف رجع إليه منه، والعلماء بالله رجعوا إليه من رجوعهم إليه، وأما العامة فإنها رجعت من المخالفة إلى الموافقة، فرجوعه عليهم رجوع عناية محبة أزلية ﴿يحبهم ويحبونه﴾ (٣٥٤) ليتوبوا فإذا تابوا أحبهم حب من رجع إليه فهو حب جزاء ﴿إن الله يحب التوابين﴾ (٣٥٥) فإذا وقف العبد بين يدى الله يوم القيامة وذكر فى نفسه ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ (٣٥٦) استحيا الله منه أن يؤاخذه بذنب.

ومن أول شروط التوبة أن يترك نسبة الزلة إلى ربه فينسبها إلى نفسه أدباً مع الله، ومنهم من يراها زلة من حيث فعل العبد ويرأها فى منتهى الحسن والجمال من حيث نسبتها الإلهية وتقديرها للإلهى، ومن الناس من يكون ترك الزلة فى الحال فى حقه شغله برجوعه إلى ربه، والزلة هى رجوعه عن ربه، ومن الناس من يكون ترك الزلة فى الحال فى حقه شغله برجوع ربه عليه وشهوده ذلك.

وصاحب الذنب وإن لم يوافق الأمر فقد وافق الإرادة، وهؤلاء يأتون بالذنب لامن حيث هو هوى ولكن من حيث هو إرادة الحق

﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ (٣٥٨) وإذا أتى الولي منهم بالذنب عن إرادة الله صرخت منه كل شعرة وأن منه كل عرق تكاد نفسه تزهق حتى يرحمه الله.

واعلم أن مثل الحسنة كمثل شخص جميل في غاية الجمال لابزة عليه، ومثل الحسنة المبدلة عن سيئة كمثل شخص جميل مثله في غاية الجمال طراً عليه وسخ من غبار فنظف من ذلك الوسخ العارض فبان جماله ثم كسى بزة حسنة فاخرة تضاعف بها جماله وحسنه ففاق الأول حسناً.

فحسن الحسنة بنفسها لأبامر آخر، وحسن السيئة إذا أبدلت لها حسناً، حسن ذاتي وهو الحسن الذي لكل فعل من حيث ما هو لله وحسن زائد وهو ما خلع الحق على هذا الفعل بالتبديل فكسى ما ظهر فيه من السوء حسناً ففاق سوء العمل على حسن العمل بما كساه الحق.

والعزم في التوبة كله سوء أدب فالتوبة التي طلب منا إنما هي صورة ما جرى من آدم عليه السلام لا العزم، فهي اعتراف وندم ودعاء، لا عزم والذي ثبت أن العبد يذنب الذنب ويعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ولم يزد عن هذا ثم يذنب الذنب فيقول الله له في الثالثة أو في الرابعة اعمل ما شئت فقد غفرت لك فرفع عنه المؤاخظة.

فلا يعزم أن لا يعود لما تاب منه، فهو جهل على الحقيقة فإن الذي تاب منه من المحال أن يرجع إليه لأنه فات وإن رجع فإنما يرجع إلى مثله لا إلى عينه فإن الله لا يكرر شيئاً في الوجود وهو الواسع.

والتوابون هم الراجعون منه إليه، وأما من رجع إليه من غيره فهو تائب، فالله هو التواب فيحب نفسه، أي: التوابين، أي: أن حبه للتوابين ما هو إلا حبه نفسه جل جلاله إذ كان الحق سمعهم وبصرهم وجميع قواهم والله المؤمن فيحب المؤمن، ولم يسم نفسه بالتائب.

والتواب هو المجهول في الخلق لأنه محبوب والمحِب غيور على محبوبه ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ (٣٥٨) فإنه لو كشف لعباده ونظروا إلى حسن المعنى في باطنه لأحبوه ولو أحبوه لصرفوا همهم إليه.

وثم قوم يغفر لهم بدون توبة تفضلا منه تعالى، وثم قوم يعطيهم الله التوبة فيتوب الله عليه بعد الذنب، ثم يتوب صاحب الذنب، أما إذا تاب قبل المغفرة فالحكم للتوبة للكرم الإلهي.

ياقوتة في الذكر

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كل عبادة فرضها الله تعالى جعل لها وقتا مخصوصا وعذر العباد في غير أوقاتها إلا الذكر لم يجعل الله له وقتا مخصوصا.

وما وردت كلمة ذكر في القرآن إلا ورد بعدها كثيرا ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ (٣٥٩) و﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٣٦٠).

ينتقل الذكر من اللسان إلى ذكر بالجنان ويصير ذكر اللسان غفلة
ثم إلى ذكر بالروح ثم إلى ذكر بالسر. «من ذكرني في نفسه ذكرته
في نفسي» فيصير الذاكر مذكورا غائبا في الأنوار فهو الذاكر
والمذكور والذكر.

الذاكرون في ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره لأن ذكره سواء.

ذكرتك لا أنى نسيتهك لمحمة وأيسر ما في الذكر ذكر لسانی
وصرت بلا وجد أهيم من الهوى وهام على القلب بالخفقان
فلما أراني الوجد أنك حاضري شهدتك موجودا بكل مكاني
فخاطبت موجودا بغير تكلم وشاهدت موجودا بغير عيان
والذاكرون: ألهمهم الله الذكر ليذكرهم فالعبد سابق مسبوق، فسابق
كما في قوله ﴿اذكروني أذكركم﴾ (٣٦١) «من ذكرني في نفسه
ذكرته في نفسي»، «من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا».

فكل مقام إلهي يتأخر عن مقام كوني فهو الاسم الآخر، وكل مقام إلهي
يتقدم فهو من الاسم الأول كما في قوله ﴿هو الذي يصلي﴾ (٣٦٢).

ياقوتة في الجميل

في الحديث الصحيح «إن الله جميل يحب الجمال، وهو تعالى
صانع العالم وموجده وأوجده على صورته، فالعالم كله في غاية

الجمال ما فيه شئ من القبح بل قد جمع الله له الحسن كله والجمال،
فالعالم كله جماله ذاتي، وحسنه عين نفسه إذ صنعه صانعه عليه
ولهذا هام فيه العارفون وتحقق بمحبته المتحققون، لأنهم ما رأوا فيه
إلا صورة الحق وهو سبحانه الجميل والجمال، فإنه تعالى ما كثر لنا
الآيات في العالم وفي أنفسنا إلا لنصرف نظرنا إليه ذكرا وفكرا وعقلا
وإيمانا وعلمنا وسمعا وبصرا ونهى ولُبّاً وما خلقنا إلا لنعبده ونعرفه وما
أحالتنا في ذلك على شئ إلا على النظر في العالم لجعله عين الآيات
والدلالات على العلم به مشاهدة وعقلا، فإن نظرنا فإليه، وإن سمعنا
فمنه، وإن عقلنا فعنه، وإن فكرنا ففيه، وإن علمنا فإياه، وإن آمنّا فبه،
فهو المتجلي في كل وجه، والمطلوب من كل آية، والمنظور إليه بكل
عين والمعبود في كل معبود والمقصود في الغيب والشهود، والمحبوب
في عين كل محب، فجميع العالم له مصل وإليه ساجد وبحمده مسبح
فالأسنة به ناطقة والقلوب به هائمة عاشقة والألباب فيه حائرة.

ياقوته في المعصية

المؤمن يرى كل شئ يسبح بحمده فيرى صور أعماله حية
مسبحة لله ذات روح حتى وإن كانت في الظاهر معصية ومخالفة
فهى حية تستغفر لصاحبها لأنه سوى نشأتها مخلقة وأخرجها إلى
الوجود بعد أن كانت عدما.

والمؤمن حال عمله المعصية فكونه كارها لها مؤمن بأنها معصية ذو عمل صالح، وهو من كونه فاعلا لها ذو عمل سيئ، فغايته أن يكون من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، فقال الله تعالى عقيب هذا القول ﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ (٣٦٣) وعسى من الله واجبة.

فهو ذو عمل صالح من ثلاثة أوجه، الإيمان بكونها معصية وكراهته لوقوعها منه، والندم عليها وهو ذو عمل سيئ من وجه واحد وهو ارتكابه إياها.

ولما قال تعالى ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ (٣٦٤) فإنما هي بشرى من الله حيث جعل المخالفة اكتسابا، والطاعة كسبا، فالأكتساب ما هو حق لها فتستحقه فتستحق الكسب ولا تستحق الأكتساب، والحق لا يعامل إلا بالاستحقاق فالأكتساب افتعال ما هو أصلى.

ياقوتة في عبس وتولى

لم يشاهد رسول الله ﷺ سوى الحق فأينما يرى الصفة التي لا تنبغى إلا لله عظمها، ولم يشاهد معها سواها وقام لها ورفاها حقها مثل العزة والكبرياء والغنى، فقال له تعالى وإن كنت تعظم صفتي حيث تراها في المتكبرين والعظماء من الناس لغلبة شهودك إياي فقد أمرتك أن لا تشاهدها مقيدة في المحدثين.

فأمره تعالى بترك هذا المشهد الإلهي الصحيح مراعاة لحفظ القلوب المنكسرة، فإن الله عند المنكسرة قلوبهم غيباً يثبت به الإيمان وينفيه العيان وهو عند المتكبرين عينا يثبت به العيان وينفيه الإيمان فنقل الله نبيه ﷺ من العيان إلى الإيمان وأخبره أن تجليه في أعيان لأعزاء المتكبرين من زينة الحياة الدنيا، فهي زينة الله للحياة الدنيا لآلنا، والذي لنا زينة الله بغير تقييد، وما يلزم من كونه زينا لزيد أن يكون زينا لعمرو.

فمن الناس من لا شهود له إلا زينة الله، ومنهم من لا شهود له إلا زينة الحياة الدنيا من حيث ما هي زينة الله لها لآلنا، فيشهدها لها زينة وإن لم تكن لنا زينة ومن الناس من يشهد زينة الشيطان في عمله وأعمال الخلق ﴿فزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين﴾ (٣٦٥) أما قوله تعالى ﴿زين للناس حب الشهوات﴾ (٣٦٦) فهو مبني للمجهول فقد يكون المزين هو الله إن كان حلالا وقد يكون الشيطان إذا كان حراما.

والعارف لا ينظر العالم من حيث عينه وإنما ينظره من حيث هو مظهر لصفات الحق، قال تعالى ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ (٣٦٧) وقال ﴿نق إنك أنت العزيز الكريم﴾ (٣٦٨) وقال «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فلو كانت العزة والكبرياء صفتهم لما أهلكهم، لأنه كيف يؤاخذهم إذا ظهر بما هو حق له فهو لم

يؤاخذهم بكونهم أذلاء خاشعين فإن الذلة والحقارة صفتهم فمن ظهر بصفته لم يؤاخذ الله .

فتحقق أنها صفة الحق تعالى ظهرت فيمن أراد الله أن يشقيه فتواضع العارفون للجبابرة والمتكبرين للصفة لالعينهم إذ كان الحق هو مشهودهم في كل شيء .

والانحناء في السلام إذا فعله العارفون فهو لمشاهدة جبروت إلهي يجب الانحناء له إذ لا يرون إلا الله ، وغير العارفين يفعلونه جهلا فنهوا عنه .

ياقوتة في المعلومات

المعلومات أربعة :

١- الله :

وهو الموصوف بالوجود المطلق وذاته لا تعلم بدليل ولا ببرهان عقلي

٢- الحقيقة الكلية :

التي هي للحق وللعالم لا تتصف بالوجود ولا بالعدم ولا بالحدوث ولا بالقدم بل هي في القديم إذا اتصف بها قديم وفي المحدث إذا

اتصف بها المحدث، كعود الخشاب هو فى المنبر وفى التابوت وفى الكرسى فالعود ليس له وصف قائم له بذاته ولكنه حسب ما هو فيه.

٣- العالم كله :

من سموات وأرضين وما فيها ومن فيها.

٤- الإنسان الخليفة الذى جعله الله فى هذا العالم المقهور تحت تسخيرہ ﴿وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه﴾ (٣٦٩) .

كان الله ولا شئ معه فلما أراد وجود خلقه تجلى بتجليات التنزيه إلى تلك الحقيقة الكلية فانفعل عنها حقيقة تسمى الهباء وهذه الهباء موجودة فى كل صورة تنقسم ولا تتجزأ وهى بمنزلة طرح البناء الجص ليفتح فيها ما شاء من الأشكال والصور وهذا هو أول موجود فى العالم.

ثم أنه تعالى تجلى بنوره إلى هذا الهباء فقبل كل على حسب استعدادة وقربه إلى هذا النور فلم يكن أقرب إليه قبولا فى ذلك الهباء إلا حقيقة محمد ﷺ فكان سيد العالم بأسره وأول ظاهر فى الوجود، فكان وجوده من ذلك النور الإلهى ومن الهباء ومن الحقيقة الكلية.

ياقوتة في الجنة

الجنان ثلاث:

١- جنة اختصاص إلهي: يدخلها الأطفال من أول ما يولد إلى ستة أعوام من مات منهم قبل ذلك، والمجانين، وأهل التوحيد العلمي وأهل الفترات، ومن لم تصل إليهم الدعوة.

٢- جنة ميراث: وهي جنات كانت معدة لأناس دخلوا النار فبرئها المؤمنون ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا﴾ (٣٧٠) ﴿أورثتموها﴾ (٣٧١).

٣- جنة أعمال: ينزل الناس فيها بأعمالهم، فللصلاة جنة مخصصة بها، وللزكاة كذلك، فما من فريضة ولا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرم ولا مكروه إلا وله جنة مخصصة ونعيم خاص، والجنة التي سمع فيها ﷺ خشخشة بلال فيها إنما كانت جنة معدة لهذا العمل بذاته ﴿بما كنتم تعملون﴾ (٣٧٢).

وكل جنة من الثلاث مائة درجة وكل درجة تنقسم إلى منازل، وأعلى الجنان الوسيلة، ثم عليين، وهما درجتان في جنة عدن، فأعلى الجنان إذا جنة عدن، ثم الفردوس، ثم الخلد، ثم المأوى، ثم دار السلام، ثم دار المقامة.

فأهل النار معذبون بأعمالهم، وأهل الجنة منعمون بأعمالهم وأعمال غيرهم والجنة أوسع من النار فهي كمحيط الدائرة للنار.

ياقوتة في القضاء والقدر

أصحاب المشهد الأول يقولون إن القضاء هو حكم الله في الأشياء في عينها من غير مزيد، فحكم الله هو الذى أمرنا بالرضى به، أما المقضى المحكوم به فلا يلزمنا الرضى به، فلا يلزم الراضى بالقضاء الرضى بالمقضى، وحكم الله في الأشياء على حد علمه بها وفيها وعلم الأشياء على ما أعطته المعلومات مما هي عليه نفسها.

فما حكم القضاء على الأشياء إلا بها، فالحاكم تابع لعين المسألة التى يحكم فيها بما تقتضيه ذاتها فالمحكوم عليه بما هو فيه حاكم على الحاكم أن يحكم عليه بذلك، فكل حاكم محكوم عليه بما حكم به وفيه فإن القدر ما جهل إلا لشدة ظهوره.

أصحاب المشهد الثانى: قالوا إن الإنسان مسير فنازعهم أهل التخيير، فقال لهم أهل التسيير علام بنيتم حكمكم عليه بالتخيير؟ قالوا: لأن الله أعطاه عقلا يفكر به، قالوا: رأيتم الأفكار التى تخلق فى العقل أمى خالقة أم مخلوقة؟ قالوا: بل مخلوقة قالوا حتى الأفكار التى بنيتم عليها قولكم بالتخيير هى مخلوقة لله تعالى فالإنسان إذن مسير، فلم يعذب الله من يعذب وقد سيره؟ إليه قالوا: شيان لا ثانى لهما، إما أن الله تعالى ظالم وإما هناك سر لنعلمه وقد اتفق كل العالمين بما فى ذلك الملاحظة بأنه تعالى تنزه عن الظلم فبقى أن يقال إن هناك سرا اسمه سر القضاء لا يعلمه إلا الله ويوم القيامة ينادى الله على أهل النار قبل دخولها: أظلمتم شيئا؟ فيقولون: لا، فلا بد وأنه

تعالى قد كشف لهم سر القضاء فوجدوا أنهم استحقوا أشد من النار راضين عن حكم الله متلذذين بكشفهم أنهم يستحقوا أشد من النار، فالنار بالنسبة لهم أرحم مما يستحقون، ثم يغيب الله عنهم سر القضاء، فحينئذ يشعرون بالعذاب فى النار.

أصحاب المشهد الثالث قالوا: إن القضاء معاملة بين الله وخلقه وهى معاملة بين الشريعة والحقيقة كلها آداب مرعية فإن عصى العبد فقابل الله تعالى بالشريعة، فقال له يارب أنا عصيت وأنا جنيت وأنا اعتديت، قابله ربه بالحقيقة، فقال له: بل أنا قضيت وأنا أغفرها لك.

وإذا قابل العبد ربه بالحقيقة فقال له بل أنت يارب قضيت على المعصية قابله الله بالشريعة، فقال له: بل أنت فعلت، وأنت عصيت وسأدخلك النار.

وكذا إذا فعل العبد الطاعة فقال يارب أنت يسرت وأنت سهلت وأنت أعنت قابله ربه بالشريعة، فقال: بل أنت عملت وأنت أحسنت وسأدخلك الجنة.

أصحاب المشهد الرابع قالوا: العباد نوعان: عبد يشاهد نفسه، وعبد يشاهد أن الله سمعه وبصره وجميع قواه، فالأول مسير والثانى يفعل بالله فهو مخير، لأنه يغير القضاء بالقضاء، والحكم منه كالحكم من ربه.

قال سيدى عبد القادر كل الأولياء لما وصلوا إلى القدر وجدوه مصمتا فوقفوا إلا أنا فتحت لى فيه روزنة فولجت فيها فدافعت أقدار الحق بالحق، فالرجل هو المنازع للقدر لا الموافق له. ولذلك قالوا بسم الله من العارف ككن من الله، وأهل الجنة جميعا يقولون للشئ كن فيكون.

ياقوتة في وهو محكم

خرج أبو يزيد فى بدايته إلى السياحة فقابله شيخ، فقال له: أين؟ فقال: أبحث عن الحق، فقال: الذى تبحث عنه تركته فى بسطام ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ (٣٧٣)

قد يرحل المرء لمطلوبه والسبب المطلوب في الراحل

فما نقل الله عبدا من مكان إلى مكان ليراه بل ليريه من آياته التى غابت عنه «زويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاريها» ﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾ (٣٧٤) وكذلك نقله عبده من مكان إلى مكان ليريه ماخص الله به ذلك المكان من الآيات الدالة عليه ﴿لنريه من آياتنا﴾ (٣٧٥) فإذا أراد تعالى أن يسرى بأرواح من شاء من ورثة رسله من أوليائه فهو إسراء لزيادة

علم وفتح عين فهم، فمنهم من أسرى به فيه فيرى العالم على صورة الحق ويرى نفسه على صورة العالم، فيسرى به الحق في أسمائه فيعلم أنه المسمى بكل اسم إلهي، وبها يظهر الحق في عبادته، وبها يتلون العبد في حالاته، فهي في الحق أسماء وفيها تلوينات، وهي عين الشئون التي هو فيها الحق ففيها ربنا يتصرف كما نحن به فيه نظهر.

فمن رحمته تعالى أنه وصف نفسه بالإتيان والنزول، ومن رحمته أن ألزمتنا مكاننا وكان معنا حيث كنا رحمة بنا ورعاية لنا، فإذا علم العبد ما أودع الله فيه من أسرار وحكم وتحقق عنده حدوثه وعرف ذاته معرفة إحاطية فتجلى له، وقال: ما اسمي عندك؟ فقال أنت ربي فقال له سبحانه: أنت مربي، وأنا ربك أعطيتك أسمائي وصفاتي فمن رآك رآني، ومن أطاعك أطاعني، ومن علمك علمني، ومن جهلك جهلني، فغاية من دونك أن يتوصلوا إلى معرفة نفوسهم منك .

الهوامش

- (١) سورة الحج، الآية ٧٨.
- (٢) سورة البقرة الآية ١٨٥.
- (٣) سورة الحج الآية ٧٨.
- (٤) سورة النساء الآية ٩٥.
- (٥) سورة النساء الآية ٩٥.
- (٦) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.
- (٧) سورة الحج الآية ٧٨.
- (٨) سورة النساء الآية ٩٥.
- (٩) سورة الأنفال الآية ٧٢.
- (١٠) سورة التوبة الآية ١١١.
- (١١) سورة التوبة الآية ١١١.
- (١٢) سورة التوبة الآية ١١١.
- (١٣) سورة العنكبوت الآية ٦٩.
- (١٤) سورة الأنعام الآية ١٥٣.
- (١٥) سورة هود الآية ١٢٣.
- (١٦) سورة الأنفال الآية ١٧.
- (١٧) سورة العنكبوت الآية ٦٩.
- (١٨) سورة الحج الآية ٧٨.
- (١٩) سورة البقرة الآية ١٥٤.

- (٢٠) سورة آل عمران الآية ١٦٩ .
 (٢١) سورة البقرة الآية ٢٤٦ .
 (٢٢) سورة الرعد الآية ١٣ .
 (٢٣) سورة النحل الآية ٥٠ .
 (٢٤) سورة هود الآية ٥٦ .
 (٢٥) سورة فصلت الآية ١١ .
 (٢٦) سورة الشعراء الآية ٤ .
 (٢٧) سورة فصلت الآية ١١ .
 (٢٨) سورة طه الآية ١٢١ .
 (٢٩) سورة الحج الآية ٧٨ .
 (٣٠) سورة مريم الآية ٨٥ .
 (٣١) سورة العلق الآية ١ .
 (٣٢) سورة هود الآية ٤١ .
 (٣٣) سورة التوبة الآية ١٢٨ .
 (٣٤) سورة الصافات الآية ١٦٤ .
 (٣٥) سورة النمل الآية ٣٩ .
 (٣٦) سورة النمل الآية ٤٠ .
 (٣٧) سورة البقرة الآية ٣٠ .
 (٣٨) سورة الأحزاب الآية ٧٢ .
 (٣٩) سورة الحديد الآية ٤ .
 (٤٠) سورة العنكبوت الآية ٥٦ .
 (٤١) الإسراء الآية الأولى .
 (٤٢) سورة الدخان الآية ٤٩ .
 (٤٣) سورة غافر الآية ٣٥ .
 (٤٤) سورة هود الآية ١٢٣ .
 (٤٥) الذاريات الآية ٥٦ .
 (٤٦) الذاريات الآية ٥٦ .
 (٤٧) سورة الشورى الآية ١١ .

- (٤٨) سورة الحديد الآية ٤ .
 (٤٩) سورة طه الآية ٥ .
 (٥٠) سورة طه الآية ١١٤ .
 (٥١) سورة المعارج الآية ٢٣ .
 (٥٢) سورة فصلت الآية ٥٣ .
 (٥٣) سورة الشمس الآية ٨ .
 (٥٤) سورة الحج الآية ٥٢ .
 (٥٥) سورة النجم الآية ٣ .
 (٥٦) سورة النساء الآية ١٣٦ .
 (٥٧) سورة النحل الآية ٦٨ .
 (٥٨) سورة البقرة الآية ٢٨٢ .
 (٥٩) سورة الأنفال الآية ٢٩ .
 (٦٠) سورة الإسراء الآية ٨٥ .
 (٦١) سورة فصلت الآية ٣٥ .
 (٦٢) سورة البقرة الآية ٢٨٢ .
 (٦٣) سورة العلق الآية ٥ .
 (٦٤) سورة الرحمن الآية ٤ .
 (٦٥) سورة النساء الآية ١١٣ .
 (٦٦) سورة آل عمران الآية ٤٨ .
 (٦٧) سورة البقرة الآية ٢٦٩ .
 (٦٨) سورة التحريم الآية ٦ .
 (٦٩) سورة يس الآية ٥٩ .
 (٧٠) سورة التكاوير الآية ٦ .
 (٧١) سورة الحجر الآية ٤٢ .
 (٧٢) سورة البقرة الآية ٢٦٨ .
 (٧٣) سورة الزمر الآية ٣ .
 (٧٤) سورة النحل الآية ٨٨ .
 (٧٥) سورة العنكبوت الآية ١٣ .

- (٧٦) سورة العنكبوت الآية ١٢ .
 (٧٧) سورة النساء الآية ٥٦ .
 (٧٨) سورة ص الآية ٦٢ .
 (٧٩) سورة المائدة الآية ٣٣ .
 (٨٠) سورة الأنفال الآية ٢٥ .
 (٨١) سورة ق الآية ١٦ .
 (٨٢) سورة الواقعة الآية ٨٥ .
 (٨٣) سورة طه الآية ٨١ .
 (٨٤) سورة البروج الآية ١٢ .
 (٨٥) سورة الشورى الآية ١١ .
 (٨٦) سورة النساء الآية ٧٧ .
 (٨٧) سورة غافر الآية ٦٠ .
 (٨٨) سورة الإسراء الآية ٧٨ .
 (٨٩) سورة الرحمن الآية ٩ .
 (٩٠) سورة طه الآية ٥٠ .
 (٩١) سورة الرعد الآية ٨ .
 (٩٢) سورة الحجر الآية ٢١ .
 (٩٣) سورة الشورى الآية ٢٧ .
 (٩٤) سورة البقرة الآية ٤٠ .
 (٩٥) سورة يونس الآية ٧٢ .
 (٩٦) سورة القصص الآية ٥٦ .
 (٩٧) سورة القصص الآية ٥٦ .
 (٩٨) سورة النساء الآية ٣٤ .
 (٩٩) سورة الواقعة الآية ٣٣ .
 (١٠٠) سورة البقرة الآية ٢٥٥ .
 (١٠١) سورة النور الآية ٣٥ .
 (١٠٢) سورة الأحزاب الآية ٨ .
 (١٠٣) سورة التغابن الآية ١٦ .

- (١٠٤) سورة آل عمران الآية ١٠٢ .
 (١٠٥) سورة الأحزاب الآية ٥٧ .
 (١٠٦) سورة الأحزاب الآية ٥٢ .
 (١٠٧) سورة البقرة الآية ٢٥٥ .
 (١٠٨) سورة العلق الآية ١٤ .
 (١٠٩) سورة فصلت الآية ٥٣ .
 (١١٠) سورة الأنبياء الآية ١٠٥ .
 (١١١) سورة آل عمران الآية ١٨٩ .
 (١١٢) سورة البقرة الآية ٢٥٧ .
 (١١٣) سورة الروم الآية ٤٧ .
 (١١٤) سورة الأعراف الآية ١٧٢ .
 (١١٥) سورة البقرة الآية ٢٥٣ .
 (١١٦) سورة الإسراء الآية ٥٥ .
 (١١٧) سورة النحل الآية ٧١ .
 (١١٨) سورة البقرة الآية ٢٥٧ .
 (١١٩) سورة الشورى الآية ٢٨ .
 (١٢٠) سورة الأنبياء الآية ٧٩ .
 (١٢١) سورة البقرة الآية ٢٥٧ .
 (١٢٢) سورة محمد الآية ٧ .
 (١٢٣) سورة غافر الآية ٧ .
 (١٢٤) سورة غافر الآية ٧ .
 (١٢٥) سورة غافر الآية ٨ .
 (١٢٦) سورة غافر الآية ٨ .
 (١٢٧) سورة غافر الآية ٨ .
 (١٢٨) سورة الشورى الآية ٥ .
 (١٢٩) سورة الشورى الآية ٥ .
 (١٣٠) سورة الشورى الآية ٥ .
 (١٣١) سورة آل عمران الآية ١٢٦ .

- (١٣٢) سورة البقرة الآية ٣٠ .
 (١٣٣) سورة التين الآية ٤ .
 (١٣٤) سورة آل عمران ٢٨ .
 (١٣٥) سورة الأنفال الآية ١٧ .
 (١٣٦) سورة الأنفال الآية ١٧ .
 (١٣٧) سورة الأحزاب الآية ٧٢ .
 (١٣٨) سورة الأحزاب الآية ٧٢ .
 (١٣٩) سورة البقرة الآية ٣٠ .
 (١٤٠) سورة البقرة الآية ٣٠ .
 (١٤١) سورة الشورى الآية ١١ .
 (١٤٢) سورة الشورى الآية ٤٠ .
 (١٤٣) سورة الشورى الآية ٤٠ .
 (١٤٤) سورة آل عمران الآية ١٨ .
 (١٤٥) سورة الإسراء الآية ٨٥ .
 (١٤٦) سورة الإسراء الآية ٨٥ .
 (١٤٧) سورة الفجر الآية ٢٨ .
 (١٤٨) سورة ق الآية ٢٢ .
 (١٤٩) سورة الحديد الآية ٤ .
 (١٥٠) سورة الزمر الآية ٤٧ .
 (١٥١) سورة المائدة الآية ١١٦ .
 (١٥٢) سورة ص الآية ٣٥ .
 (١٥٣) سورة البلد الآية ٨ .
 (١٥٤) سورة البلد الآية ١٠ .
 (١٥٥) سورة الحج الآية ١٨ .
 (١٥٦) سورة طه الآية ٥٠ .
 (١٥٧) سورة الشورى الآية ١١ .
 (١٥٨) سورة البقرة الآية ٣٢ .
 (١٥٩) سورة المائدة الآية ٩٩ .

- (١٦٠) سورة ص الآية ٢٦ .
 (١٦١) سورة الفتح الآية ١٠ .
 (١٦٢) سورة محمد الآية ٢ .
 (١٦٣) سورة الفتح الآية ٩ .
 (١٦٤) سورة الفتح الآية ١٠ .
 (١٦٥) سورة يس الآية ٥٢ .
 (١٦٦) سورة طه الآية ٦٦ .
 (١٦٧) سورة الواقعة الآية ٣٣ .
 (١٦٨) سورة طه الآية ٥ .
 (١٦٩) سورة الأنعام الآية ٣ .
 (١٧٠) سورة الحديد الآية ٤ .
 (١٧١) سورة الحديد الآية ٣ .
 (١٧٢) سورة الإخلاص الآية ١ .
 (١٧٣) سورة البقرة الآية ١١٥ .
 (١٧٤) سورة الحج الآية ٤٢ .
 (١٧٥) سورة الكهف الآية ٢٣ - ٢٤ .
 (١٧٦) سورة الكهف الآية ٦٩ .
 (١٧٧) سورة البقرة الآية ١٥٨ .
 (١٧٨) سورة يونس الآية ٢٢ .
 (١٧٩) سورة الذاريات الآية ٥٦ .
 (١٨٠) سورة القوية الآية ٦٠ .
 (١٨١) سورة سبأ الآية ٣٩ .
 (١٨٢) سورة العلق الآية ٦ .
 (١٨٣) سورة طه الآية ٥٠ .
 (١٨٤) سورة ص الآية ٤٤ .
 (١٨٥) سورة ص الآية ٣٠ .
 (١٨٦) سورة فاطر الآية ١٥ .
 (١٨٧) سورة الإسراء الآية ٢٣ .

- (١٨٨) سورة الفتح الآية ١٠ .
 (١٨٩) سورة النساء الآية ٨٠ .
 (١٩٠) سورة الأنفال الآية ١٧ .
 (١٩١) سورة الحجرات الآية ٧ .
 (١٩٢) سورة الأنفال الآية ١٧ .
 (١٩٣) سورة النحل الآية ٨١ .
 (١٩٤) سورة البقرة الآية ٢٥٧ .
 (١٩٥) سورة الجاثية الآية ٢٣ .
 (١٩٦) سورة ص الآية ٥ .
 (١٩٧) سورة الرعد الآية ٣٣ .
 (١٩٨) سورة آل عمران الآية ١٩ .
 (١٩٩) سورة النبيلة الآية ٥ .
 (٢٠٠) سورة البقرة الآية ٢٢٨ .
 (٢٠١) سورة الأحزاب الآية ٢٣ .
 (٢٠٢) سورة النور الآية ٣٧ .
 (٢٠٣) سورة الأعراف الآية ٤٦ .
 (٢٠٤) سورة الحجرات الآية ٧ .
 (٢٠٥) سورة آل عمران الآية ١٤ .
 (٢٠٦) سورة الروم الآية ٢١ .
 (٢٠٧) سورة فاطر الآية ١٥ .
 (٢٠٨) سورة الإسراء الآية ٢٣ .
 (٢٠٩) سورة آل عمران الآية ٣١ .
 (٢١٠) سورة المائدة الآية ٥٤ .
 (٢١١) سورة الحديد الآية ٣ .
 (٢١٢) سورة الذاريات الآية ٥٦ .
 (٢١٣) سورة النور الآية ٤١ .
 (٢١٤) سورة الحج الآية ١٨ .
 (٢١٥) سورة طه الآية ٤١ .

- (٢١٦) سورة من الآية ٢٦ .
 (٢١٧) سورة البقرة الآية ١٦٥ .
 (٢١٨) سورة البقرة الآية ١٦٥ .
 (٢١٩) سورة مريم الآية ٩٦ .
 (٢٢٠) سورة يوسف الآية ٩٥ .
 (٢٢١) سورة يوسف الآية ٨٦ .
 (٢٢٢) سورة النساء الآية ١ .
 (٢٢٣) سورة الواقعة الآية ٦ .
 (٢٢٤) سورة النور الآية ٣٩ .
 (٢٢٥) سورة النور الآية ٣٩ .
 (٢٢٦) سورة البقرة الآية ١١٥ .
 (٢٢٧) سورة الحديد الآية ٤ .
 (٢٢٨) سورة آل عمران الآية ٣١ .
 (٢٢٩) سورة البقرة الآية ٢٨١ .
 (٢٣٠) سورة غافر الآية ٣٥ .
 (٢٣١) سورة لقمان الآية ١٨ .
 (٢٣٢) سورة التوبة الآية ١٠٨ .
 (٢٣٣) سورة آل عمران الآية ١٤٦ .
 (٢٣٤) سورة النحل الآية ١٢٨ .
 (٢٣٥) سورة آل عمران الآية ١٤٦ .
 (٢٣٦) سورة الأنبياء الآية ٨٣ .
 (٢٣٧) سورة البقرة الآية ١٥٨ .
 (٢٣٨) سورة ابراهيم الآية ٧ .
 (٢٣٩) سورة الفاتحة الآية ١ .
 (٢٤٠) سورة البقرة الآية ١٩٥ .
 (٢٤١) سورة فصلت الآية ٥٣ .
 (٢٤٢) سورة الحديد الآية ٤ .
 (٢٤٣) سورة الصف الآية ٤ .

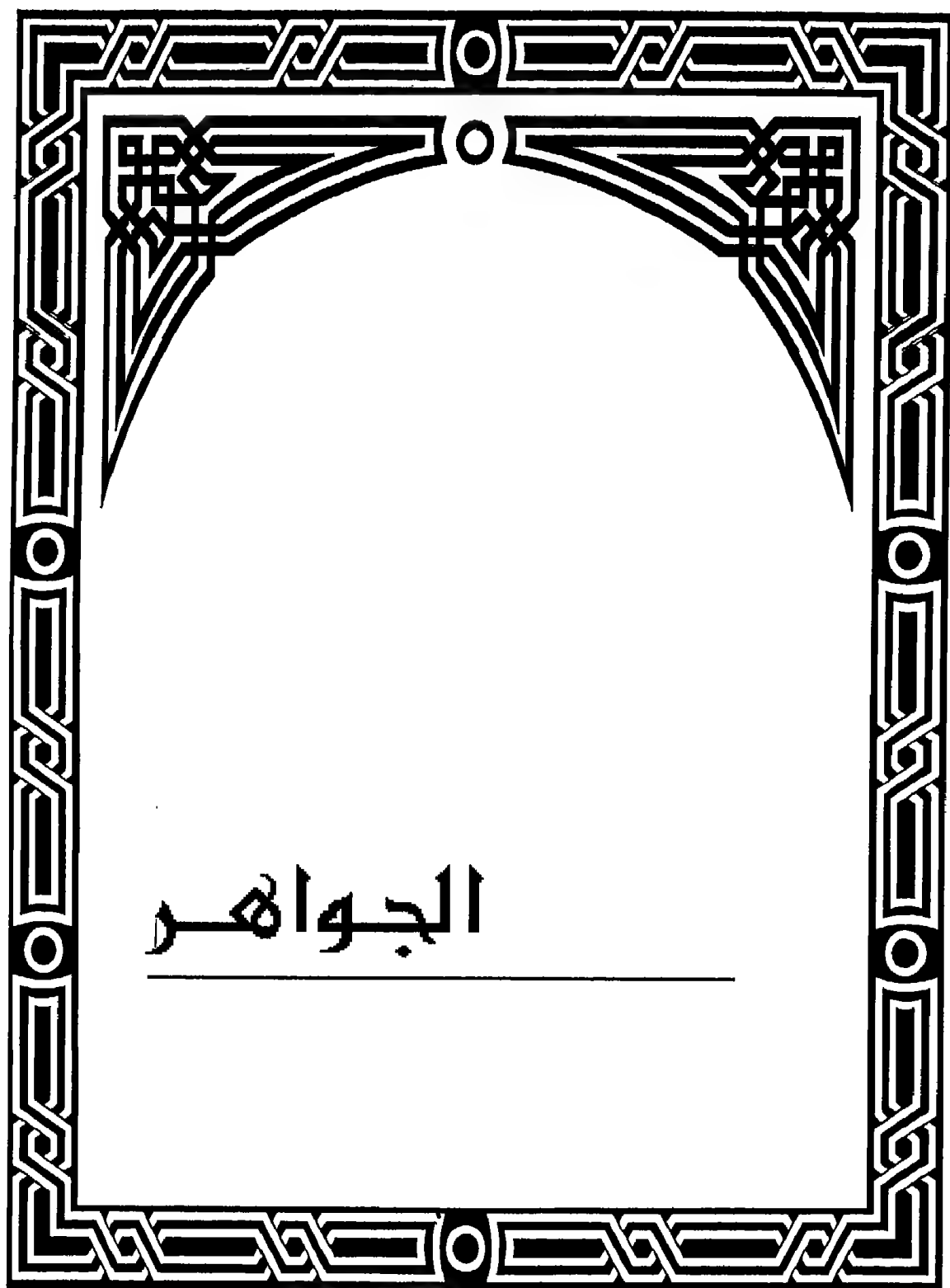
- (٢٤٤) سورة الصائدة الآية ٥٤ .
 (٢٤٥) سورة يس الآية ٣٧ .
 (٢٤٦) سورة يونس الآية ٢٦ .
 (٢٤٧) سورة الكهف الآية ١١٠ .
 (٢٤٨) سورة الأنفال الآية ٦١ .
 (٢٤٩) سورة القوية الآية ٢٩ .
 (٢٥٠) سورة طه الآية ٥ .
 (٢٥١) سورة مريم الآية ٥٧ .
 (٢٥٢) سورة محمد الآية ٣٥ .
 (٢٥٣) سورة البقرة الآية ٢٥٣ .
 (٢٥٤) سورة الإسراء الآية ٥٥ .
 (٢٥٥) سورة الحل الآية ٧١ .
 (٢٥٦) سورة البقرة الآية ٢٥٧ .
 (٢٥٧) سورة للشورى الآية ٢٨ .
 (٢٥٨) سورة الأنبياء الآية ٧٩ .
 (٢٥٩) سورة الأنبياء الآية ٧٢ .
 (٢٦٠) سورة ص الآية ٤٣ .
 (٢٦١) سورة مريم الآية ٥٣ .
 (٢٦٢) سورة الجاثية الآية ١٣ .
 (٢٦٣) سورة ص الآية ٣٦ .
 (٢٦٤) سورة ص الآية ٣٩ .
 (٢٦٥) سورة الإنسان الآية ٩ .
 (٢٦٦-٢٦٧) سورة الأعراف الآية ١٥٦ .
 (٢٦٨) سورة الأنعام الآية ٥٤ .
 (٢٦٩) سورة الفتح الآية ٤ .
 (٢٧٠) سورة الرعد الآية ٢٨ .
 (٢٧١) سورة النساء الآية ٢٨ .
 (٢٧٢) سورة الروم الآية ٢٧ .

- (٢٧٣ ، ٢٧٤) سورة البقرة الآية ٣٠ .
 (٢٧٥) سورة الاحقاف الآية ٩ .
 (٢٧٦) سورة القصص الآية ٥٦ .
 (٢٧٧) سورة الشورى الآية ٢٣ .
 (٢٧٨) سورة الأنفال الآية ١٧ .
 (٢٧٩) سورة الأعراف الآية ١٥٧ .
 (٢٨٠) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .
 (٢٨١) سورة التكوير الآية ٢٠ .
 (٢٨٢) سورة فاطر الآية ١٠ .
 (٢٨٣) سورة المعاديات الآية ١٠ .
 (٢٨٤) سورة آل عمران الآية ١٨ .
 (٢٨٥) سورة الشورى الآية ٤٠ .
 (٢٨٦) سورة الشورى الآية ٥٢ .
 (٢٨٧) سورة آل عمران الآية ١٧٣ .
 (٢٨٨) سورة الإسراء الآية ٤٤ .
 (٢٨٩) سورة النور الآية ٤١ .
 (٢٩٠) سورة النمل الآية ١٨ .
 (٢٩١) سورة النمل الآية ٢٢ .
 (٢٩٢) سورة فصلت الآية ٢١ .
 (٢٩٣) سورة النحل الآية ٨ .
 (٢٩٤) سورة يوسف الآية ٢٤ .
 (٢٩٥) سورة طه الآية ٦٦ .
 (٢٩٦) سورة الأعراف الآية ١١٧ .
 (٢٩٧) سورة طه الآية ٦٩ .
 (٢٩٨) سورة الأنعام الآية ٨٢ .
 (٢٩٩) سورة الأنبياء الآية ٧٩ .
 (٣٠٠) سورة الضحى الآية ٥ .
 (٣٠١) سورة الذاريات الآية ٢٢ .

- (٣٠٢) سورة الزمر الآية ٦٨ .
 (٣٠٣) سورة آل عمران الآية ٢٨ .
 (٣٠٤) سورة النصر الآية ١ .
 (٣٠٥) سورة آل عمران الآية ١٨ .
 (٣٠٦) سورة النحل الآية ٣٢ .
 (٣٠٧) سورة النساء الآية ٧٩ .
 (٣٠٨) سورة النساء الآية ٧٨ .
 (٣٠٩-٣١٠) سورة البقرة الآية ٢٨٢ .
 (٣١١) سورة الكهف الآية ٦٥ .
 (٣١٢) سورة الإسراء الآية ٧٩ .
 (٣١٣) سورة الجمعة الآية ٤ .
 (٣١٤) سورة الفتح الآية ٢٨ .
 (٣١٥) سورة النساء الآية ٤١ .
 (٣١٦) سورة آل عمران الآية ٨١ .
 (٣١٧) سورة النساء الآية ١٦٦ .
 (٣١٨) سورة البقرة الآية ١٤٣ .
 (٣١٩) سورة النور الآية ٢٤ .
 (٣٢٠) سورة فصلت الآية ٢٠ .
 (٣٢١) سورة يوسف الآية ١٠٨ .
 (٣٢٢) سورة آل عمران الآية ٢١ .
 (٣٢٣) سورة الإسراء الآية ٨٥ .
 (٣٢٤) سورة الأنفال الآية ٢٩ .
 (٣٢٥) سورة البقرة الآية ٢٨٢ .
 (٣٢٦) سورة الروم الآية ٢٣ .
 (٣٢٧) سورة الكهف الآية ٦٥ .
 (٣٢٨) سورة البقرة الآية ٢٨٢ .
 (٣٢٩) سورة الأنبياء الآية ٢ .
 (٣٣٠) سورة غافر الآية ٦٠ .

- (٣٣١) سورة الأنفال الآية ١٧ .
 (٣٣٢-٣٣٣) سورة الشورى الآية ١٣ .
 (٣٣٤) سورة التغابن الآية ١٣ .
 (٣٣٥) سورة القلم الآية ٤٤ .
 (٣٣٦، ٣٣٧) سورة النمل الآية ٥٠ .
 (٣٣٨) سورة آل عمران الآية ٥٤ .
 (٣٣٩) سورة البقرة الآية ١٤ .
 (٣٤٠) سورة البقرة الآية ١٥ .
 (٣٤١) سورة الرحمن الآية ٦٠ .
 (٣٤٢) سورة الصافات الآية ٥٥ .
 (٣٤٣) سورة الشورى الآية ٤٥ .
 (٣٤٤) سورة الحديد الآية ٤ .
 (٣٤٥) سورة فصلت الآية ٥٤ .
 (٣٤٦) سورة الطلق الآية ١٤ .
 (٣٤٧) سورة الشعراء الآية ٢١٨ .
 (٣٤٨) سورة ق الآية ١٦ .
 (٣٤٩) سورة الواقعة الآية ٨٥ .
 (٣٥٠) سورة النور الآية ٣١ .
 (٣٥١) سورة التوبة الآية ١١٨ .
 (٣٥٢) سورة الأنفال الآية ١٧ .
 (٣٥٣) سورة الانفطار الآية ٦ .
 (٣٥٤) سورة المائدة الآية ٥٤ .
 (٣٥٥) سورة البقرة الآية ٢٢٢ .
 (٣٥٦) سورة التوبة الآية ١١٨ .
 (٣٥٧) سورة النازعات الآية ٤٠ .
 (٣٥٨) سورة البقرة الآية ٢٢٢ .
 (٣٥٩) سورة الأحزاب الآية ٣٥ .
 (٣٦٠) سورة الأحزاب الآية ٤١ .

- (٣٦١) سورة البقرة الآية ١٥٢ .
 (٣٦٢) سورة الأحزاب الآية ٤٣ .
 (٣٦٣) سورة لقمان الآية ١٠٢ .
 (٣٦٤) سورة البقرة الآية ٢٨٦ .
 (٣٦٥) سورة التوبة الآية ٣٨ .
 (٣٦٦) سورة آل عمران الآية ١٤ .
 (٣٦٧) سورة غافر الآية ٣٥ .
 (٣٦٨) سورة الدخان الآية ٤٩ .
 (٣٦٩) سورة لقمان الآية ٢٠ .
 (٣٧٠) سورة مريم الآية ٦٣ .
 (٣٧١) سورة الزخرف الآية ٧٢ .
 (٣٧٢) سورة الزخرف الآية ٧٢ .
 (٣٧٣) سورة الحديد الآية ٤ .
 (٣٧٤) سورة الأنعام الآية ٧٥ .
 (٣٧٥) سورة الإسراء الآية ١ .



جوهرة في التوسل

التوسل هو طلب الوسيلة وهو ما مور به ﴿ وابتغوا إليه الوسيلة ﴾^(١)، ومدح أناسا فقال ﴿ يبتغون إلى ربهم الوسيلة ﴾^(٢) والتوسل إما أن يكون بالعمل الصالح، وإما برسول الله ﷺ وإما بالأنبياء، وإما بالصالحين، وإما بآثار الصالحين.

١ - التوسل بالعمل الصالح: عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم، قال رجل منهم: اللهم إنه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بى طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدرح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، والصبيبة

يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه، قال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم فأرديتها على نفسها فامتنعت مني، حتى أمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطينها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها؛ اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، وقال الثالث: اللهم إنني استأجرت أجرا وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين، فقال: يا عبدالله أدِّ إلي أجرى، فقلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبدالله لا تستهزئ بي، فقلت: لا أستهزئ بك فأخذه فاستاقه فلم يترك منه شيئا، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون،

رواه البخاري ومسلم والنسائي

وأرجى الأعمال الصالحة هي محبة رسول الله ﷺ

٢ - التوسل بالنبي ﷺ :

- توسل به آدم عليه السلام قبل خلقه .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لما اقترب آدم خطيئته، قال: يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال يارب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تصنف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلى ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك.

أخرجه الحاكم، وصححه الحافظ والسيوطي في الخصائص وصححه البيهقي في دلائل النبوة، والطبراني في الأوسط، وصححه القسطلاني، والزرقاني في المراهب اللدنية، والسبكي في شفاء السقام - التوسل به في حياته ﷺ وبعد وفاته.

عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وقد جاءه رجل ضرير البصر فقال: ادع الله أن يعافيني قال: «إن شئت دعوت لك وإن شئت أخرت ذلك فهو خير» فقال ادعه: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلّي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي فيجلى لي عن بصري.

قال عثمان: فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل، وكأنه لم يكن به ضرر.

رواه الترمذي وقال حسن صحيح والنسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة، والطبراني، والحاكم وصححه، وأقره الذهبي.

عن مالك النذاري قال «أصاب الناس قحط في زمن عمر رضي الله عنه وجاء بلال بن الحارث المزني إلى قبر رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتاه ﷺ في المنام وقال له، إئت عمر فأقرئه مني السلام وأخبرهم أنهم مسقون، وقل له، عليك بالكيس الكيس.

رواه ابن أبي شيبة في مصنفه بسند صحيح

قال ابن حجر في الفتح إسناده صحيح وأخرجه البيهقي بسند صحيح ورواه الحافظ ابن كثير في البداية بسند صحيح.

قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٣)

قال المفسرون: هي عامة في حياته وبعد مماته ﷺ.

وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب فقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا قال: فيسقون».

فهو في الحقيقة توسل بالرسول ﷺ بعد وفاته ولكن الاستسقاء يتعين بإمام حاضر يدعو أو يصلي ويؤمن المسلمون وراءه، فقدم العباس رضي الله عنه لقربته من رسول ﷺ.

روى الدارمى يسند صحيح عن أبى الجوزاء، وأوس بن عبد الله قال: قحط أهل المدينة قحطا شديدا، فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا إلى قبر النبى ﷺ فاجعلوا منه كوا إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف قال: ففعلوا فمطروا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق .
- التوسل به ﷺ فى عرصات القيامة .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فى حديث الشفاعة الطويل: إن الناس يقولون «لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا....» فيأتون فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء قد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه...»

رواه البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود

- توسل رسول الله ﷺ بنفسه وبالأتبياء .

عن أنس رضى الله عنه أن فاطمة بنت أسد، أم على بن أبى طالب لما ماتت حفر رسول الله ﷺ لحدّها بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه فقال: «الله الذى يحيى ويميت وهو حى لا يموت اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ولقنها حبتها ووسع مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى فإنك أرحم الراحمين» .

رواه الحاكم وابن حبان والطبرانى فى الكبير والأوسط يسند صحيح

٣ - التوسل بالصالحين :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، «من قال حين يخرج للصلاة اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار وأن تغفرلي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وكّل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له، وأقبل الله عليه بوجهه حتى يفرغ من صلاته،

رواه أحمد وابن خزيمة بسند صحيح

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «أبغوني ضعفاءكم فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم».

رواه أبو داود والترمذي والنسائي بسند صحيح

٤ - التوسل بآثار الصالحين :

قال تعالى ﴿وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة﴾^(٤) قال الحافظ ابن كثير في التاريخ قال ابن جرير عن هذا التابوت: وكانوا إذا قاتلوا أحداً من الأعداء يكون معهم هذا التابوت، فكانوا ينتصرون ببركته وبما جعل الله فيه من السكينة، قال ابن كثير: والبقية هي آثار آل موسى وآل هارون، قالوا: كانت فيه عصا موسى وعصا هارون ولوحان من التوراة، قال ابن كثير: وقد كانوا ينتصرون على أعدائهم بسببه.

* واعلم أنه بعد انتقال الناس إلى البرزخ بالموت فإنهم يتميزون إلى سبعة أقسام وتحت كل قسم درجاته ودركاته.

١ - أرواح الكافرين وتكون في سجن يسمى سجين ذكره الألويسي وابن كثير والطبري في تفسير قوله تعالى ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سَجِينٍ﴾ (٥).

٢ - أرواح عامة المسلمين تكون كالنائمة ليس لها صلة بدنيا ولا بأخرى، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ بعد صلاة الصبح فذكر حديث الإسراء الطويل وفيه «ثم انطلقنا فإذا نحن بموتى أشد شئ انتفاخاً وأنتنه ريحا قلت ما هؤلاء؟ قال هؤلاء موتى الكفار، ثم انطلقنا فإذا نحن نرى دخانا ونسمع عواء قلت: ما هذا؟ قال: هذه جهنم فدعها، ثم انطلقنا فإذا نحن برجال نيام تحت ظل الشجرة قلت ما هؤلاء؟ قال: موتى المسلمين، ثم انطلقنا فإذا نحن بجوار غلمان يلعبون بين نهريْن قلت ما هؤلاء؟ قال: ذرية المؤمنين، ثم انطلقنا فإذا نحن برجال أحسن شيئاً وجهاً وأحسنه لبوساً وأطيبه ريحاً كأن وجوههم القراطيس قلت: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الصديقون والشهداء والصالحون، ثم انطلقنا فإذا نحن بثلاثة نفر يشربون خمراً ويغنون فقلت ما هؤلاء؟ قال: ذاك زيد بن حارثة، وجعفر، وابن رواحة....»

٣ - أرواح أطفال المؤمنين تكون سارحة في الجنة كما تقدم في حديث الإسراء يعلمهم إبراهيم عليه السلام القرآن.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أطفال المؤمنين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة، حتى يردهم إلى آبائهم يوم القيامة».

رواه أحمد والحاكم والبيهقي بسند صحيح

عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ في الحديث الطويل «والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام، والصبيان حوله فأولاد الناس - وفي رواية - وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة فقال بعض المسلمين: وأولاد المشركين يا رسول الله فقال وأولاد المشركين».

أما أطفال المشركين الذين ماتوا قبل الحلم فمنهم من سيكون من خدم أهل الجنة فهم في البرزخ مع أرواح القسم الثاني نائمين، ومنهم من يتعلم القرآن مع أطفال المسلمين إذ أن الله أعلم بما كانوا عاملين.

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «أطفال المشركين خدم أهل الجنة».

رواه الطبراني في الأوسط، والبخاري في تاريخه الأوسط عن سمرة بن جندب بسند حسن .

٤ - أرواح عامة المؤمنين، تكون في البرزخ على حالة ما كانت عليه في الدنيا من انشغالها بالله، وليس لها اتصال بالدنيا.

عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»

رواه مالك في الموطأ

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «..... فيأتون به أرواح المؤمنين، فلهم أشد فرحاً من أحدكم بغائبه يقدم عليهم فيسألونه ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانه؟ فيقولون: دعوه فإنه كان في غم الدنيا فإذا قال أو ما أتاكم؟ قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية»

رواه النسائي بسند حسن

٥ - أرواح خاصة المؤمنين، ويكون لها النفع التام لأهلها خاصة.
عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «إن أعمالكم تُعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيراً استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا» .

رواه أحمد بسند حسن

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب تمر في جوها فالله الله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تُعرض عليهم» .

رواه الحاكم على شرطهما بسند صحيح وأقره الذهبي

٦ - أرواح الشهداء، وتكون في حواصل طير خضر في الجنة ويكون لها التصريف التام في الدنيا بالنفع. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ مر على شهداء أحد فقال: «أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزورهم والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه»

رواه الحاكم وقال صحيح على شرطهما وأقره الذهبي

عن مسروق قال: سئل ابن مسعود عن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياء عند ربهم يرزقون﴾ (٦). فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل»

رواه مسلم

عن ابنة ثابت ابن قيس بن شماس أن أباه قتل يوم اليمامة شهيدا فرآه رجل من المسلمين في منامه فقال: إني لما قتلت بالأمس مربى رجل من المسلمين فانتزع مني درعا نفيسة ومنزله في أقصى العسكر، وعند منزله فرس يستن في طوله وقد أكفأ على الدرع برمة وجعل فوق البرمة رجلا فائت خالد بن الوليد فليبعث إلى درعي فليأخذها فإذا قدمت على خليفة رسول الله ﷺ فأعلمه أن على من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقى عتيق، وإياك أن تقول هذا حلم فتضيقه، قال: فأتى خالد بن الوليد فوجه إلى الدرع فوجدتها كما ذكر

وقدم على أبي بكر فأخبره الخبر فأنفذ أبو بكر رضي الله عنه وصيته بعد موته، ولا نعلم أحدا أنفذت وصيته بعد موته غيره.

رواه الطبراني بسند صحيح

٧ - أرواح الصديقين والنبیین، ويكون لها النفع التام والتصريف الكامل في أهل الدنيا وأهل البرزخ بالنفع والضرر، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حياتي خير لكم تحدثون وتحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت لكم».

رواه البزار ورجاله رجال الصحيح

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون».

رواه أبو يعلى بسند صحيح

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام».

رواه أحمد والبيهقي وأبو داود بسند حسن

وأكبر نفع انتفعته أمة رسول الله ﷺ وسلم إنما كان ببركة روح سيدنا موسى عليه السلام، فلولا كانت الصلاة خمسين.

عن عمارة بن حزم قال: رآني رسول الله ﷺ جالساً على قبر فقال: «يا صاحب القبر انزل من على القبر لا تؤذي صاحب القبر ولا يؤذيك».

رواه الطبراني في الكبير بسند حسن

فدل على أن صاحب هذا القبر حى له تصريف بالضرر فيمن يؤذيه .

*واعلم أنه لا يجوز طلب النفع إلا من الأحياء، ولذا فإنه لا يطلب النفع من الصنف الأول ولا الثانى ولا الثالث. بل زيارتهم تكون للإمداد بأن تدعولهم وتترحم عليهم وتقرأ لهم ما يصلهم من القرآن وغيره، أما الشهداء فقد نهينا بنص القرآن أن نقول عنهم أمواتا ولا أن نحسبهم أمواتا ﴿ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات﴾ (٧)، ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا﴾ (٨).

فيجوز طلب النفع منهم إذ أنهم أحياء، أما الصديقون والنبيون فهم أعلى من الشهداء درجة فيجوز كذلك طلب الخير منهم، إذ أن حياتهم كاملة وتصريفهم تام.

وتكون زيارتهم للاستمداد، وكذا يجوز الاستمداد والاستغاثة بالمخلوق.

فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله ملائكة فى الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد أعينونى يا عباد الله»

رواه الطبرانى بسند صحيح

* واعلم أن النفع إما مطلق. فلا يطلب إلا من الله فهو النافع الضار، وطلب النفع المطلق من غير الله كفر وإما مقيد، بإذن الله

فيكون حتى من الجمادات وآثار الصالحين فكيف بالشهداء والصديقين والنبیین، فيجوز أن تقول خذ هذا الدواء ينفعك الله به، أو تقول نفعني هذه القوس أو هذا السيف أما التبرك فيكون بثمانية أشياء.

١ - التبرك بآثار رسول الله ﷺ:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل على أم سليم وفي البيت قرية معلقة فشرب من فيها وهو قائم، قال: فقطعت أم سليم فم القرية، فهو عندنا.

رواه أحمد والطبراني بسند حسن

عن أنس رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم أهل المدينة بأنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها فرما جاؤوه في الغداة الباردة فغمس يده فيها»

رواه مسلم وأحمد

وعنه رضي الله عنه قال: «لما رمى رسول الله ﷺ الجمرة نحر نسكة ثم ناول الحالق شقه الأيمن فحلقة فأعطاه أبا طلحة ثم ناوله شقه الأيسر فحلقة فقال «أقسمه بين الناس»

رواه الترمذي وقال حسن

عن عثمان، عن أنس «أن أم سليم كانت تبسط للنبي ﷺ نطعا فيقيل عندها على ذلك النطع فإذا نام النبي ﷺ أخذت من عرقه

وشعره فجمعه في قارورة ثم جمعه في سك وهو نائم، قال فلما حضر أنس الوفاة أوصى إلى أن يجعل في حنوطه من السك.

رواه البخاري

عن سفينه رضي الله عنه قال: «احتجم النبي ﷺ ثم قال خذ هذا الدم فادفنه من الدواب والطيور والناس فتغيبت فشربته ثم ذكرت ذلك له فضحك،

رواه الطبراني بسند صحيح

عن أميمة رضي الله عنها قالت كان للنبي ﷺ قدح من عيدان يبول فيه ويضعه تحت سريره فقام فطلبه فلم يجده فسأل فقال أين القدح؟ قالوا: شربته سرّة خادمة لأم سلمة التي قدمت معها من أرض الحبشة فقال النبي ﷺ «لقد احتظرت من النار بحظان»

رواه الطبراني بسند صحيح

روى الشيخ ابن تيمية عن الإمام أحمد، أنه رخص في التمسح بالمنبر والرمانة، وذكر أن ابن عمر وسعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد من فقهاء المدينة كانوا يفعلون ذلك.

٢ - أما التبرك بقبر رسول الله ﷺ فقد فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فعن عبدالعزیز بن بابنوس قال «لما حضر عمر بن الخطاب الوفاة أوصى، قال: إذا أنا مت فاحملوني إلى باب بيت عائشة فقولوا

لها: هذا عمر بن الخطاب يقرئك السلام ويقول: أدخل أو أخرج فسكنت ساعة - وفي رواية قالت: كنت أريده لنفسى ولأوثرنه اليوم على نفسى - ثم قالت أدخلوه فلما دفن عمر أخذت الجلباب فتجلبتت قال: فقيل لها: مالك والجلباب، قالت: كان هذا زوجى وهذا أبى فلما دفن عمر تجلبتت،

رواه البخارى وأحمد وهو صحيح

٣ - أما التبرك بآثار الصالحين، فمنها التبرك بالتابوت وقد ذكرناه آنفا.

ومنها الحديث الذى ذكره الإمام مسلم عن نافع أن عبد الله بن عمر أخبرنا أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ الحجر أرض ثمود فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين فأمرهم النبي ﷺ أن يهريقوا ما استقوا ويعلفوا للإبل بالعجين وأمرهم أن يستقوا من البئر التى كانت توردها الناقة تبركا بذلك.

٤ - فأما مقامات الأنبياء والصالحين، وهى الأمكنة التى قاموا عليها أو عبدوا الله فيها فهو مستحب لقوله تعالى ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ (١) وكذا بالأراضى الطيبة.

عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله كيف أسرى بك؟ قال: «... حتى انتهينا إلى أرض ذات نخل قال انزل، فنزلت ثم قال: صل، فصليت، ثم ركبنا قال لى: تدرى أين صليت؟ قلت: الله أعلم قال: صليت بيثرب صليت بطيبة: ثم انطلقنا تضع حافرها حيث

أدرك طرفها: حتى بلغت أرضا بيضاء قال انزل فنزلت ثم قال صل فصليت ثم ركبنا قال تدري أين صليت؟ قلت الله أعلم قال: صليت بمدينة، صليت عند شجرة موسى ثم انطلقت تهوى بنا تضع حافرها حيث أدرك طرفها ثم ارتفعنا قال انزل فنزلت فقال صل فصليت ثم ركبنا فقال: تدري أين صليت؟ قلت الله أعلم: قال صليت ببית لحم حيث ولد عيسى المسيح بن مريم...»

رواه البراز والطبراني في الكبير بسند حسن

وقوله تعالى ﴿هَٰنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ (١٠) أى المكان الذى تعبدت فيه مريم الصديقة أى دعا الله فى هذا المكان التماس البركة والإجابة.

عن عتبان بن مالك رضي الله عنه قال: ذهب بصرى على عهد رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ذهب بصرى ولا أستطيع الصلاة خلفك فلو بؤأت فى دارى مسجدا فصليت فيه فأتخذه مصلى قال نعم،

رواه البخارى ومسلم ومالك وابن ماجه والطبراني

وقال تعالى ﴿لَتَتَّخِذُنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ (١١) تبركا بالمكان الذى قام فيه أهل الكهف.

أما التبرك بمس قبره الشريف، فعن أبى داود بن صالح قال: أقبل مروان يوما فوجد رجلا واضعا وجهه على القبر فقال أتدري ما يصنع؟ فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب رضي الله عنه فقال نعم جئت رسول الله ﷺ ولم أر الحجر.

رواه أحمد وداود بن أبى صالح بسند حسن

٥ - أما التبرك بمس الكعبة والأركان والحجر.

عن جعفر بن عبدالله بن عثمان القرشي قال: «رأيت محمد بن عباد بن جعفر قبل الحجر وسجد عليه، وقال رأيت خالي ابن عباس قبله، وسجد عليه وقال: رأيت عمر بن الخطاب قبل الحجر وسجد عليه».

رواه الحاكم وقال صحيح وأبو داود الطيالسي بسند حسن

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ سجد على الحجر الأسود».

رواه الحاكم بسند صحيح وأقره الذهبي

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لهذا الحجر لسانا وشفتين يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق».

رواه الحاكم بسند صحيح وأقره الذهبي

عن عبدالرحمن بن صفوان رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ هو وأصحابه واستلموا البيت من الباب إلى الحطيم، وقد وضعوا خدودهم على البيت ورسول الله ﷺ وسطهم».

رواه أبو داود بسند حسن

عن أبي الطفيل قال: «قبل معاوية وابن عباس الأركان كلها، فقال معاوية: إنما استلم رسول الله ﷺ الركنين اليمانيين، قال ابن عباس ليس من أركانه شيء مهجور».

رواه أحمد بسند صحيح

عن ابن عمر قال: «رأيت عمر قُبِلَ الحجر وسجد عليه ثم عاد فقبّله وسجد عليه ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ»

رواه أبو يعلى والبزار بسند صحيح

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن مسح الركن اليماني والركن الأسود يحط الخطايا حطاً»

رواه أحمد والنسائي وابن حبان بسند حسن

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله في الفتح:

فائدة: استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الأركان جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم، ونقل الإمام أحمد رحمه الله أنه سئل عن تقبيل منبر النبي ﷺ وتقبيل قبره فلم يرَ به بأساً، ونقل عن أبي الصيف اليماني أحد علماء مكة من الشافعية جواز تقبيل المصحف وأجزائه وكتب الحديث وقبور الصالحين.

٦ - ثم التبرك بالصلاة عند قبور الصالحين واتخاذ المساجد عليها.

فعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال «رأيت أسامة يصلي عند قبر رسول الله ﷺ فخرج مروان بن الحكم فقال تصلي عند قبره قال: إني أحبه،

رواه أبو يعلى والطبراني ورجاله ثقات

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «بمسجد الخيف قُبر سبعون نبياً، ومعلوم أن القبور كانت قبل بناء المساجد، وذلك كما في

الآية الكريمة ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا﴾ (١٢) وقد استدل الألوسی فی تفسیره على جواز اتخاذ المساجد على قبور الصالحين مستدلا بهذه الآية الكريمة. إذ أنه تعالى ذكرها ولم يعقب عليها بنهى أو غيره.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»

رواه مالك في الموطأ

دل الحديث على أن كل ما يفعل عند قبر رسول الله ﷺ من تقبيل أو مس أو صلاة ليست شركا ولا حراما. إذ أن دعوة رسول الله ﷺ مستجابة إلى يوم القيامة، أما كلمة مساجد في الحديث فليست هي البناء المعروف. إذ أنه ﷺ يقصد اليهود والنصارى ومعابد اليهود بيع. والنصارى كنائس. فلم يكونوا يعرفون كلمة مساجد بمعناه عندنا ولكن المقصود بمساجد هي أماكن للسجود. فلعن رسول الله ﷺ الذين كانوا يسجدون على قبور الصالحين اعتقادا منهم بأنها تنفع النفع المطلق وعبادة لها والدليل على ذلك ما ذكره الإمام ابن عبد البر في التمهيد بأن هذا الحديث منسوخ بحديثين لا يجوز النسخ عليهما. أولهما: قول رسول الله ﷺ «جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا، وقال: إن تلك فضيلة خص بها رسول الله ﷺ ولا يجوز على فضائله النسخ ولا الخصوص ولا الاستثناء وذلك جائز في غير فضائله، والثاني:

قوله ﷺ لأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حيثما أدركتك الصلاة فصل، فقد جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا».

قال تعالى ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ (١٣) فهم يعبدونهم لذاتهم حتى بعد أن أخبر تعالى بأنه لا يحب ذلك، أما الحب فهو حُبُّ الله فإذا علمنا من الله تعالى حبه للصالحين أحببناهم توسلا بهم إليه فإذا علمنا بغضه لهم أبغضناهم، وهذا هو الفرق بين العبادة والحب، فهم لم يقولوا ما نحبههم ولكن قالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ ﴾ فأنكر عليهم تعالى قول مانعدهم فقط.

عن سعيد بن المسيب «أن النبي ﷺ صلى على قبر أم سعد بن عبادة بعد شهر»

رواه البيهقي والترمذي وقال صحيح

عن عامر بن ربيعة قال: «مر رسول الله ﷺ بقبر حديث فقال: ما هذا القبر، قالوا: فلانة قال: «فها أذنتموني، قالوا: كنت نائما فكرهنا أن نوقظك قال: «فلا تفعلوا ادعوني لجنازكم، فصف عليها صفا»

رواه بن ماجه وابن أبى شيبة بإسناد حسن

عن ابن عباس رضى الله عنهما «أن النبي ﷺ رأى قبرا منتبذا فصف أصحابه فصلى عليه»

رواه البخارى والترمذي

عن الحسين رضي الله عنه «أن فاطمة بنت النبي ﷺ كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي،

رواه الحاكم بسند صحيح وأقره الذهبي

أما حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى،

رواه البخاري

قال ابن حجر ما معناه : هذا الحديث لم يذكر أى ذكر للقبور فلو شد أحد الرحال لزيارة قبر والده أو قبر صالح فلا بأس بذلك، بل هو داخل الأمر العام بزيارة القبور. فقد روى ابن خزيمة بسند حسن عن ابن عمر رضی الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي». وإنما ذكر هذا الحديث المساجد إذ أن المستثنى منه محذوف ويكون دائما من جنس المستثنى فيكون التقدير لا تشد الرحال لمسجد.

وقد روى هذا الحديث برواية أخرى عن أبي سعيد الخدري «لا ينبغي للمصلي أن يشد رحاله إلى مسجد يبتغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام...»

وقال النووي رحمه الله والنهي هنا للكرهية التنزيهية بمعنى لا ينبغي وإلا فقد شد رسول الله ﷺ إلى مسجد قباء وندب أصحابه إلى ذلك.

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال «كان النبي ﷺ يزور قباء راكباً وماشياً فيصلّى فيه ركعتين ، وفى رواية كان يأتى مسجد قباء كل سبت راكباً وماشياً وكان عبد الله يفعله .

رواه البخارى ومسلم والنسائى ومالك وأبو داود

عن أسيد بن ظهير رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال «الصلاة فى مسجد قباء كعمرة»

رواه الترمذى وحسنه

عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال «لأن أصلى فى مسجد قباء ركعتين أحب إلى من أن آتى بيت المقدس مرتين ولو يعلمون ما فى قباء لضربوا إليه أكباد الإبل»

قال ابن حجر العسقلانى رواه عمر بن شبة فى أخبار المدينة بسند صحيح

٧ - التبرك بتقبيل يد الصالحين .

عن صفوان بن عسال قال: «قال يهودى لصاحبه إذهب بنا إلى هذا النبى إلى أن قال فقبلوا يديه ورجليه وقالوا نشهد أنك نبى»

رواه الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى وابن ماجه والحاكم

عن الزارع العبدى وكان فى وفد عبدالقيس قال «فجعلنا نتبادر من رواحنا فنقبل يد النبى ﷺ ورجله»

رواه أبو داود بسند صحيح

ومن حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه قال «قمنا إلى النبي فقبلنا

يده،

أخرجه الحافظ أبو بكر بن المقرئ بسند جيد

ومن حديث جابر رضي الله عنه «أن عمر قام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل يده،

رواه ابن المقرئ بسند جيد

وعن ابن عمر رضي الله عنهما «أنهم لما رجعوا من الغزو حيث
فروا قالوا: نحن الفرارون فقال «بل أنتم الكرارون. إنا فئة المؤمنين»
قال فقبلنا يده،

أخرجه البخاري في الأدب وأبو داود بسند صحيح

«وقبل أبو لبابة يد رسول الله صلى الله عليه وسلم،

أخرجه البيهقي في الدلائل وابن المقرئ بسند حسن

«وقبل كعب بن مالك وصاحباه يد النبي صلى الله عليه وسلم حين تاب الله

عليهم،

رواه ابن المقرئ بسند جيد

ومن حديث بريدة في قصة الأعرابي والشجرة «قال: يا رسول
الله ائذن لي أن أقبل رأسك ورجليك فأذن له،

رواه ابن المقرئ بسند جيد

وأخرج البخاري في الأدب المفرد والإمام أحمد في المسند من
رواية عبدالرحمن بن رزين قال «أخرج لنا سلمة بن الأكوع كفا له

ضخمة كأنها كف بعير فقال بايعت رسول الله بيدي هذه فقمنا إليها فقبلناها .

«وقبل زيد بن ثابت يد ابن عباس حين أخذ ابن عباس بركابه»

أخرجه الطبراني وابن المقرئ بسند جيد

«وقبل أبو عبيدة يد عمر حين قدم»

أخرجه سفيان في جامعه بسند صحيح

وعن ثابت «أنه قبل يد أنس»

أخرجه ابن المقرئ بسند جيد وأبو يعلى بسند صحيح

عن أبي مالك الأشجعي قال «قلت لأبي أوفى ناولني يدك التي بايعت بها الرسول ﷺ فناولنيها فقبلتها»

رواه ابن المقرئ بسند جيد

قال النووي رحمه الله تقبيل يد الرجل لزهده وصلاحه أو عمله أو شرفه أو صيانتة أو نحو ذلك من الأمور الدينية لا يكره بل يستحب، فإن كان لغناه أو شوكته أو جاهه فمكروه شديد الكراهية.

٨ - التبرك بالمطر.

عن انس رضي الله عنه قال : أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر قال : فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر فقلنا : يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال : «لأنه حديث عهد بربه»

رواه مسلم

جوهرة في السبحة

عن أبي نضرة العبدى قال: «حدثني شيخ من شيوخ طفاوة قال تثويت أبا هريرة بالمدينة فلم أر رجلاً أشد تشميراً ولا أقوم على ضيف منه. قال فبينما أنا عنده يوماً وهو على سرير له ومعه كيس فيه حصى أو نوى وأسفل منه جارية له سوداء وهو يسبح بها حتى إذا أنفذ مافى الكيس ألقاه إليها فأعادته فى الكيس فدفعتة إليه،

رواه أحمد وأبو داود بسند حسن

عن صفية قالت: «دخل على رسول الله ﷺ وبين يدي أربعة آلاف نواة أسبح بهما فقال: «لقد سبحت بهذا ألا أعلمك بأكثر مما سبحت، فقالت: علمنى فقال قولى: «سبحان الله عدد خلقه،

رواه الترمذى والطبرانى والحاكم وصححه السيوطى

عن سعد بن أبى وقاص «أنه دخل مع النبى ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح فقال: أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا قولى: سبحان الله عدد ما خلق فى السماء، وسبحان الله عدد ما خلق فى الأرض، وسبحان الله عدد ما بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق. الله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك،

رواه أبو داود والترمذى وحسنه النسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه

قال الأحوذى على شرحه للترمذى فى هذه الأحاديث. دليل على جواز عد السبحة بالنوى أو الحصى، وكذا بالسبحة لعدم الفارق لتقريره ﷺ المرأة على ذلك وعدم إنكاره.

وقد ألف السيوطى رحمه الله كتاباً أسماه «المنحة فى فضل السبحة»، وقال فى آخره: ولم ينقل عن أحد من السلف ولا من الخلف المنع من جواز عد الذكر بالسبحة بل كان أكثرهم يعدونه بها ولا يرون ذلك مكروهاً، وقد اتخذ السبحة سادات يشار إليهم ويؤخذ عنهم، فقد اتخذها أبو هريرة وأبو الدرداء وخالد بن معدان وأبو مسلم الخولانى وغيرهم ثم قال قلو لم يكن فى اتخاذ السبحة غير موافقة هؤلاء السادة والدخول فى سلوكهم والتماس بركتهم لصارت بهذا الاعتبار من أهم الأمور وأكدها فكيف بها وهى مذكورة بالله تعالى لأن الإنسان قل أن يراها إلا بذكر الله وهذا من أعظم فوائدها.

وقال الشوكانى فى نيل الأوطار بعد نقله حديث صفية وسعد رضى الله عنهما الحديثان يدلان على جواز عد التسبيح بالنوى والحصى وكذا بالسبحة.

جوهرة فى أهل الصفة

هم أوتاد مسجد رسول الله ﷺ، وكان لهم مكان يجلسون تحته مسقوف بعريش النخل، وكانوا هم أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ

تركوا الدنيا لأهلها واكتفوا بالله ورسوله ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولَهُ﴾ (١٤) يرزقهم الله بغير سبب كما رزق غيرهم بالأسباب.
وكان منهم على بن أبي طالب، ومصعب بن عمير وأبو هريرة وغيرهم كثير، بل كان معظم المهاجرين منهم.

كان المسجد بيتهم فيه يعبدون الله، وفيه ينامون، وفيه يأكلون، لا يخرجون منه إلا إذا انتدبهم رسول الله ﷺ لسرية سريعة لا تتحمل التأخير لجمع الناس والفرسان فكانوا هم النجدة السريعة، وكانوا محل نظر رسول الله ﷺ من أصحابه.

فمنهم من زوجه رسول الله ﷺ من ابنته وأمره بالتسبب فتسبب، ومنهم من أصبح قائدا لجيوش المسلمين، ومنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر.

غَيَّرَتِ الدُّنْيَا النَّاسَ وَمَا تَغَيَّرُوا، إِنْ وَجَدُوا آثَرًا، وَإِنْ فَقَدُوا شَكَرُوا وَلَا يَعْلَمُ بِحَالِهِمْ وَفَقْرِهِمْ وَجُوعِهِمْ وَفَاقَتَهُمْ إِلَّا اللَّهُ وَرَسُولُهُ.

عَاتَبَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ فِيهِمْ ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (١٥)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: الله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض، من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه فمر أبو بكر فسأله عن آية من كتاب الله ما سأله إلا ليشبعني فمر فلم يفعل ثم مرى عمر فسأله عن آية من كتاب الله ما سأله إلا ليشبعني فمر فلم يفعل ثم مرى أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني

وعرف مافى نفسى، وما فى وجهى ثم قال «يا أبا هريرة قلت: لبيك يا رسول الله قال ألحق فمضى فتبعته فدخل فاستأذن فأذن لى فدخلت فوجدت لبنا فى قدح فقال من أين هذا اللبن؟ قالوا: أهدها فلان أو فلانة قال: «أبا هريرة قلت: لبيك يا رسول الله قال: «ألحق إلى أهل الصفة فادعهم لى، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها فسأنى ذلك فقلت: وما هذا اللبن فى أهل الصفة كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فإذا جاءوا أمرنى فأعطيهم وما عسى أن يبلغنى من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت. قال: «أبا هريرة قلت لبيك يا رسول الله قال «خذ فأعطيهم، فأخذت القدح، فأخذت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح حتى انتهيت إلى النبى ﷺ. وقد روى القوم كلهم. فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلى فتبسم فقال: «أبا هريرة قلت لبيك يا رسول الله قال «بقيت أنا وأنت، قلت: صدقت يا رسول الله قال: «اقعد فاشرب، فقعدت فشربت. فقال: اشرب فشربت، فما زال يقول «اشرب، حتى قلت والذى بعثك بالحق لا أجد له مسكاً. قال: فأرنى فأعطيته القدح «فحمد الله وشرب الفضلة،

رواه البخارى والترمذى وأحمد

عن أنس رضي الله عنه قال: «كان أخوان على عهد رسول الله ﷺ فكان أحدهم يأتي النبي ﷺ والآخر يحترف فشكا المحترف أخاه إلى النبي ﷺ فقال: «لعلك ترزق به».

رواه الترمذي وقال صحيح غريب ورواه الحاكم وصححه

عن فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم في الصلاة من الخصوصية، وهم أصحاب الصفة حتى تقول الأعراب هؤلاء مجانين فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم فقال «لو تعلمون مالكم عند الله لأحببتهم أن تزدادوا فاقة وحاجة،

رواه الترمذي وقال حسن صحيح وابن حبان

جاء فيهم: عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنياءهم بخمسمائة عام،

رواه الترمذي وقال حسن غريب

جوهرة في والدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمه

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٦)
أهل الفترة على ثلاثة أقسام:

١ - قسم أدرك التوحيد ببصيرته كقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو، ومنهم من دخل في شريعة كتّبع وقومه.

٢ - وقسم بدل وغير وأشرك وشرع لنفسه فجّلل وحرّم، كعمرو بن لحي أول من سنّ للعرب عبادة الأصنام وبحر البحيرة، وسيب السائبة ووصل الوصيلة، وحمى الحام ومنهم من عبد الجن والملائكة وحرّقوا البنين والبنات واتخذوا بيوتا لها سدنة وحجابا يضاهون بها الكعبة.

٣ - القسم الثالث من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة بل بقى عمره كله غافلا عن هذا كله.

فأما القسم الأول . فقد قال رسول الله ﷺ في كل من قس وزيد إنه يبعث أمة واحدة، وأما تبع ونحوه فحكمهم حكم أهل الدين الذي دخلوا فيه مالم يلحق أحد منهم الإسلام الناسخ لكل دين.

وأما القسم الثانى: فورد تعذيبهم كصاحب المحجن وعمرو ابن لحي حيث رآهم رسول الله ﷺ في النار.

أما القسم الثالث: فهم أهل فترة حقيقية ومن مات منهم قبل بعثة النبي ﷺ فهو من أهل الجنة قال تعالى: ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾ (١٧) كوالدى رسول الله ﷺ.

وقد أورد ابن أبى حاتم والزرخشى في تفسيرهما قوله ﴿لولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ (١٨)

عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ «الهلك في
الفترة يقول رب لم يأتني كتاب ولا رسول ثم قرأ ﴿ربنا لولا
أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾» (١٩).

حسن الإسناد

وقال تعالى ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في
أمتها رسولا يتلو عليهم آياتنا﴾ (٢٠)

سئل القاضي أبو بكر بن العربي عن رجل قال إن أبا النبي ﷺ
في النار، فأجاب. بأن من قال ذلك فهو ملعون لقوله تعالى:
﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾
ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه أنه في النار، وصح عن رسول
الله ﷺ قوله «لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات».

قال الباجي في شرحه على الموطأ: قال بعض العلماء: لا يجوز
أن يؤذى النبي ﷺ حتى بفعل مباح، ولذا قال رسول الله ﷺ «إن
فاطمة بضعة مني وإني لا أحرم ما أحل الله، ولكن لا تجتمع ابنة
رسول الله وابنة عدو الله عند رجل أبدا» فشرط على المؤمنين أن
يؤذوا في غير ما اكتسبوا وأطلق الأذى في خاصة النبي بغير شرط.

وقيل أن والدي رسول الله ﷺ كانوا هم وعبدالمطلب من
أصحاب القسم الأول إذ كانوا على دين إبراهيم عليه السلام على
التوحيد الخالص.

قال الفخر الرازي في كتاب أسرار التنزيل ما نصه:

قيل: إن آزر لم يكن والد إبراهيم بل كان عمه وذلك أن آباء الأنبياء ما كانوا كفارا لقوله تعالى ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ (٢٢) معناه كان ينتقل نوره من ساجد إلى ساجد فالآية دالة على أن جميع آباء محمد ﷺ كانوا مسلمين، وقد صح أن رسول الله ﷺ قال: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات وقال تعالى: ﴿إنما المشركون نجس﴾ (٢٣) فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا.

انتهى كلام الإمام فخر الرازي.

أخرج ابن المنذر في تفسيره بسند صحيح عن ابن جريح في قوله ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي﴾ (٢٤) قال: فلن يزال من ذرية إبراهيم ناس على الفترة يعبدون الله.

وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن السدي أنه قيل له اسم أبي إبراهيم آزر فقال بل اسمه تارح قال تعالى: ﴿قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾ (٢٥) وإسماعيل عم يعقوب وإبراهيم جده عليهم السلام فالشائع استخدام لفظة الأب على العم والجد.

وإبراهيم عليه السلام كان يستغفر لآزر في بدايته ﴿قال سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربي﴾ (٢٦) فنهاه الله عن ذلك.

فقد قالت السيدة آمنة قبل موتها

إن صح ما أبصرت في المنام فأنت مبعوث إلي الأنام
تبعث بالتحقيق والإسلام دين أبيك البر إيراهاام
فالله أنهاك عن الأصنام ألا تواليها مع الأقوام
نقله أبو نعيم في دلائل النبوة عن الزهري.

وقال غير واحد من المفسرين: إن عبدالمطلب كان مستجاب
الدعوة، وهو الذي استغاث بالله تعالى يوم الفيل، فاستجاب الله دعوته
فيهم.

قال العلامة السحيمي في شرحه على عبدالسلام أنه يجب
اعتقاد أن جميع الأنبياء وأمهاتهم وآباءهم مؤمنون وأنهم في الجنة
مخلدون. وهذا هو الذي نعتقه ونلقى الله إن شاء الله تعالى عليه.

قال ابن حجر العسقلاني في الإصابة روى الحاكم وصححه عن
ابن مسعود قال: قال شاب من الأنصار لم أر رجلا كان أكثر سؤالا
لرسول الله ﷺ منه يا رسول الله أرأيت أبواك في النار فقال ﷺ: «ما
سألتهما ربي فيطيعنني فيهما وإني لقائم يومئذ المقام المحمود،

قال ابن حجر: فهذا الحديث يشعر بأنه يرتجى لهما الخير هم
وأهل البيت جميعا.

قال ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في
قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (٢١) قال، من رضا
محمد أن لا يدخل أحدا من أهل بيته النار.

ثم إنه قال تعالى ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتى بواد غير
ذى زرع﴾ (٢٧) إلى أن قال ﴿ربنا اغفر لى ولوالدى
وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ (٢٨) فاستغفر لوالديه وذلك بعد
هلاك عمه بمدة طويلة.

فقد أخرج ابن المنذر بسند صحيح عن سليمان بن صرد أن عمه
مات أيام إلقائه فى النار فصح أن والديه هنا غير أبيه الذى نهاه الله
عن الاستغفار له.

وقال تعالى: ﴿وجعلها كلمة باقية فى عقبه﴾ (٢٩) أى:
كلمة التوحيد فقد أخرج عبد بن حميد عن ابن عباس قال: لا إله إلا
الله باقية فى عقب إبراهيم، وكذا روى ابن المنذر عن مجاهد وكذا
معمر عن قتادة وقال الزهرى فى الآية العقب ولده الذكور والإناث
وأولاد الذكور.

أخرج ابن جرير فى تفسيره قال تعالى: ﴿واجنبنى وبنى أن
نعبد الأصنام﴾ (٣٠) قال مجاهد فاستجاب الله لإبراهيم دعوته فى
ولده فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته.

قال سفيان بن عيينة رحمه الله والمقصود فى الآية إسماعيل عليه
السلام وأبناءه دون غيرهم، لأنه دعا لأهل البلد أن لا يعبدوا إذا
أسكنهم إياه فقال: ﴿اجعل هذا البلد آمناً﴾ (٣١) ولم يدع لجميع
البلدان بذلك فقال: ﴿واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام﴾ (٣٢) فيه.

روى الترمذى وصححه عن المطلب بن أبى وداعة رضي الله عنه قال «جاء العباس إلى رسول الله ﷺ وكأنه سمع شيئاً فقام النبي ﷺ على المنبر فقال: من أنا؟ فقالوا: أنت رسول الله قال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب إن الله خلق الخلق فجعلنى فى خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلنى فى خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلنى فى خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً،

فانتسب إلى أبيه مفتخراً كما انتسب إلى جده يوم حنين مفتخراً فقال: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب، ولأن الأحاديث وردت فى النهى عن الانتساب إلى الآباء الكفار فدل على أن أباه لم يكن كافراً ولا جده.

قال السيوطى رحمه الله أما غالب ما يروى من أن أبوى رسول الله ﷺ فى النار فغالبه ضعيف أو مردود عليه ولم يصح إلا حديثان.

١ - «إن أبى وأباك فى النار»

رواه مسلم عن أنس

٢ - «استأذن فى الاستغفار لأمه فلم يؤذن له»

رواه أبو داود عن أبى هريرة

أما الأول فإن لفظة «أبى وأباك فى النار» لم يتفق على ذكرها الرواة، وإنما ذكرها حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس وهى الطريق الذى رواه مسلم منها، وقد خالفه معمر عن ثابت فلم يذكر هذه

اللفظة بل ذكر: «إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار، وهو أثبت من حيث الرواية فإن معمرا أثبت من حماد، فإن حمادا تكلم في حفظه، ووقع في أحاديثه مناكير ذكروا أن ربييه دسها في كتبه وكان حماد لا يحفظ فحدث بها، فوهم فيها، ومن ثم لم يخرج له البخاري شيئا ولا أخرج له مسلم في الأصول إلا من روايته عن ثابت.

أما معمرفلم يتكلم في حفظه وأخرج له الشيخان فكان لفظه أثبت.

ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بمثل لفظ رواية معمرف عن ثابت عن أنس وأخرجه ابن ماجه والبخاري.

فلفظ «أبى وأباك في النار» هو تصرف من الراوى رواه بالمعنى على حسب فهمه وقد وقع في الصحيحين روايات كثيرة من هذا اللفظ تصرف فيها الراوى وغيره أثبت منه.

ثم لو فرض اتفاق الرواة على اللفظ الأول كان معارضا بما تقدم من الأدلة والأحاديث الصحاح فيجب تأويله وتقديم الأدلة عليه كما هو مقرر في الأصول وبهذا يجاب عن الحديث الثانى حيث لم يؤذن له فى الاستغفار لأمه رضي الله عنها ، فقد كان فى أول الإسلام ممنوعا رضي الله عنه من الصلاة على من كان عليه دين وهو مسلم، وقد قال الإمام فخر الرازى فى قوله «إن أبى وأباك فى النار» المقصود به أبو طالب حيث أن العرب أطلقت الأب على العم كثيرا، ونقل ذلك الرد عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج والسدى.

والمسلك الثالث أنه ليس كل حديث في صحيح مسلم يقال بمقتضاه لوجود المعارض له، وذلك أن مسلماً روى عن ابن عباس بسند صحيح أن الطلاق الثلاث كان يجعل واحدة في عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وصدر من إمارة عمر ومع ذلك فالأئمة الأربعة خلاف ذلك.

إنتهى كلام السيوطي رحمه الله.

* عن ابن عباس رضي الله عنهما ما أن رسول الله ﷺ قال: «أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه»

رواه مسلم وأحمد بسند صحيح

فلو كان والديه ﷺ في النار لكانوا ولاشك أهون من أبى طالب والذي ورد أن أبا طالب أهون أهلها عذاباً فتفرع من ذلك عدم وجودهما في النار.

ثم إن أبا طالب قد اختلفوا فيه، قال ابن حجر العسقلاني في شرح الأربعين: إن لكل من الأئمة الأربعة قولاً بأنه مؤمن عاص لأنه آمن بقلبه بلاشك ولم ينطق بلسانه.

وأخرج الشيخان من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد - وفي رواية أحاج - لك بها عند الله».

وقد شفع فيه رسول الله ﷺ

فقد روى العباس رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك قال: «نعم وهو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»

رواه الشيخان

فدل على أنه نفعه وشفع فيه وذلك دليل على أنه قد قالها.
وفي حديث سعيد بن المسيب السابق «حتى قال آخر ما كلمهم هو على ملة عبدالمطلب»
وعبدالمطلب كان حنيفيا على ملة إبراهيم من التوحيد كما هو معلوم.
وكان مصدق بقلبه مدافعا عن دينه ورسوله كما قال في شعره.
والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وعرفت أنك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا
فالإيمان هو التصديق القلبي، والنطق باللسان ليس شرطا
إلا لإجراء الأحكام الدنيوية

وأما تعذيبه في النار فليس دليلا على كفره فكم من مؤمن عاص سيعذب، ولكن عذابه لعدم نطقه بلسانه والقيام بتلك الأحكام.

أما قوله ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى من بعد ماتيين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ (٣٣)

فقد قال ابن حجر في شرحه على الأربعين : ويجاب عن حديث ابن المسيب الذي رواه في سبب نزول السورة بأن السورة كلها نزلت في المدينة آخرها وأبو طالب مات قبل هذا ببضع عشرة سنة فيكون التحقيق أن الآية نزلت تنهى المؤمنين عن الاستغفار لأقاربهم المشركين فإنه لا ينفعهم، وحديث على يدل عليه.

فقد روى الترمذى وأحمد والحاكم بسند صحيح عن على كرم الله وجهه قال : «سمعت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت له أتستغفر لأبويك وهما مشركان فقال أوليس استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبي ﷺ فنزلت ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ (٣٤) .

جوهرة في الذكر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنتهم إلى السماء الدنيا قال : فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم - ما يقول عبادي؟ قال : فيقولون : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال : فيقول : هل رأوني؟

قال: فيقولون: لا والله ما رأوك قال فيقول كيف لو رأوني؟ قال: يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيذا وأكثر لك تسبيحا، قال فيقول: فما يسألون قال: يقولون: يسألونك الجنة قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: فيقولون: لا والله يارب ما رأوها يقول: فكيف لو رأوها قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة قال: فمم يتعذون؟ قال: يقولون: يتعذون من النار فيقول: وهل رأوها قال يقولون لا والله ما رأوها قال: فيقول: وكيف لو رأوها؟ قال يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد منها مخافة، قال فيقول: أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لهم قال: يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم،

رواه البخارى ومسلم والترمذى وأحمد وابن حبان والبزار والطبرانى

وكما لا يشقى بهم جليسهم لا يشقى بهم معتقدهم ولا محبهم .

عن يعلى بن شداد قال حدثنى أبى شداد بن أوس وعبادة بن الصامت قال: كنا عند النبى ﷺ فقال: «هل فيكم غريب» يعنى من أهل كتاب. قلنا: لا يا رسول الله فأمر بخلق الباب وقال: «ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله، فرفعنا أيدينا ساعة ثم وضع رسول الله ﷺ يده ثم قال: الحمد لله الذى بعثتنى بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتنى عليها الجنة وإنك لا تخلف الميعاد» ثم قال، أبشروا فإن الله عز وجل قد غفر لكم،.

رواه أحمد والطبرانى والمنذرى فى الترغيب والترهيب وسنده حسن

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا وما رياض الجنة قال «حلق الذكر»

رواه أحمد والبيهقي والترمذي وقال حسن غريب

وفى رواية أبي هريرة «قلت وما الرتع يا رسول الله قال «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» هذه الأحاديث فيها دليل على مشروعية الذكر جماعة.

عن عبدالله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله»

رواه الحاكم على شرطهما بسند صحيح

دليل على جواز الذكر باللفظ المفرد ﴿الله﴾

وما من آية في القرآن فيها ذكر إلا لكلمة الله ﴿والذاكرين الله﴾
﴿واذكروا الله﴾ فالذكر بكلمة الله هي الأصل.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «أكثرُوا ذكر الله حتى يقولوا مجنون»

رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني والبيهقي في الشعب والحاكم صحيحه

في هذا الحديث الحث على الإكثار من الذكر فما من آية فيها ذكر إلا جاء بعدها كلمة كثيرا ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾ (٣٥)
و﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ (٣٦).

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لي: «يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة، فقلت: بلى يا رسول الله قال: قل: لا حول ولا قوة إلا بالله،

رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي

فيه دليل على أن رسول الله ﷺ قد لقن بعض أصحابه أذكارا بإذن خاص دون الإذن العام الذي لقنه لجميع الأمة.

عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ من سبح مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حج مائة حجة ومن حمد مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حمل على مائة فرس في سبيل الله أو قال غزا مائة غزوة ومن هلك مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن أعتق مائة رقبة من ولد إسماعيل، ومن كبر الله مائة بالغداة ومائة بالعشي لم يأت في ذلك اليوم أحد بأفضل مما جاء به إلا من قال مثل ما قال أو زاد على ما قال،

رواه الترمذي وقال حسن

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر،

رواه الترمذي وقال حسن صحيح

عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ «ما على الأرض أحد يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا كفرت عنه خطاياها ولو كانت مثل زبد البحر،

رواه أحمد والنسائي والحاكم وابن أبي الدنيا والترمذي وقال حسن غريب

كل هذه الأحاديث فيها من الثواب العظيم ما لا يقدره ولا يحصيه إلا الله تعالى لفضل الذكر وما يؤدي إليه .

عن حنظلة بن الربيع الأسدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسى بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم، وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة - ثلاث مرات،

رواه مسلم والترمذي

فيه دليل على أن المشاهدة والمكاشفة إنما هي ثمرة من ثمرات مجالسة الصالحين وكثرة الذكر.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «ليذكرن الله قوم على الفرش الممهدة يدخلهم الجنات العلى،

رواه أبو يعلى بإسناد حسن

وهم أهل الأنكار والأوراد وهم أيضا أهل الفكرة والنظرة .

عن سعد بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «خير الذكر الخفى وخير الرزق ما يكفى،

رواه أحمد وابن حبان والبيهقى فى الشعب بسند حسن

الذكر الخفى الذى يخفى عن الملائكة فلا تكتبه ولكن الله يعلمه

وحده .

عن جابر رضي الله عنه ما أن رسول الله ﷺ كان يلبي لبيك اللهم لبيك لا شريك لك.

لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك. ولبي الناس وراءه يزيدون ذا المعارج ونحوه من الكلام والنبي ﷺ يسمع فلم يقل لهم شيئاً،

رواه مسلم وأحمد وأبو داود وابن حبان بسند صحيح

عن ابن عمر رضي الله عنه ما كان يقول «وزدت أنا لبيك لبيك وسعديك والخير في يديك لبيك والرغبة إليك والعمل،

رواه البخاري ومسلم ومالك وأحمد

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال بينما نحن نصلي مع رسول الله ﷺ إذ قال رجل من القوم الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً فقال رسول الله ﷺ: «من القائل كلمة كذا وكذا؟» قال. رجل من القوم: أنا يا رسول الله قال: «عجبت لها! فتحت لها أبواب السماء، وفي رواية «لقد رأيت ابتدرها إثنا عشر ملكاً، قال ابن عمر فما تركتهن منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك،

رواه مسلم والترمذي والنسائي

عن رفاع بن رافع رضي الله عنه قال: صليت خلف رسول الله ﷺ فعطست فقلت الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً عليه كما يحب ربنا ويرضى، فلما صلى ﷺ انصرف فقال «من المتكلم في الصلاة؟» فلم يتكلم أحد ثم قالها الثانية: فلم يتكلم أحد ثم قالها الثالثة؟ فقلت: أنا

يا رسول الله فقال: «كيف قلت، فأعدتها عليه. فقال النبي ﷺ: والذي نفسى بيده لقد ابتدرها بضعة وثلاثون ملكا أيهم يصعد: بها».

رواه البخارى ومالك والنسائى والترمذى وأبو داود

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «يستجاب لأحدكم ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل» قالوا وما الاستعجال يا رسول الله قال «يقول يارب قد دعوتك فلا أراك تستجيب لى»

رواه البخارى ومسلم وابن عبد البر فى التمهيد

هذه الأحاديث تدل على جواز الدعاء بما يلهم به الله عبده، وإن كان هذا الدعاء زائدا عما جاءت به السنة وكذا جواز الذكر بغير الألفاظ التى جاءت بها السنة

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال «أحب الأعمال أدومها وإن قل»

رواه الشيخان

دل هذا الحديث على استحباب تحديد العدد فى الذكر إذ أنه لا يُداوم إلا على عمل معلوم عدده.

جوهرة فى عظيم فضل الله

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الله عز وجل يعطى عبده بالحسنة الواحدة ألفى حسنة ثم تلا

جوهرة في السر

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أسرَّ إلى رسول الله ﷺ سرا فما أخبرت به أحدا بعده ولقد سألتني عنه أم سليم فما أخبرتها به،

رواه الشيخان

عن عمار رضي الله عنه قال: أخبرني حذيفة «أن رسول الله ﷺ أعلمه اثني عشر منافقا منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وأربعة لم أحفظ ما قال شعبة فيهم،

رواه مسلم

عن أبي عبد الله الجسري قال: دخلت على عائشة وعندها حفصة بنت عمر رضي الله عنه فقالت لي: إن هذه حفصة زوج النبي ﷺ ثم أقبلت عليها فقالت: أنشدك الله أن تصدقيني بكذب أو تكذبي بصديق تعلمين أنني كنت أنا وأنت عند رسول الله ﷺ فأغمرى عليه فقلت: لك أترينه قبض قلت لا أدري ثم أفاق. قال: افتحوا له الباب. ثم أغمرى عليه فقلت: أترينه قد قبض قلت لا أدري ثم أفاق قال: افتحوا له الباب فقلت لك أبي أو أبوك قلت لا أدري ففتحنا له الباب فإذا هو عثمان بن عفان فلما رآه النبي ﷺ قال أدنه مني فأكب عليه فساره بشيء لا أدري أنا وأنت ماهو، ثم رفع رأسه فقال أفهمت ما قلت لك؟ قال: نعم. قال: أدنه فأكب عليه إكبابا شديدا فساره بشيء، ثم رفع رأسه فقال: أفهمت ما قلت لك قال سمعته ووعاه قلبي فقال له: اخرج قال: فقالت حفصة اللهم نعم،.

رواه أحمد والطبراني في الأوسط بسند صحيح

﴿يضاعفها ويؤت من لده أجر عظيم﴾ (٣٧) فقال: قال عز وجل: ﴿أجر عظيم﴾ فمن يقدر قدره.

رواه أحمد بسند جيد

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا فاقترب واستمع وأنصت كان له بكل خطوة يخطوها أجر قيام سنة وصيامها،

رواه أحمد والترمذي وقال صحيح

عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله ﷺ «حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها،

رواه الحاكم على شرطهما بسند صحيح

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة،

رواه الطبراني، وقال الهيثمي سنده صحيح

عن علي كرم الله وجهه قال: «ما من مسلم يعود مسلما غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف في الجنة، رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال غريب حسن.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين فأما أحدهما فبثثته إليكم، وأما الآخر فلو بثثته إليكم قطع هذا البلعوم» .

رواه البخاري

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان عليّ أقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ، عدنا رسول الله ﷺ غداة وهو يقول: «جاء علي جاء علي، مرارا فقالت فاطمة رضي الله عنها: كأنك بعثته في حاجة! قالت فجاء بعد. قالت أم سلمة: فظننت أن له إليه حاجة فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب وكنت من أدناهم إلى الباب فأكب عليه رسول الله ﷺ وجعل يساره ويناجيه ثم قبض رسول الله ﷺ من يومه ذلك فكان عليّ أقرب الناس عهداً» .

رواه الحاكم بسند صحيح على شرطهما وأقره الذهبي

تدل هذه الأحاديث على أنه ﷺ أسر من علمه إلى من شاء من أسرار دون غيرهم وذلك لعظم قدر هؤلاء الناس وشديد تصديقهم له وكل ذلك علوم خاصة وأسرار وأنوار وليست شيئا عاما لكل الأمة.

جوهرة في العلم

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ وأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه» .

أخرجه البخاري

عن عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه قال: «صلى رسول الله ﷺ يوماً الفجر وصعد على المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى، ثم صعد فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن إلى يوم القيامة قال: فأعلمنا أحفظنا،

رواه مسلم وأحمد في المسند

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فما ترك شيئاً يكون من مقامه إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه،

رواه البخاري ومسلم وأبو داود

هذه الأحاديث جميعاً تدل على سعة علمه ﷺ وأنه لم يبلغ كل علمه، ولكن بلغ. ما أمر بتبليغه من علمه وإلا فهو البحر المحيط.

قال البوصيري رحمه الله

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم عن وهب بن منبه قال: سألت جابراً عن شأن ثقيف إذ بايعت. قال: اشترطت أن لا صدقة عليها ولا جهاد وأنه سمع النبي ﷺ بعد ذلك يقول «سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا»

رواه أبو داود بسند حسن

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لرجل «أسلم». قال: أجدني كارها قال: «أسلم وإن كنت كارها»

رواه أحمد وأبو يعلى والضياء بسند صحيح

عن نصر بن عاصم عن رجل منهم أنه «أتى النبي ﷺ فأسلم على أنه لا يصلى إلا صلاتين فقبل منه ذلك»

رواه أحمد بسند جيد

فيها ما فيها من سعة علمه ﷺ بما سيكون عليه العباد وإن ظهروا في الوقت بما لا يعلمونه من أنفسهم فهو ﷺ أعلم بأنفسهم منهم.

جوهرة في أهل البيت

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»

رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي

عن جابر رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في حجة الوداع يوم عرفة، وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعتة يقول: «إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي»

رواه الترمذي وقال حسن غريب

عن يزيد بن أرقم رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ «إني تارك فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا بعدى أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهم»

رواه الترمذي وقال حسن غريب

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال وهو في مرضه الذي توفي فيه: يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء هذه الأمة وسيدة نساء المؤمنين،

رواه الحاكم بسند صحيح وأقره الذهبي

عن علي كرم الله وجهه أن النبي ﷺ أخذ بيد حسن وحسين وقال «من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»

رواه أحمد والترمذي وقال حسن غريب

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «النظر إلى علي عباد»

رواه الطبراني بسند صحيح

إذ أنه وارث لرسول الله ﷺ فمن نظر إليه فكأنما نظر إلى رسول الله ﷺ.

هذه الأحاديث فيها عظيم فضل أهل البيت ومن أحبهم

عن ثوبان رضي الله عنه قال: «دخل رسول الله ﷺ على فاطمة وأنا معه وقد أخذت من عنقها سلسلة من ذهب فقالت: هذه أهداها إلى أبي حسن، والسلسلة في يدها فقال رسول الله ﷺ: يا فاطمة أيسرك أن يقول الناس فاطمة بنت محمد وفي يدك سلسلة من نار، ثم خرج رسول الله ﷺ ولم يقعد فعمدت فاطمة إلى السلسلة فاشتريت بها غلاما فأعتقته فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: الحمد لله الذي نجا فاطمة من النار».

رواه الحاكم وصححه على شرطهما وأقره الذهبي

هذا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، وإلا فالذهب حلال للنساء الأمة، أما فاطمة رضي الله عنها فلمكانتها حرم عليها دون غيرها وكذلك حرمت الصدقة على محمد ﷺ وعلى آله وعندما وجدوا درهمين في خباء أحد أصحاب الصفة بعد وفاته قال لهم رسول الله ﷺ: «كيتان، مع أن غيره يجوز له أن يجمع ما شاء من الدراهم».

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: دعا رسول الله ﷺ علياً يوم الطائف فانتجاه فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمه، فقال رسول الله ﷺ: «ما انتجيته ولكن الله انتجاه».

رواه الترمذي وقال حسن

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كنت جالسا إذ جاء علي والعباس يستأذنان فقالا: يا أسامة استأذن لنا رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله علي والعباس يستأذنان. قال: «أتدري ما جاء بهما؟»

قلت: لا . فقال النبي ﷺ : «لكنى أدري إذن لهما، فدخلوا . فقالا: يا رسول الله جئناك نسألك أى أهلك أحب إليك؟ قال: «فاطمة بنت محمد، قالوا: جئناك نسألك عن أهلك قال «أحب أهلى إلى من قد أنعم الله عليه وأنعمت عليه أسامة بن زيد، قالوا ثم من؟ قال: «على بن أبى طالب، فقال العباس يا رسول الله جعلت عمك آخرهم قال :«إن عليا قد سبقك بالهجرة،

رواه الترمذى وقال حسن

* اعلم أن الحب نوعان: حب طبيعى ذاتى، وحب للأعمال وهو حب إيمانى فرسول الله ﷺ أحب أسامة الحب الطبيعى الذاتى فهنيئاً له إذ أنه أحب بغير سبب كحب الأطفال بعضها بعضاً، وأحب غيره الحب الآخر إلا أن الحبين قد اجتمعا لعلى كرم الله وجهه .

جوهرة فى أصحابه وإخوانه صلى الله عليه وسلم

عن أسير بن جابر رحمه الله قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر، حتى أتى على أويس فقال أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم . قال: من مراد؟ ثم من

عن رفاعة الجهني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ حمد الله وأثنى عليه، ثم قال «أشهد عند الله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله صدقا من قلبه ثم يسدد إلا سلك في الجنة وقد وعدنى ربى أن يدخل من أمتى سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب وإنى لأرجو أن يدخلوها حتى تبوءوا أنتم ومن صلح من آبائكم وأزواجكم وذرياتكم مساكن الجنة،

رواه أحمد والطبرانى، وابن حبان، والبغوى، والبارودى، وابن قانع وبعضه عن ابن ماجه، وقال الهيثمى رجاله موثقون

الأحاديث التى دلت على تفضيل الصحابة إنما هى فضل عملى إذ أن كل عمل صالح نعمله إنما هو فى صحائفهم لأنهم السبب فى وصوله إلينا وكل تفضيل لمن بعدهم عليهم إنما هو فضل ذاتى لا يدخل لأحد فيه إنما هو اختصاص يختص الله به من يشاء من عباده.

عن عبدالله بن شقيق رحمه الله قال: كنت مع رهط بالياء فقال عبدالله بن أبى الجداء سمعت رسول الله ﷺ قال: «يدخل الجنة بشفاعه رجل من أمتى أكثر من بنى تميم» قلنا سواك يا رسول الله! قال: «نعم سواى». فقيل الرجل هو عثمان بن عفان أو أويس القرنى.

رواه الترمذى وقال صحيح غريب وأخرجه الدارمى وابن ماجه

قرن؟ قال: نعم قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم قال: نعم. قال ألك والدة قال نعم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن وفي رواية - «إن خير التابعين رجل يقال له أويس وكان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر ولو أقسم على الله لأبره. فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل «فاستغفرلى، فاستغفر له». .

رواه مسلم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وددت أنى لقيت إخوانى قال فقال أصحاب النبى ﷺ نحن إخوانك؟ قال: «أنتم أصحابى. ولكن إخوانى الذين آمنوا بى ولم يرونى». .

رواه أحمد بسند صحيح

عن أبى أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «طوبى لمن رأى وأمن بى وطوبى لمن آمن بى ولم يرنى سبع مرات». .

رواه البخارى فى التاريخ وأحمد فى مسنده وابن حبان والحاكم بسند صحيح

عن أبى جمعة رضي الله عنه قال تغدينا مع رسول الله ﷺ ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فقال: يا رسول الله أحد خير منا أسلمنا وجاهدنا معك قال «نعم قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بى ولم يرونى». .

رواه أحمد وأبو يعلى بسند جيد

جوهرة في السيد

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لهم «قوموا إلى سيدكم سعد»

رواه أبو داود بسند صحيح

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»

رواه مسلم وأبو داود بسند صحيح

دلت الأحاديث على جواز إطلاق لفظ السيد على الرسول ﷺ في الصلاة وغيرها، إذ أنها الأصل الأصيل في قوله تعالى ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ (٢٨) وكذا جواز إطلاق السيد على الصالحين من أمته رضي الله عنهم.

أما قوله ﷺ «لا تسيدوني في الصلاة» فموضوع لا أصل له حتى من وضعه خطأ في لغته لأن الصحيح أن تقول - سود أما سيد فلحن.

والله تعالى هو السيد المطلق إذ أن خادم القوم سيدهم، وما رأينا أحداً يخدم عباده ويقوم بحوائجهم وتوصيل الخير بغير علمهم مثل ربهم، فكل من قام بخدمة الناس بغير علمهم فله نصيب من وراثته اسمه السيد جل جلاله.

جوهرة في التمثل

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم»

رواه البخاري

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «صدقك وهو كذوب ذاك شيطان»

وفيه أن أبا هريرة قال: وكُلِّي رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعك إلى رسول الله ﷺ.

رواه البخاري

عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الجن ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون»

رواه الحاكم بسند صحيح على شرطهما وأقره الذهبي

فيها جواز تمثيل الملائكة والجن على صور الإنس، وفي قوله ﷺ «جاء يعلم الناس» أي: لم يأت ليعلمه هو ﷺ ولكن ليعلم الناس وفيه ما فيه من الإشارات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاءه حكه ففقا عينه فرجع إلى ربه فقال أرسلتني

اعلم أنه ما من نفس إلا وفيه روح خارج منك فما من ذكر تذكره إلا ويخلق الله من هذا الذكر ملك يطير إلى أن يأتي إلى العرش ويظل هذا الطائر يذكر الله تعالى إلى قيام الساعة، وهذا معنى مضاعفة الحسنات والنفس قد يكون بخير فينفعك هذا الروح الخارج منك وقد يكون بشر ومن شر النفاثات في العقد، فيؤثر على المسحور فيضره .

جوهرة في الإقامة

عن خالد بن الوليد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «أنا بريء من كل مسلم أقام مع المشركين»

رواه الطبراني ورجاله ثقات

عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال : «لا تساكنتوا المشركين ولا تجامعهم فمن ساكنهم أو جامعهم فليس منا»

رواه البخاري وقال حسن صحيح على شرطهما وأقره الذهبي

جوهرة في الحديثين

عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ قد كان يكون في الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فعمر بن الخطاب .

رواه الترمذي وقال حسن صحيح

إلى عبد لا يريد الموت فرد الله إليه عينه فقال: أرجع فقل له يضع يده على متن ثوره فله بكل ما غطت يده من شعره سنة قال: أى رب ثم ماذا قال : ثم الموت قال فالآن،

رواه البخارى ومسلم والنسائى

الملائكة لها التمثل فى شكل بنى آدم ومع هذا موجودون بشكلهم الحقيقى فى السماء فى نفس الوقت فجبريل عليه السلام تمثل لمريم الصديقة على شكل بشر، وكان فى نفس الوقت فى السماء له ستمائة جناح فهذا مثاله لا حقيقته قال القرآن: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ (٣٦) فالذى فقاً موسى عينه إنما هو مثال ملك الموت لا حقيقته

جوهرة فى النفس

عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان إذا آوى إلى الفراش كل ليلة جمع كفيه فقرأ فيهما: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ من رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات، وكان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها،

رواه البخارى

عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله عباداً يعامل الناس بالتوسم،

رواه البزار الطبراني في الأوسط وإسناده حسن

عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» ثم قرأ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ (٤٠) .

رواه الترمذي وأخرجه البخاري في التاريخ وابن أبي حاتم وأبو نعيم وابن مردويه والخطيب والحكيم الترمذي والطبراني وابن عدي كلهم عن أبي أمامة وهو حديث حسن .

فيه دليل على أهل المكاملة، وأهل التوسم المكاشفون، وأنهم كثير في أمته ﷺ لأنها أشرف الأمم، وليس معنى الحديث قصر ذلك على عمر رضي الله عنه إذ أنهم كثير في الأمم قبلنا فكيف بأفضل أمة .

جوهرة في نجه

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أبا بكر جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني: مررت بوادي كذا وكذا فإذا رجل متخشع حسن الهيئة يصلي فقال له النبي ﷺ: «اذهب فاقتله، قال: فذهب إليه أبو بكر رضي الله عنه فلما رآه على تلك الحال كره أن يقتله فرجع إلى رسول الله ﷺ قال فقال النبي ﷺ: «اذهب فاقتله، فذهب عمر فرآه على

تلك الحالة التي رآه عليها أبو بكر قال فكره أن يقتله قال: فرجع فقال: يا رسول الله رأيته يصلى متخشعا فكرهت أن أقتله قال: يا علي اذهب فاقتله قال: فذهب على فلم يره فرجع على فقال يا رسول الله إنه لحم يره فقال النبي ﷺ: «إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فوقه فاقتلوهم هم شر البرية،

رواه أحمد ورجاله ثقات

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «غلظ القلوب والجفاء في المشرق والإيمان في أهل الحجاز،

رواه مسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى بدنانير يقسمها وعنده رجل أسود مطموم الشعر عليه ثوبان أبيضان بين عينيه أثر السجود فتعرض لرسول الله ﷺ فأتاه من قبل وجهه فلم يعطه شيئا، ثم أتاه من خلفه فلم يعطه شيئا، فقال: والله يا محمد ما عدلت منذ اليوم في القسمة فغضب رسول الله ﷺ غضبا شديدا ثم قال: «والله لا تجدون بعدى أحدا أعدل عليكم قالها ثلاثا. ثم قال: يخرج من قبل المشرق رجال كأن هذا منهم هديهم هكذا يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يرجع إليه. سيماهم التحليق لايزالون يخرجون حتى

يخرج آخرهم فإذا رأيتموهم فاقتلوهم قالها ثلاثا شر الخلق والخلقة
قالها ثلاثا، وفي رواية «حتى يخرج آخرهم مع الدجال»

رواه أحمد بسند حسن

عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم بارك لنا في شامنا،
اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا فقال في
الثالثة: «هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان»

رواه البخاري ومالك في الموطأ

فيه دليل على قسوة القلوب في أهل نجد وخروج الفتن والقلاقل
والجهل من هناك وخصوصا في هذه الأيام فتجد هناك أطفال العلماء
الذين يظنون أنفسهم أعلم خلق الله وهم أجهله فينتقدون على أهل الله،
ويحاربون أولياء الله بما يصدرونه من كتيبات صغيرة وتكفيهم هذه
الأحاديث.

جوهرة في الحال

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الله أشد فرحا
بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحته بأرض فلاة
فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع
في ظلها قد أيس من راحته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده

فأخذ بخطامها ثم قال: من شدة الفرح: اللهم أنت عبدى وأنا ربك
أخطأ من شدة الفرح،

رواه الشيخان

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كان رجل ممن كان
قبلكم لم يعمل خيراً قط إلا التوحيد فلما احتضر قال لأهله انظروا إذا
أنا مت أن احرقوه حتى تدعوه حمماً ثم اصحنوه ثم أذروه في يوم
راح فلما مات فعلوا به ذلك فإذا هو في قبضة الله. فقال الله عز وجل:
يا بن آدم ما حملك على ما فعلت قال: أرى رب مخافتك. قال: فغفر
له بها ولم يعمل خيراً قط إلا التوحيد.»

رواه أحمد بسند صحيح ورواه البخاري بلفظ آخر عن حذيفة

دل الحديثان على أن أصحاب الأحوال محكومون بأحوالهم فمن
كان في سكره أو فئاته أو فرحه بالله فقال ما قال فإنه غير مؤاخذ من
قبله تعالى وذلك كمن قال: أنا الله أو ما في الجبة غير الله فهذه ألفاظ
أخف بكثير ممن قال أنت عبدى وأنا ربك.

جوهرة في رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من رآني في المنام
فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي،»

رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي

فيه دليل على وقوع رؤيته ﷺ يقظة لبعض أكابر العارفين وقد ذكر ابن حجر العسقلاني رحمه الله أن ابن عباس رضي الله عنهما رأى النبي ﷺ في النوم فبقى بعد أن استيقظ متفكرا في هذا الحديث فدخل على بعض أمهات المؤمنين ولعلها خالته ميمونة فأخرجت له المرأة التي كانت للنبي ﷺ فنظر فيها فرأى صورة النبي ﷺ ولم ير صورة نفسه وهي رؤية برزخية لا تصرف للمادة فيها.

وقال ابن حجر رحمه الله وقد نقل عن جماعة من الصالحين أنهم رأوا النبي ﷺ في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا متخوفين منها فأرشدتهم إلى طريق تفريجها فجاء الأمر كذلك.

عن قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رآني فقد رأى الحق»

رواه البخاري ومسلم وأبو داود

وذلك أن رسول الله ﷺ هو الحجاب والبرزخ الأعظم فلا يعرف أحد الله إلا عن طريق برزخيته ﷺ ومن وراء حجابهِ ﷺ فرسول الله ﷺ هو أكمل مخلوق تحمل جميع كمالات الأسماء والصفات الإلهية فمن رآه فكأنما رأى الله تعالى إذ أن الذات لا تدرك.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول «لا تمس النار مسلما رآني أو رأى من رآني»

قال طلحة بن خراش فقد رأيت جابر بن عبد الله

رواه الترمذی وقال حسن غريب

فيه أن من رأى رسول الله ﷺ من أمته رؤية تعظيم وإجلال
نوماً أو يقظة فإن الحديث عام أصابته هذه البشرى العظيمة وكذا من
رأى من رآه ﷺ.

وقد ورد بأسانيد صحيحة أن الرؤيا جزء من ستة وأربعين،
 وخمسة وأربعين، وأربعة وأربعين، جزءاً من النبوة، وذلك حسب من
 يراها من صدق الحديث وأداء الأمانة، فمن كان أصدق كان إلى
 النبوة أقرب وقد تكون الرؤيا الصادقة من الكافر، ومن الفاسق كرويا
 الملك والفتيين في السجن ورؤيا كسرى وعاتكة عمة رسول الله ﷺ
 في ظهور النبي ﷺ.

عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الرؤيا جزء
 من أربعين جزءاً من النبوة والرؤيا معلقة برجل طائر مالم يحدث بها
 صاحبها فإذا حدث بها وقعت فلا تحدثوا بها إلا عاقلاً أو محباً
 أو ناصحاً».

رواه أبو داود وابن ماجه بسند صحيح

قيل لمالك رحمه الله أيعبر الرؤيا كل أحد فقال أبا للنبوة يلعب،
 وقال مالك رحمه الله: لا يعبر الرؤيا إلا من يحسنها. فإن رأى خيراً
 أخبر به وإن رأى مكروهاً فليقل خيراً أو ليصمت، ولا يعبرها على
 الخير وهي عنده على المكروه.

جوهرة في النسب

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «مامن مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤوا إن شئتم ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾» (٤١)

رواه الشيخان

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي ولاية من النبيين وإن وليي أبي، و خليل ربي إبراهيم ثم قرأ: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾» (٤٢)

رواه الترمذي والطبري بسند صحيح والحاكم وقال صحيح على شرطهما وأقره الذهبي

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ جهارا غير سر يقول: «إن آل أبي ليسوا بأوليائي وإنما وليي الله وصالح المؤمنين،

رواه الشيخان

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا،

رواه أحمد بسند صحيح

هذه الأحاديث جميعا تدل على أن النسب الديني أولى من النسب الطيني، وأن الأنساب الإيمانية هي المعتبرة عند الله تعالى

دون غيرها والموافقة والمتابعة توجب الاتصال كما أن المخالفة
توجب الانفصال.

جوهرة في القرآن

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«لو جعل القرآن في إهاب ثم ألقي في النار ما احترق».

رواه الدرامي وأحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير بسند حسن

أى ما احترق كلام الله المنزل القديم أما ما في الورق من
حروف فهو حادث والورق نفسه حادث، ونطقنا بالحروف حادث
﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ فالذى في المصحف
هو الدال على مدلولات كلام الله القديم وإلا فكلام الله لا ينطق بلسان
ولا يسمع بأذان وليس بحرف ولا نفس.

جوهرة في أصحاب المراتب

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن للمساجد أوتادا
الملائكة جلساؤهم إن غابوا يفتقدونهم، وإن مرضوا عادوهم وإن كانوا
في حاجة أعانوهم».

رواه الحاكم وأحمد بسند صحيح

عن علي كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه لم يكن قبلي نبي إلا قد أعطى سبعة رفقاء نجباء وزراء وإني أعطيت أربعة عشرة حمزة وجعفر وعلي وحسن وحسين وأبو بكر وعمر والمقداد وعبدالله بن مسعود وأبو ذر وحذيفة وسلمان وعمار وبلال، رضي الله عنهم جميعاً».

رواه أحمد والترمذي بسند حسن

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الأبدال في أمتي ثلاثون بهم تقوم الأرض وبهم تمطرون وبهم تنصرون»

رواه الطبراني بسند صحيح

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الأبدال في هذه الأمة ثلاثون رجلاً قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً»

رواه أحمد ورجاله ثقات

فيها ذكر النجباء والأوتاد والأبدال

جوهرة في الساعة

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة»

رواه أبو داود والنسائي وأحمد والحاكم وصححه

ورواية الحاكم فيها زيادة «ولا يوجد عبد مسلم يسأل الله شيئا إلا آتاه الله إياه فالتمسوها آخر الساعة بعد العصر» .
فيه أنهم كانوا يعرفون تقسيم اليوم إلى ساعات وفيها تحديد ساعة الإجابة من اليوم .

جوهرة في الحمر

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المولود حتى يبلغ الحنث ما عمل من حسنة كتبت لوالده أو لوالديه وما عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه، فإذا بلغ الحنث جرى عليه القلم وأمر الملكان اللذان معه أن يحفظا وأن يشددا فإذا بلغ أربعين سنة في الإسلام آمنه الله من البلاء الثلاثة الجنون والجذام والبرص، وإذا بلغ الخمسين لين الله عز وجل عليه حسابه، وإذا بلغ الستين رزقه الله إنابة يحييه عليها، وإذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء، وإذا بلغ الثمانين تقبل الله منه حسناته ومحا عنه سيئاته، وإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله في الأرض وشفع في أهله» .

رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ورجال أحد إسنادي البزار ثقات

فيه مزية عظيمة لمن طال عمره وحسن عمله .

جوهرة في ليلة القدر

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أمانة ليلة القدر أنها صافية بلجة كأن فيها قمرا ساطعا ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر ولا يحل لكوكب أن يرمى به فيها حتى تصبح، أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ولا يحل لشیطان أن يخرج معها يوما،

رواه أحمد ورجاله ثقات

فيه علامات ساطعة لمن تحرى عن ليلة القدر ومن المعلوم أنها متنقلة في الوتر من العشر الأواخر من رمضان، جمعا بين الأحاديث الواردة فيها قمرة تأتي ليلة إحدى وعشرين وأخرى ليلة ثلاث وعشرين وهكذا.

جوهرة في الكسوة

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها».

رواه الحاكم وقال على شرطها

دليل على أن الله تعالى يحشر بعض الصالحين وقد كساهم فليس كل الناس يكونون عرايا في المحشر ومن غير المعقول أن يشرف الله أناسا فيحشرهم تحت ظل عرشه ثم لا يكسوهم.

جوهرة في الإمامة

عن أم ورقة بنت عبد الله الأنصاري وكانت قد جمعت القرآن
«وكان النبي ﷺ قد أمرها أن تؤم أهل دارها وكان لها مؤذن وكانت
تؤم أهل دارها».

رواه أحمد وأبو داود والبيهقي والدارقطني وابن خزيمة وصححه

دليل على جواز إمامة المرأة للرجال المحارم، ذهب إلى ذلك داود
وأبو ثور والمزني والطبراني أخذا بظاهر الحديث، وإلى عدم صحة
إمامتها ذهب الجمهور لحديث «لا تؤمن امرأة رجلاً» وجمع سيدي
محيي الدين من عربي بين الحديثين فأجاز إمامتها إن كانت
جامعة للقرآن فاضلة عالمة وإلى عدم جواز ذلك إن كانت غير ذلك.

جوهرة في التربية

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يخرج على
أصحابه المهاجرين والأنصار فلا يرفع طرفه أولاً إلا إلى أبي بكر
وعمر، كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتسمان إليه ويتسم إليهما
خاصة وإلى سائر أصحابه عامة،

رواه الترمذي بسند حسن

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «يأتى عليكم أويس... مر ذكره

فيه التربية بالنظرة وفيه التربية الأويسية ، وهو أن يرى الشيخ مريده ولم يتلاقيا فهذا أويس رحمه الله رياه رسول الله ﷺ ولم يلتقيا.

جوهرة في المولد

روى البخارى فى صحيحه عن عروة بن الزبير «أن العباس بن عبد المطلب رأى أبا لهب فى النوم بعد وفاته فسأله عن حاله فقال لم ألق خيرا بعد كم غير أنى سقيت فى هذا بعثاقتى ثوية وإنه ليخفف على فى كل يوم اثنين»

وذلك أن أبا لهب أعتق ثوية جاريتة لما بشرته بولادة رسول الله ﷺ وكان ذلك يوم الاثنين.

ورواها عبد الرزاق فى المصنف ورواها ابن كثير فى البداية والنهاية ورواها الحافظ البغوى فى شرح السنة، والسهيل فى الروض الأنف .

عن ابن عباس عنهما قال: «قدم رسول الله ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم عاشوراء، فقال ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح نجى الله

فيه موسى وبنى إسرائيل من عدوهم فصامه وقال أنا أحق بموسى
منكم فصامه ﷺ وأمر بصيامه،

رواه البخارى وأبو داود

عن أبى قتادة أن عمر سأل النبى ﷺ عن صوم يوم الاثنين قال:
«هذا يوم ولدت فيه ويوم أنزلت على فيه النبوة،

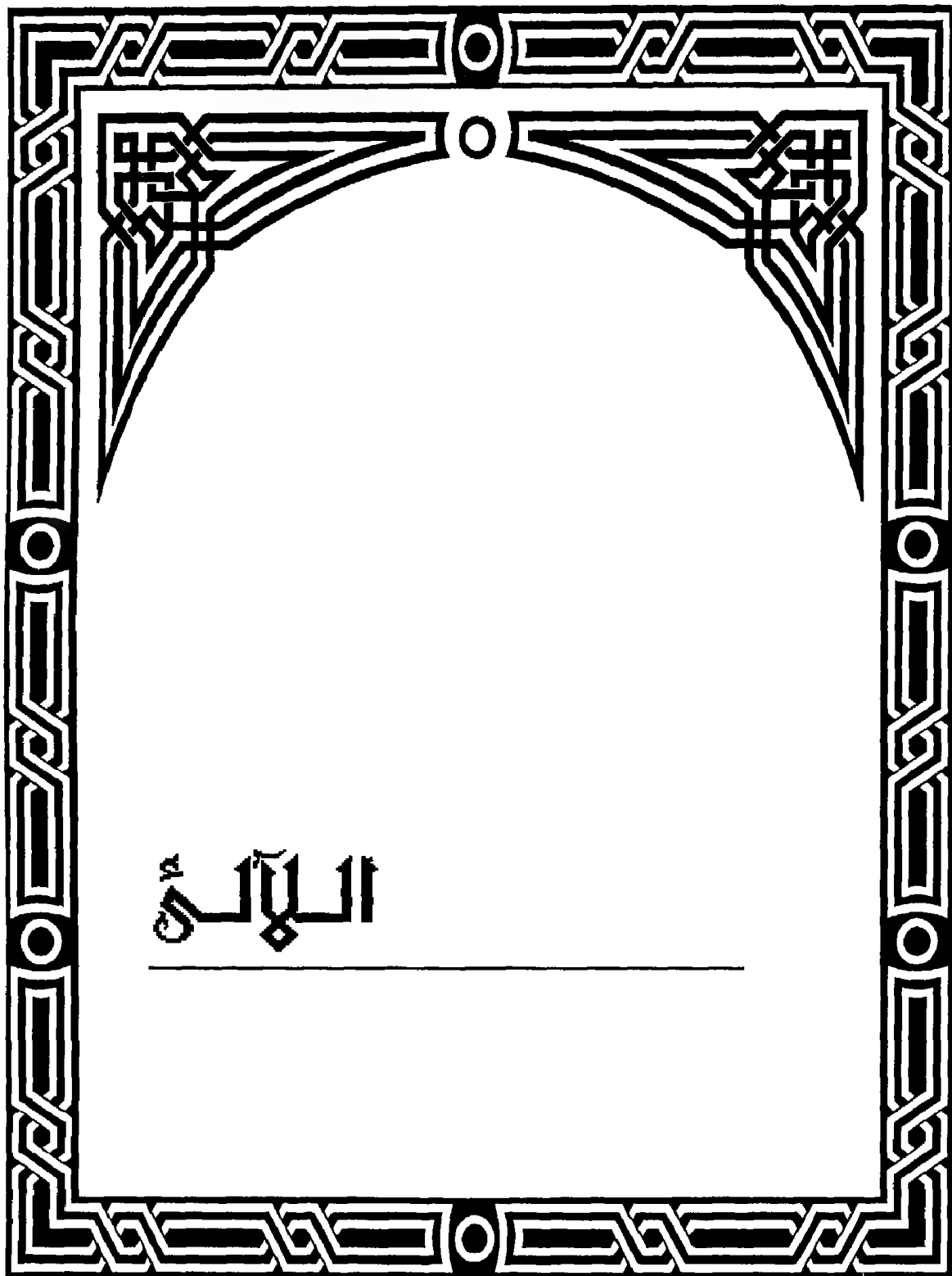
رواه مسلم بمسند صحيح

دلت هذه الأحاديث على استحباب الاحتفال بالمناسبات العظيمة
والأيام المشهودة فى الإسلام.

الهوامش

- (١) سورة المائدة الآية ٣٥ .
- (٢) سورة الإسراء الآية ٥٧ .
- (٣) سورة النساء الآية ٦٤ .
- (٤) سورة البقرة الآية ٢٤٨ .
- (٥) سورة المطففين الآية ٧ .
- (٦) سورة آل عمران الآية ١٦٩ .
- (٧) سورة البقرة الآية ١٥٤ .
- (٨) سورة آل عمران الآية ١٦٩ .
- (٩) سورة البقرة الآية ١٢٥ .
- (١٠) سورة آل عمران الآية ٣٨ .
- (١١) سورة الكهف الآية ٢١ .
- (١٢) سورة الكهف الآية ٢١ .
- (١٣) سورة الزمر الآية ٣ .
- (١٤) سورة التوبة الآية ٥٩ .
- (١٥) سورة الأنعام الآية ٥٢ .
- (١٦) سورة الإسراء الآية ١٥ .
- (١٧) سورة الأنعام الآية ١٣١ .
- (١٨، ١٩) سورة القصص الآية ٤٧ .
- (٢٠) سورة القصص الآية ٥٩ .

- (٢١) سورة الصنحي الآية ٥
 (٢٢) سورة الشعراء الآية ٢١٩
 (٢٣) سورة التوبة الآية ٢٨
 (٢٤) سورة إبراهيم الآية ٤٠
 (٢٥) سورة البقرة الآية ١٣٣
 (٢٦) سورة مريم الآيتان ٤٧، ٤٨
 (٢٧) سورة إبراهيم الآية ٣٧
 (٢٨) سورة إبراهيم الآية ٤١
 (٢٩) سورة الزخرف الآية ٢٨
 (٣٠) سورة إبراهيم الآية ٣٥
 (٣١) سورة إبراهيم الآية ٣٥
 (٣٢) سورة ج إبراهيم الآية ٣٥
 (٣٤، ٣٣) سورة التوبة الآية ١١٣
 (٣٥) سورة الأحزاب الآية ٣٥
 (٣٦) سورة الأحزاب الآية ٤١
 (٣٧) سورة النساء الآية ٤٠
 (٣٨) سورة النور الآية ٦٣
 (٣٩) سورة مريم الآية ١٧
 (٤٠) سورة الحجر الآية ٧٥
 (٤١) سورة الأحزاب الآية ٦
 (٤٢) سورة آل عمران الآية ٦٨



لَوْلُؤَةُ فِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

فمن أخلاقهم رضى الله عنهم عدم معاداة أهل لا إله إلا الله، فإن لهم من الله الولاية فهم أولياء الله، وإن أخطأوا وجاءوا بقراب الأرض خطايا ولا يشركون بالله شيئاً تقيهم الله بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته. ومن حارب لله فقد ذكر جزاءه فى الدنيا والآخرة، وكل من لم يطلعك الله على عداوته فلا تتخذ عدوا وأقل أحوالك إذا جهلت: أن تهمل أمره فإذا تحققت أنه عدو لله - وليس إلا المشرك - فتبرأ منه كما فعل الخليل إبراهيم عليه السلام (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان) .

فالذى ينبغى لك مع أهل التوحيد أن تكره فعله إذا أتى بالمعصية ولا تكره عينه .

عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «وعدني ربي أن يدخل من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربي».

رواه أحمد وابن ماجه والترمذي بسند حسن

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تحشر هذه الأمة على ثلاثة أصناف صنف يدخلون الجنة بغير حساب، وصنف يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة، وصنف يجيئون على ظهورهم أمثال الجبال الراسيات ذنوبا فيسأل الله عنهم وهو أعلم بهم فيقول: ما هؤلاء فيقولون: هؤلاء عبيد من عبادك فيقول حطوها عنهم واجعلوها على اليهود والنصارى وأدخلوهم برحمتي الجنة».

رواه الحاكم وقال صحيح على شرطهما وأقره الذهبي

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها، رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: أعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فيعرض عليه صغارها فيقال له: عملت يوم كذا، كذا وكذا وعملت يوم كذا، كذا وكذا فيقول: نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول رب قد عملت أشياء لأراها هاهنا، قال فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه».

رواه مسلم والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقي بسند صحيح

أما عدو الله فتكره عينه، فإن المؤمن العاصي منور القلب،
والكافر المحسن إنما هو مظلم الباطن منور الظاهر فقط.

قال رسول الله ﷺ: «أفضل ماقلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله».

فهذه الكلمة تزن السموات والأرض، ومن يعمرها غير الله بل
تزيد، فهي كلمة التوحيد، والتوحيد لا يماثل شئ إذ لو مائله شئ
ماكان واحدا وكان إثنين فصاعدا فما ثم مايزنه إلا المعادل والمماثل
وماثم مماثل ولا معادل، ولايزن التوحيد إلا الإشارك ولايجتمعان في
ميزان.

يقول تعالى في الحديث القدسي «لو أن السموات السبع وعامرهن
غيري والأرضين السبع وعامرهن غيري في كفة ولا إله إلا الله في
كفة مالت بهن لا إله إلا الله».

وحديث البطاقة معلوم مشهور، فأهل لا إله إلا الله لا ينصب لهم
ميزان يوم القيامة إذ أن وزنهم معلوم وميزانهم ثقيل بلا إله إلا الله.

عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أمتي أمة مرحومة ليس عليها في الآخرة حساب ولا عذاب إنما عذابها في القتل والزلازل والفتن».

رواه الحاكم على شرطهما بسند صحيح وأقره الذهبي

عن أنس بن مالك قال: شق على الأنصار النواضح فاجتمعوا عند النبي ﷺ فقال لهم رسول الله ﷺ: مرحبا بالأنصار لا تسألوني اليوم شيئا إلا أعطيتكموه ولا أسأل الله لكم شيئا إلا أعطانيه، فقال بعضهم لبعض: إغتنموها، وسلوه المغفرة قالوا: يا رسول الله ادع لنا بالمغفرة فقال: «اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار، وفي رواية ولأزواج الأنصار،

رواه أحمد والبزار بسند صحيح

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات».

رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط بسند حسن

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليتمنين أقوام لو أكثروا من السيئات، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال «الذين بدل الله سيئاتهم حسنات».

رواه الحاكم بسند صحيح على شرطهما وأقره الذهبي

عن ابن الحنظلية رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لأنس بن مرثد الغنوى، وقد كان حرس لهم الشعب يوم حنين إلى الصباح «قد أوجبت فلا عليك أن تعمل بعدها،

رواه الحاكم بسند صحيح على شرطهما وأقره الذهبي

عن عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول: «ما على عثمان ماعمل بعد هذه، ما على عثمان ماعمل بعد هذه، وفي رواية عن عبد الرحمن بن سمرة، ما ضر عثمان ماعمل بعد اليوم مرتين» .

أخرجه أحمد والترمذي بسند حسن

فيها أن من أمة رسول الله من هو يعلم أنه مغفور له حتى قبل أن يولد فيولد محفوظا فيتعجب ربنا منه ليست له ذلك، ومنهم من يبذل الله سيئاتهم حسنات، ومنهم من قال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» .

رواه أحمد وأبو داود والحاكم بسند صحيح

وعلى الجملة فأمة رسول الله ﷺ جميعها مغفور لهم فعلموا ما فعلوا، فعن ابن عباس رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء، فأجابه الله إني قد فعلت إلا ظلم بعضهم بعضا، فأما ذنوبهم بيني وبينهم فقد غفرتها لهم، فقال أي رب إنك قادر أن تثيب هذا المظلوم خيرا من ظلمته وتغفر لهذا الظالم فأجابه الله إني قد فعلت، ثم التفت إلينا رسول الله ﷺ مبتسما فقلنا يا نبي الله ما أضحكك قال: إن إبليس عدو الله لما علم أن الله عز وجل قد شفعني في أمتي أهوى يدعو بالويل والثبور ويحثو التراب على رأسه،

رواه ابن عبد البر في التمهيد

لؤلؤة في السماع

من أخلاقهم رضى الله عنهم حضور مجالس السماع المقرب إلى
حضرة الحق تعالى وتواجدتهم فيه عن غلبة حال.

إعلم أن للعبد حواسا خمسا ظاهرة وهى السمع والبصر واللمس
والشم والذوق، ومثلها باطنة فإذا طهر حواسه الظاهرة كان من أهل
الكشف، إذ تصرفت جميع حواسه الباطنة وأصبحت كل جوارحه
فعالة ونابت كل جارحة عن غيرها فيسمع بعينه وينظر بأذنيه ويتكلم
بعينه وأذنيه، فأهل الله لا يختص سماعهم بشئ فى الوجود دون شئ
لأنه لكل كلمة فى الوجود أو حركة من الحركات معنى لطيف وسر
رائق حتى أنهم يستمعون من هبوب الرياح وتمايل الأشجار وخرير
الماء، وطنين الذباب، وصرير الأبواب، ونغمات الأوتار،
وصفير المزمار، وأنين المريض، وصوت الحزين، وصياح الصائح
ونوح النائح ما يحرك همهم من غير تفاوت هذه الأمور بعضها على
بعض من حيث موافقة الطباع فقط.

وصنف الإمام الحافظ أبو فضل محمد بن طاهر بن على
المقدسى فى السماع كتابا ونقض أقوال من قال بالتحريم وجرح النقلة
للحديث الذى أوهم التحريم وذكر من جرحهم من الحفاظ واستدل
على إباحة السماع واليراع والدف والأوتار بالأحاديث الصحيحة
وجعل الدف سنة، قال الشيخ عبد الغفار القوصى رحمته الله، وقد قرأت
ذلك على الحافظ شرف الدين الدمياطى وأجازنى به جماعة من

الحفاظ كأبى طاهر السلفى الأصبهانى بسماعه من المصنف، وقال:
لا فرق بين سماع الأوتار وسماع صوت الهزاز والبلبل وكل طير
حسن الصوت فكما أن صوت الطير مباح سماعه فكذلك الأوتار،
وسئل الشريف أبو محمد الهاشمى عن السماع فقال: ما أدري ما أقول
فيه ولكن حضرت فى دار شيخنا أبى الحسن التميمى سنة سبعين
وثلاثمائة، وقد عمل دعوة دعا فيها أبا بكر الأبهري شيخ المالكية،
وأبا القاسم الداركى شيخ الشافعية، وطاهر بن الحسين شيخ الحديث،
وأبا الحسن بن سمعون شيخ الروعاظ والزهاد، وابن مجاهد شيخ
المكلمين وأبا بكر الباقلانى، وأبا الحسن شيخ الحنابلة فقالوا لشخص
حسن الصوت: أسمعنا شيئاً فأنشد لهم شعراً من جملة:

خطت أناملها فى بطن قرطاس	رسالة بعبير لا بأنفاس
أن زر فديتك لى من غير محتشم	فإن حبك لى قد شاع فى الناس
فكان قولى لمن أدى رسالتها	قف لى لأسعى على العيدين والراس

قال الشريف الهاشمى رحمته الله فبعد أن رأيت هؤلاء الأشياخ
يسمعون لا يمكننى أن أفتى بمنع السماع. فإن هؤلاء مشايخ العراق
حتى لو سقط السقف عليهم لم يبق فى العراق من يفتى فى حادثة،
وقد كان الشيخ عبد الرحيم القناوى، والشيخ أبو الحجاج الأقصرى
وغيرهما من الرجال يستمعون ويهيجون كهيجان الجمال. ويصير
أحدهم يقول يا حبيبى يا حبيبى وهو دائر لا يشعر بأحد من الخلق.
وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام إذا سمع شيئاً من أشعار القوم

يهتز ويتواجد أشد ما يكون التواجد ومرة تواجد فألقى جبة كان يلبسها على القوال فلما انتهى السماع قام القوال ليرد عليه جبته فقال الشيخ من قتل قتيلا فله سلبه .

وهذا كله فى سماع القوم الذى يقرب إلى حضرة الحق تعالى أما السماع المعروف فى هذه الأيام فكله لايسلم من الآفات وهو أقرب ما يكون إلى الحرام .

لَوْلَاةٌ فِي الظُّلَمِ

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم عدم رضائهم بالظلم . فالراضى بالفساد حكمه حكم المفسدين . بل ويأخذون للمظلومين حقهم من الظالمين إن استطاعوا وإلا دعوا على الظالمين حتى يؤذيه الله تعالى فيسبب لهم من يؤذيههم ويأخذ حق المظلومين منهم .

وقد خاطب الله اليهود الذين كانوا فى عصر رسول الله ﷺ بقوله: ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١) وهؤلاء لم يقتلوا لأنبياء السابقين إنما قتلهم أجدادهم وأسلافهم . فلما رضوا بفعل أسلافهم فكأنهم قتلوهم بأيديهم فاستحقوا الخطاب والتوبيخ، وكذلك إخبار الله عن المنافقين قولهم ﴿ لَنْ رَجِعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ ﴾ (٢) وإنما وقع ذلك من عبد

الله بن أبي بن سلول. فلما رضى المنافقون من أصحابه بقوله أخبر الله عنهم بالقول: وقال الإمام مالك رضي الله عنه عنه لما أرسل إلى أبو جعفر المنصور دخلت عليه فرأيت النطع بين يديه والسيوف مسلولة وهو يعاتب ابن طاوس على أمور، ثم قال له ناولني الدواة فأبى فقال: مامنك فقال خشيت أن أكون شريكا لك فيما تكتب، قال الإمام فضمنت ثيابي مخافة أن يصيبني من دمه، ثم قال اذهب إلى حال سبياك فلم أزل أعرف ذلك لابن طاوس.

ولم يرضوا بظلم حتى البهائم والجمادات، فكان سيدي عبد العزيز الدريني لا يحمل سوطا قط إذا ركب دابته ويصير يريدها بكم قميصه ويقول إن عبد العزيز هيهات أن يقدر على ضربه بكم القميص فإن من ضرب دابته أو نخسها فلا بد أن يقتص منه لها، وقال الإمام الجنيد رحمه الله وضعت مرة كوزا على الأرض فسمعتة يقول آه فمن يومها لم أظلم جمادا بل أعامله معاملة من به حياة إذ أنه شيء وقد قال تعالى ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ (٢).

لؤلؤة في الخيبة

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم التوبة فورا إذا جرى على قلوبهم غيبة أحد فإن الغيبة كما تحرم باللسان كذلك تحرم بالقلب وفي

الحديث «إن الله حرم من المسلم دمه وماله، وأن يظن به ظن سوء، وهي أن تذكر أخاك بما يكرهه في غيبته وإن كنت صادقاً سواء ذكرت نقصاً في عقله أو في نفسه أو في فعله أو في نسبه أو في داره أو في دابته أو في ولده أو شيء مما يتعلق به، حتى قولك فلان يغتاب الناس أو كبير العمامة أو يحب من يعظمه، وقد دخل مرة طبيببان كافرين على سفيان الثوري رضي الله عنه فلما خرجا من عنده قال لولا أن تكون غيبة لقلت أن أحدهما أطب من الآخر، وهي باللسان أو بالقلب أو بالإشارة أو التعريض أو المحاكاة.

أما حديث رسول الله ﷺ : «لا غيبة في فاسق، فقد قال العلماء: أن لا هنا معناها عدم جواز الغيبة حتى لو كان فاسقاً.

ومذهب عائشة رضي الله عنها وجوب الوضوء من الغيبة وكانت تقول يتوضأ أحدهم من أكل طعام حلال ولا يتوضأ من الغيبة.

لؤلؤة في الصدقة

ومن أخلاقهم رضي الله عنهم شهودهم فضل من قبل منهم صدقة أو زكاة أو هدية حتى أنهم لو قبلوا نعله ماوفوا حقه لأنه كان سبباً للخير الذي حصل لهم سواء كان دنيوياً بإطلاق السنة الناس

بالمدح والدعاء لهم أو أخرويا برضاء الله عليهم، فإذا تصدقوا على أحد وجدوا أنه المحسن عليهم لأنه لما قبل منهم صدقتهم كان سببا لطهارتهم من ذنوبهم وإلا لبقيت عليهم ذنوبهم، وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها عنها تطيب صدقتها قبل إعطائها للفقير وتقول: إنها تقع في يد الله قبل أن تقع في يده. قال تعالى ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾^(٤) ومنهم من كان يجعل يده تحت يد الفقير وهو يعطيه الصدقة ويقول اليد العليا هي يد الآخذ واليد السفلى هي يد المعطى.

لؤلؤة في النظر

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم غض الطرف عن رؤية النساء وما يلحق بهن أدبا مع الله تعالى من حيث كونهم فى داره وتحت أمانته لالعة أخرى من خوف عقاب أو فوت ثواب فضلا عن وقوع محرم وتشئت القلب برؤيتهم، ومن تأمل بعين الإيمان الحقيقى وجد الدنيا كلها دار الحق جل جلاله وجميع مافيهها من الحريم إمآؤه وعبيده فمن نظر إلى واحدة منهم بغير حق فقد خان ربه وعصاه فى حضرته.

ومن اعتنى الله تعالى به أدبه عن النظر على الفور، ومن لم يحصل له التأديب على ذلك فليس هو عند الله بمكان، وإذا وجدوا في صدورهم ضيقاً فتشوا في أنفسهم فريماً وقعوا في ذنب، ولم يحفلوا به فنبههم الله بذلك الضيق ليتوبوا ويتذكروا.

لَوْلُوَّةٌ فِي السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَاللِّسَانِ

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم غيرتهم على سمعهم أن يسمعوا به كذباً أو غيبة أو نميمة أو باطلا لكونهم يسمعون بها كلام الله جل وعلا وكلام رسوله ﷺ وكلام الأئمة عليهم السلام عنهم، وكذا يغارون على بصرهم أن ينظر إلى محرم بعد النظر في كتابه تعالى وفي سنة رسوله ﷺ، وكذا يغارون على ألسنتهم أن تتكلم بالكذب والزور والبهتان واللغو بعدما قرأت كلامه تعالى وتفوهت بكلام رسوله ﷺ.

فإن استعمال العضو في الأشياء الشريفة وهو نجس قذر في غاية سوء الأدب، ولذا شرع الوضوء قبل الصلاة لينقى السمع والبصر واللسان من الذنوب والمعاصي قبل الدخول في حضرة الله تعالى.

واعلم أنهم لم يختلفوا في كفر من وضع شيئاً من كلام الله أو كلام رسوله ﷺ في القاذورات ومن تأمل وجد القذر المعنوي

كالقذر الحسى أو أشد، فكانوا لا يذكرون الله تعالى بلسان عصوا الله به إلا بعد التوبة الشرعية، وكذا لا يجيبون مؤذنا ولا يقرأون حديثا إلا بعد حصول التوبة.

لؤلؤة في المنازل العالية

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم عدم سؤالهم المنازل العالية فى الجنة إلا إذا وطنوا أنفسهم على الصبر على البلاء فإن البلاء، مقرون بذلك.

ولا يسألونه القرب منه إلا بعد إتقانهم الشرع الشريف قولا وعملا وظاهرا وباطنا، فإن من يسأل الله تعالى الدرجات العلى والقرب منه تعالى وأن يجعله من أهل حضرته بغير اشتغال منه بما كلفه به من الأمور الشرعية من قيام ليل وصيام نهار وكف جوارح عن المعاصى، مثل رجل فلاح حاف جاء مكشوف العورة يتمنى على السلطان أن يزوجه بنته أو يجعله وزيرا وذلك أبعد ما يكون، أين المقام من المقام؟ بخلاف ما لو كان مثل الوزير الأعظم فقد يجاب إلى ذلك لكونه أصلا من أهل حضرة السلطان.

والذين سألوه تعالى فقالوا ﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾^(٥) ماسألوا ذلك إلا بعد أن أتقنوا مقام التقوى أما من لم يتقن هذا المقام فغايتة أن يسأله سبحانه وتعالى أن يجعله من المتقين لا إماما لهم.

لؤلؤة في الخبز

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم إعطاؤهم الخبز حقه من الإكرام والتعظيم والتقبيل ووضعها على العين حتى تدوم نعمه عليهم، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل على رسول الله ﷺ مرة فرأى كسرة يابسة في جدار البيت وقد علاها الغبار فأخذها وقبلها ووضعها على عينيه وقال «يا عائشة أحسنى مجاورة نعم الله عز وجل فإن النعمة قلما نفرت عن أهل بيت فكادت ترجع إليهم» وكان سيدى عليا الخواص يقول: إياكم أن تضعوا الخبز على الأرض من غير حائل فإن فيه احتقاراً لنعمة الله عز وجل فإن تعظيم نعمة الله من تعظيم الله تعالى.

لؤلؤة في النجاة

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم عدم ظنهم النجاة في طاعة من الطاعات بعد أن سمعوا قوله تعالى ﴿وبدا لهم من الله ما لم يکونوا یحتسبون﴾^(٦) إذ لو تأمل العبد لوجد نفسه جاهلاً بما يؤل أمره إليه من سعادة أو شقاوة لكثرة مزلات الأقدام التي يؤاخذ بها العارفون لاسيما من سلك الطريق على غير نور الشرع، ومن هنا

قالوا لابد للسالك من نورين يمشى بهما فى الطريق وهما نور الشرع ونور البصيرة .

قال الله تعالى ﴿ نور على نور ﴾ ولو كان مع العبد نور واحد منهما لما سعد إذ لا سعادة إلا بإجماعهما، أما حفظ الشرع بغير خلق البصيرة أى الملكة التى يكون معها التوفيق فلا شرف فى ذلك، وقد رأى شخص مالك بن دينار رحمه الله وهو يتبخر فى الجنة فجاء إلى مالك ليبشره فقال له: أما وجد إبليس أحدا أحقر فى عينه منى ومنك ليسخر به .

لؤلؤة فى التواضع

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم تصويبهم لمن زهد فى صحبتهم وفارقهم، فيقولون: فلان قد أصاب فى مفارقة أمثالنا خوفا من أن ينظر منهم فعلا فيتبعهم عليه، وهم يعلمون قطعاً أنهم غير معصومين من الزيغ، وكان سيدى إبراهيم المتبولى يقول: من كمال الفقير أن يطالب نفسه بحقوق الناس ولا يطالب الناس بحقه هو، فلا ينبغى لفقير أن يطالب أحدا قط بالتردد إليه احتقارا لنفسه وتعظيما لإخوانه .

وكان سيدى على الخواص رحمه الله من أشد الناس نفرة ممن يقبل يده ويقول: تقبيل اليد إنما يكون لمن كان على قدم الاستقامة

مع الله تعالى ليلا ونهارا، وكان إذا قبل أحد يده كاد أن يذوب من الخجل وهذا مآدرج عليه السلف الصالح وقد رأينا من يمد يده للناس ليقبلوها وذلك من السذاجة أو التكبر إذ مالت نفسه إليه ويتكدر أخذهم من عدم تقبيل الناس يده على عاداتهم، بل شهدوا أنفسهم دون كل جليس مسلم جالسهم كشفا وذوقا، لا تواضعا منهم، فإن لفظ التواضع يدل على أن صاحبه أثبت لنفسه مقاما عاليا ثم تنازل منه إلى جليسه، فإنهم كلما ارتفعوا في المقام ظهر لهم حقارة نفوسهم وكمال غيرهم حتى يرونها في أسفل سافلين فلو أقام أحدلهم الأدلة على أنهم أعلى مقاما ماصدقوه وما أخرجهم ذلك عن شهودهم لحقارة نفوسهم فمن جلس مجلسا ظن نفسه أعلى من جلسائه أو حتى مساو لهم فذلك أكبر من مثقال ذرة من كبر التي ذكرها رسول الله ﷺ وأقسم أن لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، بل كانوا رضى الله عنهم يشهدون أنفسهم دون من أرشدوه من المريدين في المقام، لأن المريدين مشايخ مشايخهم بالحال والمشايخ مشايخ بالقال، والحال أقوى من المقال وكان سيدى إبراهيم المتبولى يقول: من شرط الشيخ أن لا يرى بيده ضرا ولا نفعا دون الله تعالى فيسلك بالناس ويرشدهم ولا يشهد له مدخلا في هدايتهم إلا بمعنى الدلالة فقط على وجه الشكر لله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ بل كانوا يخدمون المريدين بأنفسهم ويقومون على حوائجهم ومصالحهم، بل كانوا رضى الله عنهم يعدون أنفسهم من جملة العصاة على الدوام ولا يتكدرون بمن ينفى كونهم من الصوفية لعلمهم وشهودهم بعدهم

عما كان عليه السلف الصالح رضى الله عنهم من الزهد والورع والخوف وكان الحسن البصرى رضي الله عنه إذا قيل له ماتقول في كذا يافقيه يقول: والله إن زمانا صار مثلى ينادى فيه بالفقيه لزمان سوء، وسئل الجنيد مرة عن مسألة في التصوف فقال: هذا علم قد طوى بساطه منذ ثلاثين سنة، وقال سيدي على الخواص رضي الله عنه: إياك أن تعتقد يأخى إذا طالعت كتب القوم وعرفت مصطلحهم في ألفاظهم أنك صرت صوفيا إنما التصوف التخلق.

لؤلؤة في التحذير

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم تعظيمهم الناس بحسب دينهم وماهم عليه من ذل النفس لبحسب ثيابهم وأشكالهم، فإن المتكبرين أسفل من الناس درجة وقد قام سفيان رضي الله عنه مرة لإنسان يعرفه وكان عنده شخص فقام لذلك الإنسان، فقال له سفيان لم قمت لهذا الرجل هل تعلم حاله فقال إنما قمت تبعا لك فقال: لاتفعل ذلك بعد اليوم، وقد قال الشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله عنه: إنما تعرف مراتب الناس عند الله تعالى بطريقين أحدهما الكشف، والثانية بكثرة طاعاته، وكانوا رضى الله عنهم يعظمون الفقير الخامل الذكر مع الاستقامة أكثر من الفقير المشهور بالكرامات وذلك لأن الدنيا ليست بدار نتائج ولكنها دار تكليف.

لؤلؤة في التهوُّد

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم شهودهم عجزهم عن رد كيد إبليس عن أنفسهم فضلا عن رد كيده عن مريديهم، إذ لا يرد كيده عند سماع اسمه إلا من كان عمرى المقام وذلك عزيز، وقد علموا أن الحق تعالى لولا أنه علم قوة تسليط إبليس على الإنس ماخوفنا منه ولا أمرنا أن نستعيز بالله منه ولو أن أحدا من الخلق كان يكفى أن نستعيز به منه لأمرنا تعالى أن نستعيز برسول الله ﷺ أو بجبريل أو غيرهما من الأكابر ولكن علم تعالى عجز الخلق عن رد كيده إلا مع استعازتهم بالله عز وجل، قال تعالى لسيد الأولين والآخرين ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٧) وفى البخارى أن رسول الله ﷺ أخبرهم بعد صلاة صلاها أن الشيطان عرض له فقال «فأمكننى الله منه، فانظر إلى أدبه ﷺ إذ لم يقل فتمكنت منه، أو «فأمسكته».

لؤلؤة في المحبة

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم محبتهم لكل من انتسب إلى هذه الطائفة الصوفية فلا يكرهون أحدا منهم وهذا الخلق قليل فى فقراء هذا الزمان فترى أحدهم يكره من يراه من جماعة أحد من الأشياخ

غير شيخه وينظر أحدهم إلى أخيه شزرا واحتقارا كأنه في دين غير دينه ويود أن لا يظهر لغير شيخه اسم في البلد، وذلك كله من رعونات النفوس ودليل على عدم ذوق أحد منهم رائحة أدب أهل الطريق، وكذلك محبتهم لمن هو أكثر طاعة منهم أكثر من محبتهم لأنفسهم لأنهم علموا أن كل من كان أكثر طاعة فهو أحب إلى ربهم منهم، ومن أدب كل عبد أن يحب من يحبه سيده، وكذا تنشرح صدورهم إذا سمعوا الناس يقولون عن تلامذة أحد من أقرانهم أنهم على قدم عظيم وأن شيخهم الوارث دونهم، وقال الشيخ أفضل الدين رحمه الله: من علامة المرائي أن لا ينشرح لكثرة المتقين إلا إن كانوا تلامذة له.

لؤلؤة في الزهد

ومن أخلاقهم رضی الله عنهم عدم وقوفهم عند الحكام لفض المنازعات لأن الدنيا أهون عندهم من أن يقفوا لأجلها على حاكم أو قاضى بل ويستحى أحدهم أن يكذب مسلما فيما ادعى لنفسه من حقوقهم وهم لا يرون لهم ملكا أصلا فلو أن الدنيا بحذافيرها كانت في يديهم وأخذها منهم أحد لم يتغير منهم شعرة ولم يتبعوها نفوسهم وكأنما أخذ منهم حصاة من الأرض، وهذا خلق من أخلاقه تعالى.

إذ لو أن الدنيا تساوى عنده جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء، فإذا وزع جناح البعوضة على أهل الدنيا فانظر حقارة نصيب كل واحد منهم، فهم يرجون محبته تعالى لما تركوا ما هو أقل من جناح بعوضة وزهدوا فيه لقوله ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله، ولا يتحقق من هذا المقام حتى لا يرى أنه زهد في شيء يدركه العقل من خلقه، وأما من حيث كون ذلك نعمة من الله تعالى فيرى الذرة من الرزق كالجبل العظيم، وليعلم من زهد أنه مازهد فيما هو رزق له فلو كان الذي زهد فيه رزق له لوصل إليه، فهو إنما زهد فيما لم يقسم له فالزهاد لا يرون أنفسهم زهدوا في شيء، بل يرون أن الله تعالى زوى عنهم الدنيا إعتناء بهم حتى لا يشتغلوا عنه بشيء. وهناك فرق بين من يزهد في الدنيا من المحجوبين ليحصل لهم الثواب ومن يزهد فيها ليجالس رب الأرباب.

وقد قال سيدي إبراهيم المتبولي: من زهد في الدنيا ليوسع على إخوانه فيها فقد وقع في مزاحمتهم في الآخرة من حيث كثرة الثواب. فالذي فرمته في دار الفناء وقع فيه في دار البقاء ولكن الشأن هو الزهد في الدنيا والآخرة تجرداً لله تعالى.

والزهد في الشيء هو الزهد في الميل إليه بالمحبة بغير إذن من الله تعالى لا الزهد في إمساكه، وفي الحديث. «ليس الزهد بتحريم الحلال ولكن الزهد أن تثق بما في يد الله أوثق مما في يدك، ثم بعد ذلك فإن الزهاد يمسون الدنيا على وجه الأدب مع الله تعالى للحكمة

التي جعلها في إمساكها «الاقتصاد نصف المعيشة، لاحبا في ذاتها، ثم بعد أن يمسكوا الدنيا عن إذن الله تعالى فهم ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ (٨).

لؤلؤة في البلاء

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم كثرة تحملهم للبلايا والمحن، وكذا تحملهم حسد الحاسدين وحقد الحاقدين، لعلمهم أنهم ما حسدوهم إلا لعلمهم بأنهم أرفع منهم درجة وهذا الخلق إنما هو وراثته إلهية حيث صبر الله تعالى على أذى خلقه لما نسبوا له الزوجة والولد وحتى قالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء.

وقد ناظر بعض العباد إبليس فقال إبليس أنا أعلى مقاما منكم فكل الوجود يلعننى ويحقرنى ويسببى وأنا صابر على حكم الله تعالى لم تتغير منى شعرة، وأحدكم إذا قام عليه أهل مدينته ورموه بالعظام تنغصت معيشته وسارع إلى طلب براءته مما نسب إليه ولم يكتف بعلم الله فيه.

ثم هم يشكرون الله تعالى على ما صبرهم على تحمل أذى الخلق ولا يشتغلون قط بمقابلاتهم بل يعذرونهم فإنهم ما آذوهم إلا وهم في

غفلة عن كونهم عبيد الله وفي حضرة الله وعن كون الحق تعالى نهى عن ذلك فلو أنه تعالى من على مثل هؤلاء بأخلاق الصالحين لكانوا على العكس من ذلك (وقال سيدى على الخواص عليه السلام): من علامة القطب في كل زمان تحمله للبلايا والإنكار عليه فإن جميع بلاء الأرض ينزل عليه أولاً، ثم يتفرع منه إلى الإمامين، ثم إلى الأوتاد الأربعة، ثم إلى الأبدال السبعة، وهكذا إلى آخر الدائرة فإذا فاض عنهم شئ وزعوه على المؤمنين بحسب مقامهم قال تعالى ﴿وجعلنا منهم أمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾ (١) فما بلغوا مقام الإمامة إلا بعد مبالغتهم في الصبر وتحمل الأذى).

وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله مسموماً، وكذا أبو بكر رضي الله عنه. ومات سيدنا عمر رضي الله عنه مقتولاً، وكذا سيدنا عثمان رضي الله عنه، وكذا سيدنا على كرم الله وجهه، ومات سيدنا الحسن رضي الله عنه مسموماً، ومات سيدنا الحسين مقتولاً، وكذا سيدنا عبد الله بن الزبير، وكذا الإمام زين العابدين، ومات سيدنا عمر بن عبد العزيز مسموماً، وآلاف الأنبياء قد قتلوا في بني إسرائيل، ونشر زكريا عليه السلام بالمنشار.

(وقد قال سيدى أبو المحاسن الشاذلى رحمته الله: لا يكمل عالم في مقام العلم حتى يبتلى بأربع، شماتة الأعداء، وملامة الأصدقاء، وطعن الجهال، وحسد العلماء، فإن صبر على ذلك جعله الله تعالى إماماً يقتدى به، واعلم أنه لولا الكلام في عرض خواص هذه الأمة من العلماء والصالحين لعبدوا من دون الله لكثرة أنوارهم وما يظهر

عليهم من الخوارق والكرامات، وحتى يأتى العلماء موفوروا الأجر فى الآخرة لم يأخذوا منها شيئا فى الدنيا، فإن غالب من يعتقد الناس ويعظمونه بتقبيل الأيدى والأرجل حكمه حكم من نصب منجنيقا ورمى حسناته شرقا وغربا ولذلك كان سيدى أبوزيد رحمته الله لا يقيم إلا فى موضع الإنكار عليه وكل مكان اعتقدوه فيه تحول منه).

(وهم رضى الله عنهم لا يشتغلون بمقابلة من آذاهم ولا تنقيص من نقصهم إنما يرجعون إلى تفتيش أنفسهم ويكثر من الاستغفار ويشهدون أنفسهم جالسين بين يديه تعالى، وهو يرى صنيع عبده فيهم إذ فى تسلط الخلق على العبد رحمة فى صورة نقمة، وأنه ماسلطهم عليه إلا ليرجع العبد لله تعالى ويلتجئ إليه، وهم لا ينتصرون لأنفسهم ولا يؤاخذون من آذاهم بل ينتصر الله لهم بغير تعمد منهم ولا دعاء منهم عليه، بل ويبعث بالهدية لمن آذاه ويقول له: هدية بهدية، أهديت لنا حسناتك يوم القيامة فما أقل مانهديك اليوم من متاع الدنيا، بل إن الواحد منهم يحب من آذاه أكثر من حبه لمن يعتقد أنه من آذاه أكثر نفعا فى الآخرة فكان الواحد منهم يجهد أن يكره أحدا ممن يؤذيه، فلا يستطيع وأقل درجة من هذا المشهد مشهد من كان عنده المدح والذم سواء، ومن قال له قبحك الله كمن قال له جزاك الله خيرا، وذلك لشهودهم أن كل ذلك من الله تجل عليهم، وكانوا رحمهم الله يشفقون على من يؤذيه خوفا على دينه أن ينقص بسببهم فيقابلونه باللفظ دون القلب فيزجرونه حتى ينتهى وقلوبهم فارغة من التشفى منه بل قلوبهم تدعوا له بالهداية

والصلاح، وهم وإن كانوا لا ينتصرون لأنفسهم فهم ينتصرون لله
 غيرة للحق تعالى من حيث تعدى من يؤذيه حدود الله تعالى فيصيب
 كل من آذاه أو آذى من ينتسب إليه بالعطب وذلك بنية كف آذاه عن
 الناس ورحمة به فيعاقبه الله بما آذى به أولياءه في الدنيا فيخفف عنه
 في الآخرة وذلك كدعاء الرسول ﷺ على رعل وذكوان.)

(أما الضعفاء فقد نفس الله عليهم حين قال ﴿وجزاء سيئة
 سيئة مثلها﴾ (١٠) انظر إلى قوله سيئة مثلها أى كونك تقتص هي أيضا
 سيئة ثم ختم الآية بقوله ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ (١١)
 ولما علم الكاملون أن نشأتهم في هذه الدار مجموعة من أصدقاء وأنه
 لم يرمهم قط أحد بشئ إلا وهو فيهم من أصل تلك النشأة لم يتكبروا
 ممن رماهم لأنه مارماهم إلا بما هو فيهم ظهورا أو كمونا).

وهم رضى الله عنهم قد تصدقوا بأعراضهم على الناس
 وسامحهم وعفوا عنهم إكراما لله عز وجل من حيث كونهم عبيده،
 ثم إكراما لنبيه ﷺ من حيث كونهم من أمتة لالعة أخرى، وهذا في
 حقوقهم أما حقوق الله فلا يتسامحون فيها فعن عبد الله بن عباس
 رضى الله عنه ومحمد بن سيرين رضى الله عنهما أنهما كانا لا يسامحان من اغتابهما
 ويقولان إن الله تعالى قد حرم أعراض المؤمنين فلا نبيحها، ولكن
 غفر الله لك يا أخى، وذلك أن المعصية فيها حقان حق للخلق وحق
 للخالق، وإعلم أن التنقيص والحسد وغير ذلك لا يأتى من أهل المحبة
 وإنما يأتى من المعتقدين والأعداء، والفرق بين المحب والمعتقد أن
 المحب يحبك على كل حال، أما المعتقد فهو اعتقدك مادمت على

الصراط المستقيم فإذا رأى منك خلا في دينك أو انقطعت عنه كرامتك نفر عنك وصار يتكلم عليك .

وأعجب من ذلك سماحة نفوسهم بمقاسمة أعدائهم حسناتهم في الآخرة وأموالهم في الدنيا فضلا عن أحبابهم، بل بأن يأخذ هؤلاء الأعداء حسناتهم كلها، وأن يلقوا الله تعالى صفر اليدين ماعدا الشهادتين معتمدين على فضل الله ورحمته فكما أهدى من انتقصهم في الدنيا حسناته لهم في الآخرة، فهم أيضا يهدون له حسناتهم فهو أحسن إليهم كرها وهم أحسنوا إليه طوعا بطيبة نفس، وصاحب هذا المشهد يرى أن من أساء إليه أحق بحسناته ممن أحسن إليه لأن من أحسن إليه قد يبخل عليك بحسناته يوم القيامة بعكس من أساء إليك، وكان أحدهم يقول لو قاسمت أعدائي في حسناتي لا أرى بذلك فضلا عليهم إنما أرى الفضل لهم إذا أنهم هم الذين بدأوا بالفضل ومن أولياء الله تعالى من يجرى الله تعالى له أجر إيذاء الخلق بعد موته فيتوارث بغضه خلف عن سلف فترى أحدهم يسبه ويلعنه تبعا لوالده ولا يكون هو ولا والده قد رآه أصلا) .

لؤلؤة في المكر

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم عدم أمنهم من مكر الله تعالى في ساعة من ليل أو نهار، فإنه تعالى لا يدخل تحت التحجير وله حضرة

تسمى حضرة الإطلاق يفعل فيها مايشاء كما أن له حضرة تسمى
حضرة التقيد لا يخلف فيها الميعاد.

لؤلؤة في النوم

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم شدة كراهيتهم للنوم على حدث
أكبر أو أصغر على الجسد أو باطن من حقد وحسد وغل وسوء ظن،
كل ذلك مراعاة للأدب مع الحضرة التى تنتقل إليها الروح بعد النوم
فإياك أن تنام على حدث ظاهر أو باطن من محبة الدنيا وشهواتها
فربما أخذ الله تعالى بروحك تلك الليلة فتلقى الله تعالى وهو عليك
غضبان بحسب قبح ذلك الذنب الذى نمت عليه.

وكانوا رضى الله عنهم يكرهون النوم فى الثلث الأخير من الليل
أشد من كراهيتهم للمعاصى الظاهرة لما ورد من نزول الله تبارك
وتعالى فيه، وذلك أن الموكب الإلهى ينصب تارة من نصف الليل
وتارة من الثلث الأخير إلا ليلة الجمعة فإنه ينصب من غروب
الشمس إلى خروج الإمام من صلاة الصبح ويرون ذلك من أكثر
النعم ويقولون ومن أين لمثلنا أن يوقفه الله تعالى بين يديه فى الظلام
مع أوليائه وأصفيائه، وإن لم نلحق بهم فإن صفوف الموكب الإلهية

على هيئة صفوف فى تلك الساعة فيقف الأكبر فى حضرة الشهود الكبرى ثم الذين يلونهم إلى آخر من يحضر.

لؤلؤة فى التحمل والسلب

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم كثرة تحملهم للمصائب التى تنزل بإخوانهم رحمة بهم وشفقة عليهم فيقولون يارب مانزل بفلان من مصيبة فارفعه عنه أو فأنزله بى أنا أو يكثرون من الاستغفار أو يدعون له باللطف فيما نزل به وللمتحمل شروط يجب أن يراعيها أثناء تحمله:

- ١ - التخلق بوصف الذل والانكسار فلا يرى نفسه فوق أحد.
- ٢ - كثرة ملازمة الوقوف فى المواكب الإلهية ليلا ونهارا وذلك بين الأذان والإقامة وحين يدخل نصف الليل الآخر.
- ٣ - صدق الالتجاء إلى الله تعالى وعدم مشاركة أحد من الفقراء معه فى ذلك التحمل.
- ٤ - أن يأمر المتحمل صاحب المصيبة بكثرة الاستغفار حتى تخف المصيبة.
- ٥ - أن يصدق صاحب المصيبة فى توجهه إلى ذلك الفقير ويثق بمكانته عند الله تعالى وأن المصيبة أو الحاجة ستقضى على يديه.

- ٦ - أن لا يقبل الحامل هدية ولا يأكل عند المحمول طعاما .
- ٧ - كف جوارحه الظاهرة والباطنة عن كل محرم ومكروه وخلاف الأولى أثناء التحمل .
- ٨ - عدم تناول شئ من شهوات النفس المباحة فضلا عن المكروه أيام التحمل .
- ٩ - أن يكون صائما مدة التحمل .
- ١٠ - أن يكون المتحمل ممن لم يخرق بصره إلى الدار الآخرة فإن من خرق بصره إلى الدار الآخرة واطلع على مافى ذلك البلاء من الأجر والثواب لصاحبه لصار يطلب دوام ذلك البلاء عليه فتصير همته فاترة في طلب رفع ذلك عنه .
- ١١ - أن لا يرى لنفسه فضلا على من تحمل عنه ذلك البلاء بل يرى أن الفضل كله للمحمل عنه .
- وممن روينا عنه أنه كان إذا نزل بالمسلمين هم أو بلاء يمرض له أياما السيد عمر بن خطاب والسيد عمر بن عبد العزيز والشعبي رضي الله عنهم عنهم أجمعين .
- والأصل فيه قوله ﷺ « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » وقوله ﷺ : مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، وكان سيدي على الخواص رضي الله عنه يقول من ضحكك وجامع زوجته

أو لبس ثوبا مبخرا أو ذهب إلى مواضع التنزّهات أيام نزول البلاء على المسلمين فهو والبهائم سواء.

وهم يتوجهون في قضاء الحوائج إلى أصحاب التصريف أولا فإن قضوها وإلا توجهوا في قضائها إلى رسول الله ﷺ فإن لم تقض توجهوا بها إلى الله تعالى، فإن لم تقض أكثروا من الاستغفار وعلموا أن المحل ما هو قابل، أو أن من سألهم قضاء حاجة لا يستحق قضاء تلك الحاجة.

ومع تحملهم رضى الله عنهم فهم أصحاب تصريف وسلب لكل من أساء الأدب، والسلب هو سلب الإيمان والعلم وغيره من الطاعات جميعها أو سلب شئ واحد من ذلك أو سلب الصحة أو سلب الحياة وذلك على قدر سوء الأدب الذى ارتكبه المسلوب، ولا يقدر على السلب إلا أصحاب التصريف من الأولياء رضى الله عنهم، قال رسول الله ﷺ «إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم، وأصحاب التصريف غالبا هم أصحاب ستر وتخف لا يعلمهم أحد لضعفهم الظاهر بين الناس فهم أصحاب ضعف وذل ومسكنة وإذا اشتغلوا فإنهم يشتغلون بحرف قد يحتقرها كثير من الناس ستر على حالهم، وغالبا يكون سلبهم للعلماء والأولياء لا للعامة، وسبب السلب إما سوء أدب إذا رأى نفسه فوق أحد من عباد الله، أو دخل بلد بغير استئذان أصحاب التصريف فيها أو فعل فعلا مما فيه غفلة كجماع ودخول خلاء وغيره من غير استئذان منهم.

وهناك من أهل التصريف من له غيرة شديدة على المكان الذى يتصرف فيه بحيث لا يترك أحدا يمر فيه على غفلة عن ذكر الله إلا سلبه، وهم إذا أرادوا سلب أحد ممن أساء إليهم الأدب بأى من هذه

الأفعال فهم لا يستطيعون سلبه مادام ذاكرًا الله تعالى، ولكنهم ينتظرون منه غفلة عن الذكر ويسلبونه حاله كله.

مر سيدنا محمد بن هارون على صبي قراد وكان هذا الصبي ماداً رجله، فقال الشيخ في نفسه: إن هذا الصبي لقليل الأدب يمر عليه مثلي ولم يضم رجله، فسلب لوقته حتى صار لا يعرف الفاتحة، ثم طلب الصبي حتى وجده يلعب بالقرد والحمار فلما انتهى سلم عليه فقال له الصبي مثلك في العلم والصلاح يخطر على باله أنه خير من أحد المسلمين؟! فقال: التوبة، فتاب الشيخ محمد فقال له الصبي لقد وضعت علمك وحالك في قلب سحلية في المكان الفلاني فاذهب إليها وقل لها إن فلان صبي القراد يقول لك ردى على الوديعة التي عندك فخرجت السحلية من حجرها ونفخت في وجه الشيخ فرد الله عليه حاله وعلمه، وقال في نفسه كيف تفتخر على الناس بشئ حملته السحلية في قلبها فمن ذلك اليوم مارأى نفسه على أحد حتى مات.

وأصحاب التصريف غالباً هم أصحاب تحمل للبلايا والمصائب وهم المكلفون بحفظ سائر أقطار الأرض من برارى وقفار ومدائن وبحار وقرى وجبال، فالناس ينامون وهم ساهرون قائمون على حفظ أماكنهم ورفع غضب الله عنها بكثرة ذكرهم ودعائهم فهم قائمون مقام الملائكة ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ (١٢) وهم أهل أدب ومعرفة يحبون أهل الأدب معهم أشد الحب أما من أساء الأدب سلبوه وقتلوه بهمتهم وحالهم، ومن قتلوه فلادية له.

لؤلؤة في حسن الظن

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم كثرة توجيههم لكلام الأئمة المجتهدين ومشايخ الصوفية وحمل كلامهم على أحسن الوجوه وكذلك كلام أتباعهم فينتحلون الأجوبة الحسنة وإن كانت بعيدة فهي أخلص للدين وأسلم.

وكان الشيخ زكريا الأنصارى رحمة الله عليه إذا رفع عليه سؤال عن أحد من علماء العصر، يقول: لا أكتب عليه إلا إن اجتمعت به سألته عن مراده، وكان سيدى على الخواص يقول: أقل درجات الأدب مع القوم أن يجعلهم المنكر كأهل الكتاب لا يصدقهم ولا يكذبهم إذا علمت ذلك، فما نقل عن الشيخ أبى يزيد قوله: طاعتك لى يارب أعظم من طاعتى لك، يقصد إجابتك لى يارب دعائى أعظم من إجابتى بالامثال لك، وقوله بطشى أشد لما سمع قارئاً يقول ﴿إِنْ بَطَشَ رَبُّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (١٣) ومراده أن بطش الله تعالى لا يكون دوماً إلا مخلوطاً برحمة وشفقة لأن رحمته بعبده غلبت، أما انتقام العبد بأخيه فهو انتقام محض لارحمة فيه فكان بطشة بأخيه أشد من بطش الله تعالى، وقوله أيضاً لأحد مريديه لأن ترانى مرة خير لك من أن ترى ربك ألف مرة، ومراده أن المرید ليس له قدم فى معرفة الله جل وعلا إذا رآه فإنه يراه ولا يعلم أنه هو فلا يعرف يأخذ عنه علماً ولا أدباً، بخلاف رؤيته لأبى يزيد فإنه ينتفع به ويعلمه الأدب مع الله تبارك وتعالى حتى يرقيه إلى معرفة ربه

معرفة على قدر أدب أبي يزيد لا على قدر المريد، ومنها قوله: سافرت من الله إلى الله، ومقصوده أن ابتداء سفره إلى انتهائه بحول الله وقوته، وقوله: حدثني قلبي عن ربي قصده الإلهام الجائز للعارفين، وقوله

أريدك لا أريدك للثواب ولكني أريدك للعقاب
وكل ما ربي قد نلت منها سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

مراده أنه أصبح يستلذ عذاب حبيبه، لأنه نظر إلى المعذب فغاب عن العذاب كمن يشاهد العافية في شرب الدواء الكريه فيلتذ بطعمه ناسيا مرارته، وقوله: أنا الله، وقوله: سبحاني، وقوله: أنا من أهوى ومن أهوى أنا فالمحب يقول عن نفسه أنه عين محبوبة لا ستهلاكه فيه فلا يراه غيرا قد قالها في حال السكر والفناء لافي في حال الصحو والبقاء فكان مغلوبا، أو هو يقصد قوله تعالى في الحديث القدسي «كنت سمعه وبصره ويده ورجله،

وقوله لو علم الناس منك ما أعلم ما عبدوك، ومراده لو علم الناس سعة رحمتك وحبك لهم ما تكلفوا عبادتك. وأما قول الحلاج ما في الجبة غير الله، فقصده ما في الوجود إلا الله كما لو قلت ما في المرأة إلا من تجلى لها لصدقت مع علمك أنه ما في المرأة شيء أصلا ولا في الناظر في المرأة شيء وقد قالها في حال السكر والفناء وأهل الأحوال المغلوبون قد عذروهم الله ألم تر إلى فرح الله بتوبة عبده ممن وجد دابته فقال: اللهم أنت عبدى وأنا ربك، وقال رسول الله ﷺ

«أخطأ من شدة الفرح، وهؤلاء قالوا ما قالوا من شدة فرحهم بالله تعالى».

وهذا حديث صحيح رواه البخاري

وقول الشبلي لما سئل متى تستريح؟ فقال: إذا لم أر الله ذاكرا، وقصده إذا لم ير الله ذاكرا بنفسه، فالناس إما يذكر الله بنفسه وإما يذكره بربه، فالذاكر بنفسه يرى نفسه، وأنه هو الذاكر فتدخله الآفات أما من يذكر الله بالله فهو ذاكرا مذكور.

أما قول أبي طالب المكي: لا يرى من ليس كمثله شيء إلا من ليس كمثله شيء، فقصده لا يرى من ليس كمثله شيء في الربوبية إلا من ليس كمثله شيء في العبودية، أي: من تحقق بعبوديته تحققا كاملا لاربوبية فيها.

أما قول بعض العارفين أن الفقر من ليست له إلى الله حاجة، أي حاجة معينة بل رد أمره كله إلى الله، وهو الفقير المحقق فلا تقوم به حاجة معينة فتملكه لعلمه بأنه عين الحاجة فلا تقيدته حاجة إلى الله مطلقة بغير تقييد.

أما قول أحدهم من وحد فقد ألحد، مراده أن الله واحد بغير توحيدنا فمن اعتقد أنه وحد ربه وأنه قبل توحيده ما كان واحدا وصار واحدا بتوحيده فقد كفر، فهو واحد لا بتوحيد موحد ولا بتوحيد لنفسه لأنه واحد لنفسه فما أحديته مجعولة، فعلمك أنه واحد ليس هو إثبات أحديته فالواحد لا يوحد.

أما قول الشيخ الأكبر رحمته الله:

العبد رب والرب عبد ياليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك رب أوقلت رب أنى يكلف

بعد البحث وجدنا أن هذه الأبيات فيها تصحيف، وأن الأبيات
التي في جميع كتب الشيخ الأكبر وعلى رأسها الفتوحات هي
كالآتي:

الرب حق والعبد حق ياليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت أوقلت رب أنى يكلف

وأما قول الشيخ الأكبر: إن قلب العارف أوسع من رحمة الله،
فمعناه أن رحمة الله لا تنال الله ولا تسعه فلا يقال أن الله مرحوم،
وقلب العبد قد وسع الله تعالى بالمعرفة ولكن وسعنى قلب عبدي
المؤمن، وأما قول الشيخ الأكبر: إن الحق تعالى قال لى: أنت الأصل
وأنا الفرع، فمراده أن علمنا به فرع من علمنا بنا إذ نحن عين الدليل
للقول القائل: من عرف نفسه فقد عرف ربه، كما أن وجودنا فرع
عنه ووجوده أصل فهو أصل فى وجودنا فرع فى علمنا به. والكثير
مثل ذلك

نُقل عن الأكابر ورد العلماء عليه ردودا طيبة، ناهيك عن
الحسدة والحقدة والجهلة ممن يدعى العلم.

لؤلؤة في المحصية

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم رضاهم عن الله إذا قدر عليهم معصية كرضاهم عنه تعالى إذا قدر عليهم الطاعة، لكن من حيث التقدير لا من حيث الكسب، لأن المعاصى بريد الكفر ومقدمته وهذا هو معنى قول أهل السنة والجماعة يجب الرضا بالقضاء لا بالمقضى، ومعنى قولهم أيضا: نؤمن بالقدر ولا نحتج به فليعلم العبد أن سيده فعال لما يريد لا يتوقف على غرض عبده فله أن يستعمله تارة فى قلب المسك وتارة فى قلب الزبل، فالمسك مثال الطاعات والزبل مثال المعاصى، وميزان الشرع فى يد العبد لا يضعها من يده لحظة، فما كان من طاعة قال: الحمد لله، وما كان من معصية، قال: أستغفر الله، قال تبارك وتعالى ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ فالحق تعالى لم يقدم على العبد معصية إلا لحكمة إما اختباراً له، وإما لوقوعه فى عجب بأعماله أو تكبره بها على أحد من المسلمين فالعبد مادام مستقيماً فى أحواله كلها فهو محفوظ من الوقوع فى المعاصى جملة كالأنبياء وكمل الأولياء، فكراهية العبد للوقوع فى المعاصى لا تقدر فى رضاه عن الله تبارك وتعالى وتسليمه لأقداره بل هو مطلوب شرعاً.

لؤلؤة في مكة

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم عدم المجاورة بمكة المشرفة وذلك لعجزهم عن القيام بأداب المجاورة والإقامة بها فإنها حضرة الله تبارك

وتعالى الخاصة في الأرض وهذا الأمر قل من يقوم بآدابه فمن جالس الملوك بلا أدب جره ذلك إلى العطب، فمن آداب المجاور أن لا يخطر بباله معصية قط أثناء مجاورته في مكة ولا تشتت نفس معصية قط قال تعالى ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ فالإرادة فيه محاسب عليها، ولو لم يعمل بخلاف غيرها من الأماكن، وكره الإمام مالك والشعبي رحمهما الله المجاورة في مكة وقالوا مالنا لبلد تضاعف فيها السيئات كما تضاعف فيها الحسنات ويؤاخذ الإنسان فيها بالخاطر، ومن الظلم سوء الظن بأخيك المسلم أو بغضبك له بغير حق، ومنها أن لا يبیت على دينار ولا درهم ولا طعام وهو يعلم أن أحدا في مكة محتاجا إلى ذلك، ومنها أن لا يسأله أحد في الحرم شيئا ويمنعه إلا إن كان هو أحوج من السائل لقوله صلى الله عليه وسلم «ابدأ بنفسك»، وقوله ﷺ «الأقربون أولى بالمعروف»، ومنها: أنه لا يحن إلى وطنه وأصحابه وأولاده، ومنها: أن لا يبول ولا يتغوط في الحرم كما كان أبو عثمان المغربي والفضيل بن عياض، وسفيان بن عيينه رضى الله عنهم إذا أرادوا أن يتغوطوا أو يتبولوا خرجوا إلى الحل.

لَوْلَا فِي الرَّحْمَةِ

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم شدة شفقتهم ورحمتهم على الحيوانات والحشرات وغيرها مما لا تستطيع النطق والإفصاح عن

مطلوبها فلطالما أعطى أحدهم إلى القطة دجاجة كاملة بين يديه يأكلها إذا رآها في حاجة إلى ذلك من الجوع ورآها تتوقع منه الإحسان، وإذا خطفت القطة مثلاً من أمام أحدهم الدجاجة المحمرة فلا يجرى وراءها، ولا يمكن أحد من الجرى وراءها، ويرون أن إرعابها وإزعاجها يذهب بالأجر، واعلم يا أخى أن الهرة ما خطفت ما خطفت من بين أيدينا إلا بعد أن جربتنا في البخل والشح عليها فما خطفت حتى أيست من إحساننا لها مع أنها ما أقامت عندنا إلا لظنها فينا الخير والكرم والبر وأننا نرمى لها شيئاً تأكله إذا وقفت بين أيدينا فإنها تفهم الأمور ولكنها عاجزة عن النطق بما تفهمه والبهائم ما سميت بهائم إلا لإبهام أمرها علينا لا لإبهام الأمور عليها، وتأمل هدهد سليمان عليه السلام والنمل الذى قال ﴿ لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴾^(١٤) والذئب الذى كلم الراعى حتى أسلم أيام رسول الله ﷺ والذئب الذى أتى إلى الرسول الله ﷺ والناقة التى اشتكت له ﷺ، ثم تأمل صناعة نحو العنكبوت والنحل والنمل وتأمل مغفرة الله تعالى لمن سقى الكلب. وكان سيدى على الخواص رضى الله عنه يوصى أولاده على القطيطة لا سيما فى نهار رمضان، ويقول إن الناس لا يأكلون نهاراً فلا تجد القطة ما تأكله فتضيع مصالحها وكان رضى الله عنه كثيراً ما يضع للنمل الدقيق أو الفتات على باب جحرها ويقول حتى نغنى التملة عن الخروج للسعى فلربما خرجت فداسها أحد فماتت أو انكسرت رجلها.

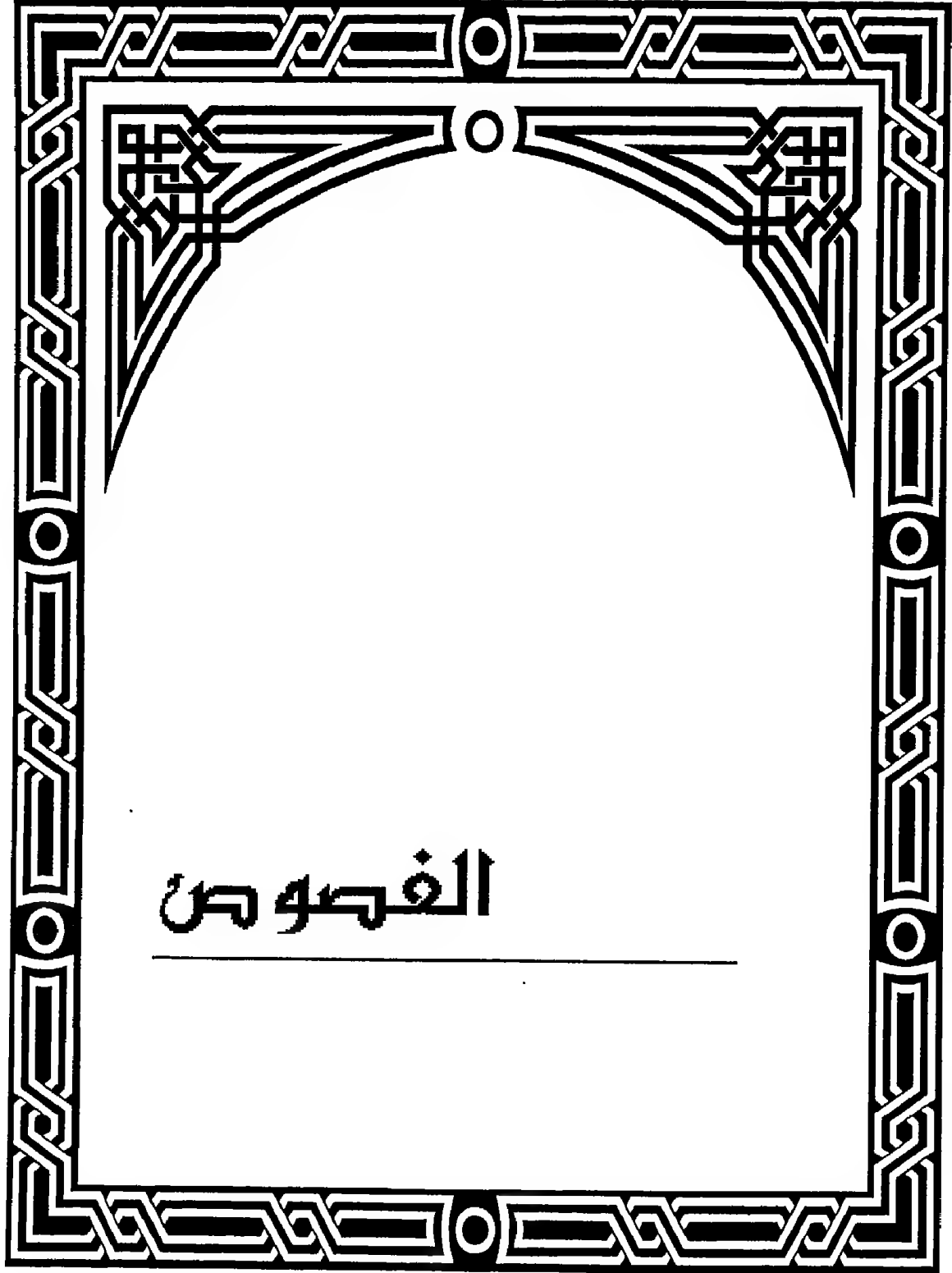
لؤلؤة في المسجد

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم كراهيتهم للجلوس في المسجد على حدث في ليل أو نهار ومن كان مشهده أن الأرض كلها مسجد فلا فرق عنده بين الأماكن إلا ما خصه الشارع صلى الله عليه وسلم منها فهذا في مسجد دائما فالمساجد هي حضرة الله تعالى الخاصة فإذا كان هذا في الحدث الأصغر فكيف بمن يعصى الله تبارك وتعالى في المسجد بغيبة أو نسيمة، وكان الشيخ أفضل الدين رحمه الله لا يقدر على الجلوس في المسجد ولو طاهرا ويقول والله إنى لأتعجب من هؤلاء المجاورين في قدرتهم على إطالة الجلوس في المسجد لا سيما وهم محدثون وعلى العاقل أن يستحي منه تعالى إذا جلس في بيته ولو على طاعة فكيف إذا كان في معصيته فربما مقت الله ذلك العاصي في حضرته، وكانوا يكرهون إخراج الريح في المسجد تعظيما لجنان الله تعالى لأنه معدود من الرجس، وحياء من الملائكة الكرام التي تملأ المساجد وقد قال لنا رسول الله ﷺ في حقهم «فاستحيوهم وأكرمهم».

لؤلؤة في الجماع

ومن أخلاقهم رضى الله عنهم حضورهم مع الحق تبارك وتعالى في حال جماعهم كحضورهم معه في الصلاة على حد سواء في

أصل الحضور وإن تفاوت الحضور بجامع أن كلاً منهما عبادة مأمور بها «وفى بضع أحدكم صدقة»، وما شرع الحق تبارك وتعالى جميع المأمورات الشرعية إلا ليحضر العبد مع ربه فيها حال فعلها وإنما لم يصرح الشارع لنا بالأمر بالحضور في الجماع اكتفاء بما أمرنا به من التسمية عنده فإن ذكر اسم الله تعالى وسيلة للحضور معه تعالى، وفي الحديث «فقام غسله من الجنابة فأدخله الجنة، ومن كثرة شفقتهم على ذريتهم من قبل أن تحمل بهم أمهم أنهم رضى الله عنهم لا يجامعون زوجاتهم وهم غافلون عن الله تعالى فلربما دخل الشيطان فأفسد الولد، ولا وهم مقبلون على الدنيا ولا وهم على معصية ككبر وسوء ظن بالمسلمين أو غضب بل ولا يجامعون إلا وهم على التوبة الخالصة لله تعالى».



٦ - ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾^(٣) فكل شيء مكتوب عليه الهلاك في أعين أهل الفناء إلا وجه الله تعالى فهم يعبدون الله على التجريد «كان الله ولا شيء معه».

٧ - من وقف مع جسمانيته ﷺ فهو من أهل ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾^(٤) ولم يشموا رائحة روحانيته ﴿يوحى إلى﴾^(٥) ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾^(٦) فنظروا إلى قوله ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾^(٧) وقد بلغ ولم يطلعوا على ما منحه الحق وكرمه في قوله تعالى ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾^(٨) فلهؤلاء الجنة الحسية التي قال فيها تعالى ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين﴾^(٩) فهم مع نفوسهم في الدنيا والآخرة، لهم قوله ﷺ «فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت، وليس لهم «ولا خطر على قلب بشر، فإن القلب محل العلم قال تعالى ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾^(١٠) وهي محل الفقه ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها﴾^(١١).

٨ - ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾^(١٢) فإذا نسيت نفسك ذكرت ربك فسبب التعب هو ذكر النفس والاعتناء بشؤونها وهذا حال أهل الحجاب أهل قوله تعالى ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾^(١٣).

٩ - الفناء على ثلاثة مراتب: فناء في الأفعال، وفناء في الصفات وفناء في الذات، أو فناء في الاسم وفناء في الذات، وفناء في الفناء، وهو مقام البقاء، وكل مقام ينادى على ما قبله «يا أهل يثرب لا مقام لكم،

١٠ - حسن الظن بالله على مرتبتين: فالخواص حسن ظنهم ناشيء عن شهود جماله ورؤية كماله فحسن ظنهم بالله لا ينقطع سواء واجههم بجماله أو بجلاله، والعوام ناشيء عن شهود إحسانه وحسن معاملته وامتثانه.

١١ - الهجرة إلى الله على ثلاثة أنواع: هجرة من وطن المعصية إلى وطن الطاعة، وهجرة من وطن الغفلة إلى وطن اليقظة، وهجرة من وطن الأشباح إلى وطن الأرواح، وغير ذلك إنما هاجر من نفسه إلى نفسه بنفسه وهو قوله ﷺ من كانت هجرته لدنيا يصيبها.

١٢ - سبحان من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم.

١٣ - أخطر في محبتكم بروحي وأركب بحركم إما وإما
وأسالك كل فج في هواكم وأشرب كأسكم لو كان سما
ولا أصفى إلى من قد نهانى ولى أذن عن العزال صما
أخطر بالخواطر في هواكم وأترك في رضاكم أبا وأما

١٤ - لو كشفت عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض فما ظنك بنور المؤمن المطيع.

١٥ - كل صلاة لا خشوع فيها باطلة عند الصوفية غير مقبولة عند العلماء.

٣١ - فى المنازلات «ماظهر منى شىء لشىء، ولا ينبغى أن يظهر لأنها لم تزل معدومة وأنا لم أزل موجودا فما يعرف الحق إلا الحق.

٣٢ - أى روح تتجسد يقيدها البصر.

٣٣ - إنما طمع الشيطان فى الرحمة أنه شىء والله يقول ﴿ورحمتى وسعت كل شىء﴾^(١٥) ولكنه نسى أن الرحمة صفته والتقوى فعله وفعله يقيد صفته.

٣٤ - قال أبو يزيد رضى الله عنه: وأنا الآن لاصفة لى فشهد أن صفات العبد كلها معارة من عند الله فهى لله حقيقة ونعتنا بها فقبلناها أدبا مع علمنا بأنها له لالنا.

٣٥ - الذل صفة شريفة إذا كانت لله، والخزى صفة ذميمة بكل وجه ومن ذل لله فإنه لا يذل لغير الله أصلا إلا أن يذل لعين الصفة حيث يراها فى مخلوق.

٣٦ - كلامى ليس غيرى وهو غيرى كما قلنا رميت وما رميتا
فكن حقا ولا تظهر بزور وكن عين القرآن إذا تلوتنا
لأن الله لم يسمع لعبد يناديه بما يتلوه صوته
لأن الحق ليس يراه حى لذا كتبوا على الأحياء موتا

٣٧ - ﴿ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾^(١٦)
ولم يقل مما علموا، ولكن معرفتهم ناقصة إذ كان نظرهم إلى ما عند

الله لا إلى الله فلذا أعقب الآية بقوله ﴿فَأْتَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(١٧) وقال في حق من كملت معرفته ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(١٨).

٣٨ - ﴿وَأَنْتُمْ حِينَتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(١٩) أى إلى الله تعالى:

٣٩ - قال تعالى ﴿مَنْ يَطْعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٢٠) لأنه لا يطق إلا عن الله بالله لله، ولم يقل ومن يعص الرسول فقد عصى الله لأن طاعة المخلوق لله، ذاتية وعصيان به بالواسطة فلو أنزل هنا الرسول كما أنزله في الطاعة لم يكن إلهاً وهو إله فلا يعصى إلا بحجاب وليس الحجاب سوى عين الرسول، ونحن اليوم أبعد في المعصية للرسول من أصحابه فنحن ما عصينا إلا أولى أمرنا في وقتنا وهم العلماء والصحابة إن عصوا فإنما عصوا رسول الله ﷺ فنحن أقل مؤاخذه وأعظم أجراً لأن للواحد منا أجر خمسين ممن يعمل بعمل الصحابة رضوان الله عليهم.

٤٠ - ﴿لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٢١) فيدفعونه كما يفعل الإيمان فوق الزانى كأنه ظلة ليحفظه من سخط الله النازل بتعرضه للمخالفة.

٤١ - موت الفجاءة حده أن لا يخرج النفس الداخل ولا يدخل النفس الخارج وهو غير المحتضر، فموت الفجاءة يقبض صاحبه على ما كان عليه من إيمان أو كفر، أما المحتضر فهو صاحب شهود فيفرق بين الكافر المحتضر والكافر الذى مات موت الفجاءة، فالكافر

٥٣ - ﴿وأشرق الأرض بنور ربها﴾ (٣٣) فيأتى ربنا فى اسمه النور فتشرق الأرض بنور ربها، وتعلم كل نفس بذلك النور ما قدمت وأخرت لآبها.

٥٤ - هو مثل الأشياء وليست الأشياء مثله إذا كان عينها وليست عينه فالله يضرب الأمثال لنفسه ولا تضرب له الأمثال فيقال الله فى خلقه مثل الملك فى ملكه ولا يقال مثل الملك فى ملكه مثل الله فى خلقه.

٥٥ - ﴿الأمرون بالمعروف﴾ (٣٤) أى: بالله فهو المعروف الذى لا ينكر حتى عند الكافرين.

٥٦ - قال أحد العارفين لتلميذه وقد رأى رجلاً سألته آخر بالله فأخذ يفتش فى كيس ليعطيه أصغر دنانيره، أتعلم يا بنى علام يفتش قال: لا، قال: فإنه يفتش على قدره عند الله فليكبر أو يصغر أو يعظم أو يحقر.

٥٧ - واعتصموا بحبل الله للعابدين السالكين، واعتصموا بالله للعارفين، فالعابد معتصم بالقرآن والعارف معتصم به القرآن.

٥٨ - قال الشيخ الأكبر: إن من عباد الله من يقبلهم الحجر وتطوف بهم الكعبة، ولقد رأيت ابن أبلج والكعبة تقبل رأسه ومن الناس من إذا صلى وسلم من صلاته ما تشتهى صلاته مفارقتها حتى يرفع بها إلى عليين.

٥٩ - الحس يدرك بالحس أى بالعين، والخيال بالخيال أى بالعقل، والغيب بالغيب أى بالقلب.

٦٠ - الرؤية والكلام لا يجتمعان فإذا أسمعك لم تشهد وإذا أشهدك لم تسمع.

٦١ - لا أحد يدخل على الحق ولأحد عليه حق.

٦٢ - هو مع الأشياء وليست الأشياء معه.

٦٣ - آدم هو مجموع العالم من حيث حقائقه فهو عالم مستقل وما عداه فإنه جزء من العالم.

٦٤ - قول الإنسان فى التشهد «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، يدل على أن الإنسان ينبغى أن يكون فى صلاته أجنبيا عن نفسه بربه.

٦٥ - فى أمة المختار من هو أفضل من أبى بكر وعمر مثل عيسى وموسى عليهما السلام فالكليم تمنى أن يكون من أمة رسول الله ﷺ فيضم سواده إلى سواد أمة رسول الله ﷺ فيكون رسول الله ﷺ أعظم تابعا.

٦٦ - ﴿يريد الله بكم اليسر﴾ (٣٥) أى: ترك المجاهدة لا ترك العمل، ومن العمال من يكون فى عملهم مشقة وهى المجاهدة ومنهم من لا يجدها فلا يكون صاحب مجاهدة.

٦٧- طهارة القلب مثل سجوده إذا تطهر وصح تطهيره
لا تنتقض طهارته أبدا.

٦٨- التجلى الظاهرى يورث الخشوع والخضوع وخمود الجوارح
والارتعاش، والتجلى الباطنى كصفات العبودية التى لا ينفك عنه
باطن المتطهر أبدا.

٦٩- يخرج العارف من كل شىء حتى عن خروجه فإنه شىء
ويخرج حتى عن معرفته بربه فإنها حادثة فيتصل الأزل بالأبد
ويظهر له الحى القيوم.

٧٠- المقام كل صفة يجب الرسوخ فيها ولا يصح التنقل عنها
كالتوبة، والحال كل صفة تكون فيها فى وقت دون وقت كالسكر
والمحو والغيبة والرضى أو يكون وجودها مشروطا بشرط فتتعدم لعدم
شرطها كالصبر مع البلاء والشكر مع النعماء.

ومن هذه المقامات ما يتصف به العبد فى الدنيا والآخرة
كالمشاهدة والجلال والجمال والأنس والهيبة والبسط، ومنها ما
يتصف به العبد لحين موته كالزهد والورع والتوبة والمجاهدة
والرياضة والتخلى والتعلى.

٧١- إذا سمع الشيطان الأذان يدبر وله ضراط حتى لا يشهد
للمؤذن إذ أن المؤذن يلزم كل من سمع صوته من رطب ويابس أن
يشهدوا له.

٧٢- يستحيل أن يجتمع الخلق والحق من جهة أبدا من حيث الذات لكن من حيث إن الذات منعوتة.

٧٣- اعلم أن للعقول حدا تقف عنده من حيث ما هي مفكرة لا من حيث ما هي قابلة.

٧٤- الذات يتقدم شهودها على العلم بها فتشهد ولا تعلم، والألوهية تعلم ولا تشهد فكل حكم يثبت في باب العلم الإلهي إنما هو للألوهية لا للذات، كان الله ولا شيء معه، فكان نسبة، والمتوجه على إيجاد كل ما سوى الله تعالى هي الألوهية.

٧٥- الجبر هو حمل الممكن على الفعل مع وجود الإبائية من الممكن فالجماد ليس بمجبور لأنه لا يتصور منه فعل مع ظهور الآثار منه.

٧٦- صفات الله كلها نسب وإضافات له لا أعيان زائدة إذ الكامل بالزائد ناقص.

٧٧- قولهم للألوهية سر لو ظهر وظهر بمعنى زال كما تقول ظهروا عن البلد أى زالوا عنه، أى لو ظهر سر الألوهية التي هي مرتبة الذات وليست الذات لبطلت الألوهية ولم يبطل كمال الذات.

٧٨- رؤية البصيرة علم ورؤية البصر طريق حصول علم.

٧٩- الأشاعرة خرجوا من التشبيه بالأجسام إلى التشبيه بالمعاني ومع ذلك تصوروا أنهم خرجوا من التشبيه.

٨٠ - الله تعالى لا يأمر بالفحشاء ولا يريدها ولكن قضاها وقدرها فكونها فاحشة ليس عينها بل هو حكم الله فيها وحكم الله في الأشياء ليس مخلوقا.

٨١ - الحُسْنُ والقبح ذاتي في الحسن والقبح ولكن منه ما يدرك حسنه وقبحه بالنظر ومنه ما لا يدرك إلا بالشرع ولا يلزم من الشيء القبيح أن يكون أثره قبيحا كحسن الصدق وأحيانا يكون أثره قبيحا، وسوء الكذب وأحيانا يكون أثره طيبا.

٨٢ - العدم هو الشر المحض الذي لا خير فيه، والوجود هو الخير المحض الذي لا شر فيه.

٨٣ - يجوز أن يقال الحق يجب له ويستحيل عليه ولا يجوز أن نقول الحق يجوز عليه كذا، ولكن نقول هذا الأمر جائز أن يكون كذا.

٨٤ - إنما كثرت المناسك رغبة في التماسك فإن لم تجدني هنا وجدتني هنا وإن احتجبت عنك هنا تجليت هناك.

٨٥ - يرجع تفاضل المساجد في وجود القلب لا في تضاعف الأجر وذلك ليس للتراب ولكن لمجالسة الأتراب أو همهم، ومن لا يجد الفرق في وجود قلبه بين السوق والمساجد فهو صاحب حال لا صاحب مقام ولا يشك أحد أنه وإن عمرت الملائكة جميع الأرض مع تفاضلهم في المعارف والرتب فإن أعلاهم رتبة وأعظمهم علما ومعرفة عمرة المسجد الحرام وقد طاف بهذا البيت مائة ألف وأربعة

وعشرون ألف نبي سوى الأولياء وما من نبي ولا ولي إلا وله همة متعلقة بهذا البيت وهذا البلد الحرام.

فمعرفة الأماكن والإحساس بالزيادة والنقص من تمام تمكن معرفة العارف وعلو مقامه.

٨٦ - قال تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ (٣٦) فكان عرضاً لا أمراً وإلا أطاعوه.

٨٧ - الملائكة أرواح منفوخة في أنوار، والجان أرواح منفوخة في رياح، والناس أرواح منفوخة في أشباح.

٨٨ - إبليس لم يكن أول الجن ولكنه كان أول شقى منهم ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ (٣٧).

٨٩ - حياة الأرواح حياة ذاتية.

٩٠ - لما كان الحق تعالى مجيباً لعبده المضطر إذا دعاه فيما يدعوه به ويسأله منه صار المضطر كالمصرف.

٩١ - قال إبراهيم عليه السلام ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ...﴾ (٣٨) ولم يقل يجوعني ولم يقل أمرضني ولكن قال ﴿يُطْعِمْنِي وَيَسْقِينِي وَإِذَا مَرَضْتُ﴾ (٣٩) والخضر عليه السلام أضاف خرق السفينة إليه وأضاف قتل الغلام إليه وإلى ربه لما فيه من الرحمة بأبويه وأضاف الجدار إلى ربه لما فيه من الصلاح، وقال أيوب عليه السلام ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٤٠) ولم يقل ارحمني أدبا مع الله،

وقالت الجن ﴿وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا﴾ (٤١) فعند الشر جعلوا الفعل مبنيا للمجهول وعند الخير أسندوه إلى الله تعالى، وقال رسول الله ﷺ «زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغاربها، ولم يقل رأيت ولا يجوز الجمع بين الله وبين أحد من خلقه فى ضمير واحد إلا بإذن فلما سمع رسول الله ﷺ خطيبا يقول ومن يعصهما قال «بئس الخطيب أنت»، وقد قال رسول الله ﷺ «ومن يعصهما فلا يضر إلا نفسه، ولكنه بإذن وقال تعالى ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ (٤٢) أى لم يسبق البصر البصيرة بل استوى الظاهر والباطن والقلب مع القالب وهنا ظهر الفرق بين الحبيب والكليم، الكليم قال ﴿أرنى أنظر إليك﴾ (٤٣) والحبيب قال «رأيت ربى» وأدب عيسى عليه السلام قال ﴿إن كنت قلته فقد علمته﴾ وقالوا ترك الأدب مع الوقت من علامة شدة المقت.

٩٢- واعلم أن الأشخاص لم تخلق من عدم ولكن من وجود فخلق آدم من تراب وخلق بنى آدم من نطفة حيث عدم موجود ولكن ليس له عين ظاهرة.

٩٣- أهل الجنة فى الجنة يقولون للشئء كن فيكون.

٩٤- من شهد بقلبه، ولم يتلفظ بلسانه فهو منافق فى عالم الشهادة كما أن المنافق فى عالم الظاهر يشهد بلسانه دون قلبه، كمن هو مؤمن بالصلاة ولا يصلى والمنافق فى الظاهر غير مؤمن بالصلاة ويصلى.

٩٥- الصراط الحسى ينقلب معنى فيكون دقيقا فى حق قوم وعريضا فى حق آخرين منيرا فى حق قوم مظلما فى حق آخرين، والكلاليب والخطاطيف والحسك هى من صور أعمال بنى آدم تمسك بهم فلا ينهضون إلى الجنة ولا يقعون فى النار حتى تدركهم الشفاعة.

٩٦- من تجاوز هنا تجاوز الله عنه هناك، ومن أنظر معسرا أنظره الله هناك، ومن عفا عفا الله عنه، ومن استقصى حقه هنا من العباد استقصى الله حقه منه هناك، ومن شدد هنا شدد الله عليه هناك، وإنما هى أعمالكم ترد عليكم فالتزموا مكارم الأخلاق فإن الله غدا يعاملكم بما عاملتم به عباده.

٩٧- يدعى الناس يوم القيامة إلى السجود وهو ما بقى من التكليف فى الآخرة.

٩٨- ﴿ظالم لنفسه﴾^(٤٤) ظلم نفسه لنفسه حتى يسعدها فى الآخرة فلم يعطوا نفوسهم حقها فى الدنيا.

﴿مقتصد﴾ يعطى لنفسه حقها من راحة الدنيا ليستعين بذلك على خدمة الله.

﴿سابق بالخيرات﴾^(٤٥) المبادر إلى الأمر قبل دخول وقته.

٩٩- إن من عباد الله من كفاه الله مؤنة المعرفة فكشف له عنه فعرفه، وهو الذى سبق فتحه على سلوكه وهو أشرف السالكين إذ كل سالك غايته المعرفة وهى بداية هذا السالك.

١٠٠ - أهل الفناء إن نطق أهلك وإن سكت هلك، ألا ترى القاتل نفسه فى النار ولا كفارة له والقاتل غيره فى المشيئة وله كفارة.

١٠١ - المؤمن من يرى الأشياء بنور الحق والعارف يراها بالحق.

١٠٢ - من تحقق بالحق لا يتصف بصدق ولا إخلاص ولا حال ولا مقام.

١٠٣ - ﴿زين للناس حب الشهوات﴾ (٤٦) إذا تحرك إليها بطبعه كانت زينة الحياة الدنيا وذم بها، وإذا تحرك إليها بأمر الله كانت زينة الله تعالى وحمد بها.

١٠٤ - ما ظهر إلا بك وأنت أخفيته وإن زلت فلن يظهر فلا بد من فنائك عنك لافناء عينك.

١٠٥ - الرجل من يمر على الأوقات ولا تمر الأوقات عليه فيكون حاكما لا محكوما عالما لا معلوما.

فمن خرج من رق الأوقات كُلم من غير ميقات أى خرج من عبوديته للوقت بمراقبة أنفاسه فصارت فيه المراقبة ملكة فالواردات ترد عليه فى أى وقت.

١٠٦ - العالم يخشى الله والملك يخاف الرب فبين الإنسان والملك ما بين الخشية والخوف وما بين الألوهية والربوبية.

١٠٧ - الذى منع الخلق من رؤية الحق كونهم فى قبضته فهم فى ظلمة القبضة لا يبصرون وإذا بسط يده رأوه .

١٠٨ - إن من عباد الله من لا يستره الحجاب ومع ذلك لا يعرف ما فى جيبه .

١٠٩ - ما كان مجتمعاً فى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرق فى أمته وراثته له فهو مغصوم وكذلك أمته معصومة لاتجتمع على خطأ .

١١٠ - اسم الدهر هو الذى نشأ عنه الزمان وليس هو الزمان .

١١١ - اعلم أن غالب كلام أهل الله مؤول ولا يقصدون ظاهره .

قال الشيخ الأكبر مرة :

يا من يرانى ولا أراه كم ذا أراه ولا يرانى
فقال له أحد العلماء وكيف ذلك يا سيدى فأنشأ يقول :

يا من يرانى مجرماً ولا أراه آخراً
كم ذا أراه منعماً ولا يرانى لائماً

١١٢ - الله هو المعطى الآخذ فالصدقة تقع بيد الرحمن قبل يد العبد فإنه تعالى يأخذ الصدقات ويد السائل صورة حجابية على يد الرحمن .

١١٣ - ﴿أقمن زين له سوء عمله فرآه حسناً﴾ (٤٧) فما رأى من عملٍ سوءٍ أو عملٍ سوءاً وإنما رأى الزينة التى زين له بها فإذا

كان يوم القيامة ورأى قبح العمل فر منه فيقال هذا الذى كنت تحب
وتتعشق به وتهواه فيقول المؤمن: لم يكن حين أحببته بهذه الصورة
أين الزينة التى كانت عليه وحببته إلىّ فإنى ما تعلقت إلا بالزينة
لابه لكن لما كان محلها كان حبى له بحكم التبع فيقول الله لهم
صدق عبدى لولا الزينة ما استحسنته فردوا عليه زينته فيبدل الله
سوءه حسنا.

١١٤ - من أسمائه تعالى:

المُسعر: لقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله هو المسعر»

الدهر: لقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله هو الدهر»

ال خليفة الصاحب: «أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل»

المستحى: «إن الله ليستحى من ذى الشبهة»

الطيب: «إن الله طيب»

الجامع: «إن الله جامع الناس»

الوتر: «إن الله وتر»

الجميل: «إن الله جميل»

الفرد - الشافى - الأقرب: ﴿ونحن أقرب﴾ (٤٨)

١١٥ - لولا دعاوى ما خلقت المهاوى.

١١٦ - «أنا جليس من ذكرنى، لها لذة عظيمة فإذا خالطتها معرفة ما يستحقه الله من الهيبة والحياء ذهبت اللذة ولذلك تجد المريد فى أول طريقه يرى من الأنوار لاستحضاره مستحسناً عمله، أما العالمون العارفون فينامون على رؤية تقصير وتفريط لما يستحقه فلا يرى فى النوم إلا كل ما يهمهم من ظلمات ورعد وبرق كل أمر مخوف فيحن لبدايته ليستريح مما هو فيه من علو مقامه.

١١٧ - «شرع الله الجهر فى الصلاة والسر حتى يتحقق قوله «وإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير منهم» حتى يجمع المصلى بين الحسينيين.

١١٨ - «الصلاة نور، أى كل عبادة مشروعة مرتبطة باسم إلهى أو حقيقة إلهية، فيناجى الله تعالى من اسمه النور لامن اسم آخر.

١١٩ - «النور ما له سوى تنفير الظلمة وبالصياء يقع الكشف فإن الكشف يكون بصياء النور لا بالنور.

١٢٠ - «الله تعالى أوسع من أن يتجلى على عبيدين بصفة واحدة أو بصفة على عبد مرتين فليس فى الوجود شىء مكرر بل شىء له مرتبة مخصوصة به وصفة من صفات الله تعالى يرجع بها إليه واسم حاكم له وعليه.

١٢١ - «تسرت عن دهرى بظل جناحه فعينى ترى دهرى وليس يرانى
فلو تسألوا الأيام ما اسمى مادرت وعن موضعى لم تدر أين مكانى

١٢٢ - الأسماء والصفات ذا نسبت إلى الله فهي قديمة، وإذا نسبت إلينا فهي محدثة.

١٢٣ - ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾^(٤٩) الكامل يعمل بأمر الله، والعارف يعمل بالله مطلقاً، فذلك بسم الله منه بمنزلة: كن من الله فإذا كمل قال كن بلا بسمة.

١٢٤ - ﴿الرحمن على العرش استوى﴾^(٥٠) مثله استواء الروح على عرش الجسم.

١٢٥ - ﴿سخر لكم ما فى السموات والأرض جميعاً منه﴾^(٥١) فالسماوات بما أظلت، والأرض بما أقلت مسخرة لك، لكونك أعز قدراً وأعظم فخراً، ولهذا تبنى السموات والأرض يوم القيامة وأنت باق إلى أبد الآبدين.

١٢٦ - إبليس أول من خالف الأمر، وآدم عليه السلام أول من خالف النهى ولكن إبليس امتثل الأمر فيما يشقيه ﴿استفزز من استطعت منهم﴾^(٥٢).

١٢٧ - لقد اختص الله تعالى الإنسان بأن جعله الوحيد الذى يستطيع تلاوة كتابه. أما الجن والملائكة فما ورد عنهم إلا السماع فهم لا يستطيعون تلاوته ولكن يحبون سماعه ويفهمونه ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا﴾^(٥٣).

ولذا اختص جبريل عليه السلام وحده من الملائكة بذلك فكان ذلك له شرف عليهم.

١٢٨ - البصيرة كالبصر يجب غضها عن مساوي الناس ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ (٥٤).

١٢٩ - الفضل فضلان: فضل عملي وفضل ذاتي، فمن الفضل العملي أن نقول أن أحدا لن يبلغ مرتبة الصحابة رضوان الله عليهم لأن أي عمل نعمله إنما هو في صحيفتهم إذ أنهم سبب وصوله إلينا، أما الفضل الذاتي فلا حدود له يعطيه الله لمن يشاء وإن تأخر زمانه.

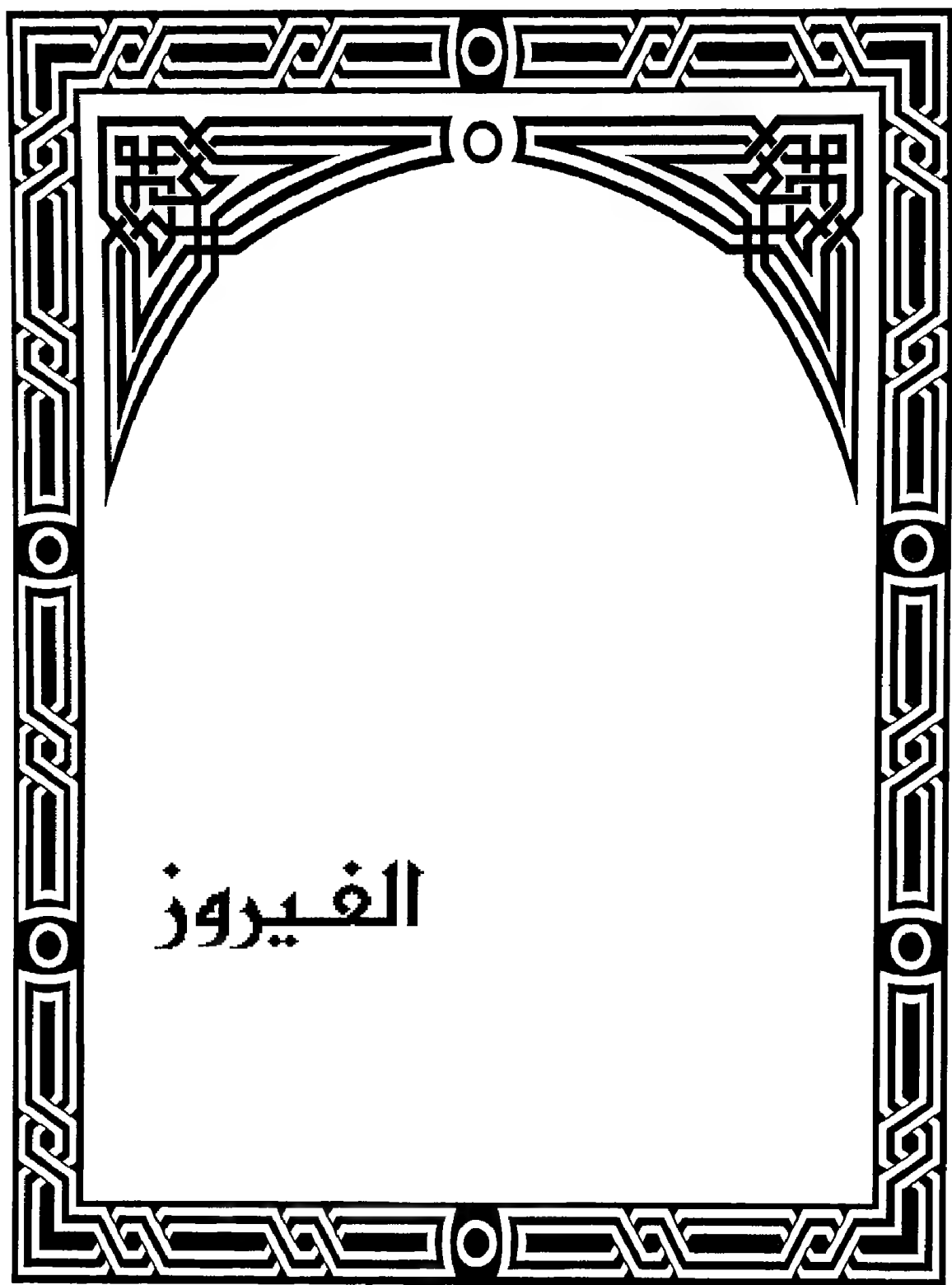
١٣٠ - العبد يصل بطاعته إلى الجنة وبأدبه إلى الله.

١٣١ - من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض.

١٣٢ - ﴿خلق الموت والحياة﴾ (٥٥) أمات نفوس قوم بالمجاهدات وأحيا أرواحا بالمشاهدات.

الهوامش

- (١) سورة الماعارج الآية ٢٣ .
- (٢) سورة الرحمن الآية ٢٩ .
- (٣) سورة القصص الآية ٨٨ .
- (٤، ٥) سورة الكهف الآية ١١٠ .
- (٦) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .
- (٧) سورة المائدة الآية ٩٩ .
- (٨) سورة النجم الآية ٩ .
- (٩) سورة الزخرف الآية ٧١ .
- (١٠) سورة الشعراء الآيتان ١٩٣، ١٩٤ .
- (١١) سورة الأعراف الآية ١٧٩ .
- (١٢) سورة الكهف الآية ٢٤ .
- (١٣) سورة البلد الآية ٤ .
- (١٤) سورة الفاتحة الآية ١ .
- (١٥) سورة الأعراف الآية ١٥٦ .
- (١٦) سورة المائدة الآية ٨٣ .
- (١٧) سورة المائدة الآية ٨٥ .
- (١٨) سورة القيامة الآية ٢٣ .
- (١٩) سورة الواقعة الآية ٨٤ .
- (٢٠) سورة النساء الآية ٨٠ .
- (٢١) سورة الرعد الآية ١١ .
- (٢٢) سورة طه الآية ٤٤ .



الفيروز

- (٢٣) سورة الجاثية الآية ٢٤ .
- (٢٤) سورة ق الآية ٢٢ .
- (٢٥) سورة الأحزاب الآية ٧٢ .
- (٢٦) سورة النور الآية ٢٤ .
- (٢٧) سورة فصلت الآية ٢١ .
- (٢٨) سورة النساء الآية ٩٣ .
- (٢٩) سورة عبس الآية ٢٢ .
- (٣٠) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .
- (٣١، ٣٢) سورة طه الآيات ١١٧ و ١٢٠ .
- (٣٣) سورة الزمر الآية ٦٩ .
- (٣٤) سورة التوبة الآية ١١٢ .
- (٣٥) سورة البقرة الآية ١٨٥ .
- (٣٦) سورة الأحزاب الآية ٧٢ .
- (٣٧) سورة الكهف الآية ٥٠ .
- (٣٨، ٣٩) سورة الشعراء الآيات ٧٨، ٧٩، ٨٠ .
- (٤٠) سورة الأنبياء الآية ٨٣ .
- (٤١) سورة الجن الآية ١٠ .
- (٤٢) سورة الحج الآية ١٧ .
- (٤٣) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .
- (٤٤، ٤٥) سورة فاطر الآية ٣٢ .
- (٤٦) سورة آل عمران الآية ١٤ .
- (٤٧) سورة فاطر الآية ٨ .
- (٤٨) سورة ق الآية ١٦ .
- (٤٩) سورة القيامة الآية ١٦ .
- (٥٠) سورة طه الآية ٥ .
- (٥١) سورة الجاثية الآية ١٣ .
- (٥٢) سورة الإسراء الآية ٦٤ .
- (٥٣) سورة الجن الآية ١ .
- (٥٤) سورة النور الآية ٣٠ .
- (٥٥) سورة الملك الآية ٢ .

١- من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل.

فالعمل عمل الإسلام وعمل الإيمان وعمل الإحسان، أو عمل العبادة وعمل العبودية وعمل العبودة، أو عمل الشريعة وعمل الطريقة وعمل الحقيقة. فالشريعة: أن تعبده، والطريقة: أن تقصده والحقيقة: أن تشهده. ومن ذلك على العمل فقد أتعبك ومن ذلك على الدنيا فقد غشاك، ومن ذلك على الله فقد نصحك. وقوله تعالى (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) .. شريعة، وقول رسول الله ﷺ (لن يدخل أحدكم الجنة بعمله) .. حقيقة، ومن بلغ حقيقة الإسلام لم يقدر أن يفتر عن العمل، ومن بلغ حقيقة الإيمان لم يقدر أن يلتفت إلى العمل بسوى الله، ومن بلغ حقيقة الإحسان لم يقدر أن يلتفت إلى أحد سوى الله. فعلمة الاعتماد على الله أن لا ينقص رجاءه إذا وقع فى العصيان ولا يزيد رجاءه إذا صدر منه إحسان. فلا يعظم خوفه إذا صدرت منه غفلة كما لا يزيد رجاءه إذا وقعت منه يقظة فهذا قد استوى خوفه ورجاءه على الدوام لأن خوفه ناشئ عن شهود الجلال ورجاءه ناشئ عن شهود الجمال، وجمال الحق وجلاله لا يتغيران بزيادة ولا نقصان.

٢- إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك فى الأسباب من الشهوة الخفية وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك فى التجريد انحطاط عن الهمة العلية.

تجريد الظاهر: هو ترك كل ما يشغل الجوارح عن طاعة الله

تجريد الباطن: هو ترك كل ما يشغل القلب عن الحضور مع الله .

والذى يقتضيه الحق منك أن تمكث حيث أقامك حتى يكون الحق تعالى هو يتولى إخراجك كما تولى إدخالك وليس الشأن أن تترك السبب بل الشأن أن يتركك السبب . قال بعضهم تركت السبب كذا وكذا مرة فعدت إليه فتركنى السبب فلم أعد إليه .

والتجريد من غير إذن سبب، والسبب مع الإذن تجريد، ولا يتجرد المرید فى حالة القوة، فإنه إن أصابه ضعف رجع عما كان فيه وقد يسئ الظن فيقول كلنا دخلنا البلد وما رأينا شيئاً .

وهذا الكلام كله مع السائرين أما الواصلون كأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم متمكنون لا تؤثر فيهم الأسباب، فهم رضى الله عنهم مأخوذون عن أنفسهم يقبضون من الله ويدفعون بالله .

٣- سوابق الهم لا تخرق أسوار القدر

فالمرید الصادق إذا كان فانيا فى الاسم مهما اهتم بالشئ كان، وإن كان فانيا فى الذات تكون الشئ قبل أن يهتم به .

قال بعض العارفين: نحن إذا قلنا شيئاً فخرج فرحنا مرة واحدة وإذا لم يخرج فرحنا عشر مرات .

٤- أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك فلا تقم به أنت لنفسك .

التدبير ثلاثة أنواع: مذموم ومطلوب ومباح .

التدبير المذموم: الذى يصحبه الجزم والتصميم سواء أكان دينيا أو دنيويا .

التدبير المطلوب: تدبير ما كلفت به من الواجبات وما نذبت إليه من الطاعات مع تفويض المشيئة والنظر إلى القدرة .

التدبير المباح: تدبير أمر دنيوى مع التفويض والنظر، وعليه يخرج قوله ﷺ «التدبير نصف المعيشة» .

فالمذموم ما شغلك عن الله والمحمود ما قريك إلى الله .

قال أحدهم، العلم كلمتان: لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت .

٥- اجتهدك فى ما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك .

فإذا أراد الله فتح بصيرة العبد أشغله فى الظاهر بخدمته وفى الباطن بمحبته حتى يسوى نور البصيرة على البصر فيغيب نور البصر فى نور البصيرة فلا يرى إلا ما تراه البصيرة .

وإذا أراد خذلان عبد أشغله في الظاهر بخدمة الأكوان وفي الباطن بمحبتها حتى ينطمس نور بصيرته .

٦- لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبا ليأسك فهو ضمن لك الإجابة فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك .

اسمه تعالى القيوم وهو مبالغة في القيام بأمور خلقه من عرشه إلى فرشه .

يقول أحد العارفين: الناس تقضى حوائجها بالحرص فيها والجرى عليها ونحن نقضى حوائجنا بالزهد فيها والاشتغال بالله عنها .

قال تعالى: ﴿ وريك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ﴾^(١) ما هنا موصولة أى ويختار الذى لهم فيه خيرتهم .

من لم يكن فى دعائه تاركا لاختياره راضيا باختيار الله فهو مستدرج ممن قيل له ﴿ اقضوا حاجته فإنى أكره أن أسمع صوته ﴾ .

فمن كان مع اختيار الحق له كان مجابا، وإن لم يعط، وإن كان لابد من الدعاء فليكن دعاؤك عبودية لا طلبا للحظ، وإذا رفع العبد يديه داعيا قال له الله تعالى لبيك عبدى وكفى بها إجابة .

واعلم أن لذة مناجاة الله أعظم من لذة الإجابة، واعلم أن الدعاء الذى يحبه الله هو مدحه والثناء عليه فهو لب الدعاء وليس طلب الأغراض والأعراض .

٧- لا يشككك في الوعد عدم وقوع الموعود وإن تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا في بصيرتك وإخمادا لنور سريرتك.

فقد يكون مترتبا على أسباب وشروط غيبية أخفاها الله تعالى عنك فلما أخبر يونس عليه السلام قومه بوقوع العذاب وفر عنهم وكان ذلك متوقفا على عدم إسلامهم، فلما أسلموا تأخر عنهم العذاب.

وقوله تعالى لنوح ﴿وَأَهْلِكَ﴾^(٢) فقال نوح عليه السلام ﴿إِنْ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾^(٣) ومع ذلك غرق مع من غرق فأخبره تعالى بأنه كان متوقفا على صلاحهم.

ولذلك قال العبد الصالح عليه السلام ﴿ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما﴾^(٤)

ويوم بدر حين دعا النبي ﷺ حتى سقط الرداء عن كتفيه لعدم وقوفه مع ظاهر الوعد.

وقد يطلعك الله على القضاء ولا يطلعك على اللطف فيه حتى أنه ينزل قضاء وكأنه لم ينزل.

٨- إذا فُتِحَ لك باب من التعرف فلا تبال معها إن قل عملك فإنه ما فتحه لك إلا وهو يريد أن يتعرف إليك، ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك، والأعمال أنت مهديها إليه وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك.

إذا طرقت بابي من الدهر فاقه فتحت لها باب المسرة والبشر
وقلت لها أهلا وسهلا مرحبا وقتك عندي أحظى من ليلة القمر
والتعرفات إما جمالية وإما جلالية، فالتعرفات الجمالية أكثر من
أن تحصى ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾^(٥)

أما التعرفات الجلالية فثلاثة أقسام:

قسم عقوبة وطرده: فهو للذي يسئ الأدب فيعاقبه الحق تعالى
ويكون صاحبه شخصا قانطا منكرا فيزداد طردا وبعدا.

وقسم تأديب وتنبيه: فهو للذي يسئ الأدب فيؤدبه الحق تعالى
فينبهه لسوء أدب وينهض من غفلته فهي في حقه نعمة في مظهر
نقمة.

وقسم زيادة وترق: فهو للذي تنزل به هذه التعرفات من غير
سبب فيعرف فيها مواد الحق ويتأدب معها ويرقى بها.

٩- ادفن وجودك في أرض الخمول فمانبت مما لم
يدفن لا يتم نتاجه.

كما لا يصح دفن الزرع في أرض رديئة لا يجوز الخمول بحالة
غير مرضية، فالقاتل يقتل نفسه بأدنى شئ من المباح والفقير الكذاب
يقع في المحرم ولا يقتلها.

فليس الخمول هو لزوم البيوت والفرار إلى الجبال فذلك هو عين
الظهور، ولكن الخمول هو تحقق النفس بوصفها الأدنى، وهو الذل
والفقر والجهل والضعف.

أما الإخلاص فهو على ثلاثة أنواع:

إخلاص العوام: وهو إخراج الخلق من معاملة الحق مع طلب الحظوظ الدنيوية والأخروية.

إخلاص الخواص: إخراج الخلق من معاملة الحق مع إخراج الحظوظ الدنيوية.

ومادام العبد يهاب الناس ويراقبهم فإنه لا يتحقق إخلاصه أبداً، فلا يتحقق الإخلاص حتى يسقط الناس من عينك وتسقط من أعينهم.

ومن أحب الظهور فهو عبد الظهور، ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء، وعبد الله سواء عليه أظهره أم خفاه، ولا يتحقق الإخلاص إلا لأهل الحضرة، وآفة الإخلاص الرياء وهو رؤية أن العطاء والمنع والضرر والنفع من الخلق، أو يعمل لله ويرجو على عمله الثواب ورفع العقاب، وهذا النوع جيد من وجه معلول من وجه آخر، وعند العارفين رياء وعند عامة الناس إخلاص.

قال تعالى ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(١) هو العمل النسالم من الرياء ظاهراً وباطناً بحيث لا يريد عامله حظاً دنيوياً ولا أخروياً، فالعمل المشترك لا يقبله، والقلب المشترك لا يقبل عليه والقلب المشترك الذي فيه إما حب الدنيا وإما حب الآخرة وإما حب الخصوصية.

والحضرة هي حضور القلب مع الرب وهي ثلاثة مراتب.

حضرة القلوب، للسائرين أهل المراقبة وحضرة الأرواح، للمستشرقين أهل المشاهدة وحضرة الأسرار، للمتمكنين أهل المكالمة. وهي مقدسة لا يدخلها إلا المتطهرين من جنبات الغفلات ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ أى بحب الدنيا وشهود السوى.

توضاً بماء الغيب إن كنت ذا سر وإلا تيمم بالصعيد وبالصخر وهو معنى قوله تعالى ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾^(٧) شبه العلم النافع بالمطر.

فإن لم تقدر على الطهارة الباطنية فعليك بطهارة الظاهر، وإن لم تقدر على طهارة المقربين فعليك بطهارة أهل اليمين، وإن لم تقدر على طهارة أهل المحبة فعليك بطهارة أهل الخدمة، فطهارة أهل المحبة الفكرة والنظرة، وطهارة أهل الخدمة بالمجاهدة والمكابدة.

وقدم إماماً كنت أنت إمامه وصل صلاة الظهر فى أول العصر أى قدم الشرع والعمل به بعد ما كنت تقدم هواك ومعناه علامة النهاية والرجوع إلى البداية أى تطهروا الطهارة الأصلية التى صاحبتم فى بداية ظهوركم إلى الوجود وصلوا الصلاة الدائمة التى كنتم تصلونها فى بداية ظهور أحدكم فى العصر الأول.

فتلك صلاة العارفين بربهم فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر

أى: فانضح بر شريعتك ببحر حقيقتك حتى تصير الشريعة هي عين الحقيقة والحقيقة هي عين الشريعة.

١٠- الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه ومما يدل ذلك على وجود قهره سبحانه أن حجبك عنه بما ليس بموجود معه، فالحق ليس بمحجوب عنك إنما المحجوب أنت عن النظر إليه، إذ لو حجبته شئ لستره ما حجبته، ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر لشئ فهو له قاهر ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾^(٨).

فمن مظاهر قهره احتجابه في ظهوره، وظهوره في بطونه، وبطونه في ظهوره، فاحتجب بلا حجاب واقترب بلا اقتراب، بعيد في قربه قريب في بعده، احتجب عنهم بالوهم والوهم أمر عدمي مفقود، فما حجبته إلا شدة ظهوره، فانفرد الحق بالوجود الذاتى وليس مع الله موجود ﴿كل شئ هالك إلا وجهه﴾^(٩) ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾^(١٠) ﴿وإذا قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾^(١١) ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾^(١٢) ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾^(١٣).

«مرضت فلم تعدنى..» «وأنا الدهر...».

أفضل كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شئ ما خلا الله باطل .
فكل هذا أدل دليل على أن هذه الهياكل والأشخاص خيالات لا حقيقة لها فهي أشبه الظلال.

قال تعالى ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق﴾^(١٤) أى: تدخل فيه بالله وتخرج منه بالله.

فإذا كان أعزب لا يتمنى الزواج وإذا كان متزوجاً لا يتمنى الفراق وإذا كان غنيا لا يتمنى الفقر ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾^(١٥).

١٤- طلبك منه اتهام له وطلبك له غيبة منك عنه وطلبك لغيره لقلة حيائك منه وطلبك من غيره لوجود بعدك منه. وفي الحديث «من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين».

١٥- ما من نفس تبديه إلا وله قدر فيك يمضيه. ١٦- ما توقف مطلب أنت طالبه بريك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك.

فالعامل بالله يوجب القرية والعمل ، يوجب المثوبة، والعمل لله من أهل قول ﴿إياك نعبد﴾^(١٦).

والعمل بالله من أهل قول ﴿واياك نستعين﴾^(١٧). ١٧- تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من العيوب .

والعيوب إما عيوب النفس، وهو تعلقها بالشهوات الجسمانية، وإما عيوب القلب، وهو تعلقه بالشهوات القلبية، وإما عيوب الروح، وهو تعلقها بالخطايا الباطنية طلباً للكرامات.

١١- يا عجباً كيف يظهر الوجود في العدم! أم كيف
يثبت الحادث مع من له وصف القدم!

قال رجل بين يدي الجنيد الحمد لله ولم يقل رب العالمين، فقال
له الجنيد كمل به أخى فقال الرجل: وأي قدر للعالمين حتى يذكروا
معه فقال الجنيد قل يا أخى فإن الحادث إذا قرن بالقديم تلاشى
الحادث وبقي وصف القدم فالاتحاد محال.

فالناس كلهم يشاهدون ولا يعرفون وكلهم في البحر ولا يشعرون
وإنما حجبك عنه توهم موجود معه.

١٢- ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يظهر في
الوقت غير ما أظهره الله فيه.

عن عبد الله بن عباس عنهما قال: لأن ألحس جمرة أحرقت
ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إلى من أن أقول لشيء كان ليته لم
يكن أو لشيء لم يكن ليته كان.

وكان النبي ﷺ يقر الناس على ما أقامهم الله فيه في الوقت
ويرغبهم فيه فإذا نظرت إلى أحاديث الذكر قلت لا أفضل منه وإذا
نظرت إلى أحاديث العلم قلت لا أفضل منه وإذا نظرت إلى أحاديث
الكسب والسعي على العيال قلت لا أفضل منه، فإنها لا أفضل منها
في حق أهلها.

١٣- لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما
سواها فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج.

١٨- لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله.
 شرط الشيخ أربعة: علم صحيح وذوق صريح وهمة عالية وحالة مرضية.

١٩- ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب.

قال بعضهم: أفضل العبادة ترك الدنيا لأهلها.

٢٠- ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع.

فليس يدل على فهم العبد كثرة علمه ولا مداومة على ورده إنما يدل على نوره وفهمه غناه بربه.

وصاحب الطمع لا يشبع أبداً ألا ترى أن حروفه كلها مجوفة، والقلب السليم هو الذي لا تعلق له بشئ دون الله .

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾^(١٨) فلا يأويك إليه إلا إذا صح يتمك مما سواه، وفي الحديث: «إن الله وتر يحب الوتر، أي القلب لا يشفع بشئ من الأغيار.

٢١- ما قadak شئ مثل الوهم.

وهم العوام حيث قادهم إلى التعلق بالخلق، وهم الخواص حيث قادهم إلى ثبوت الآثار والوقوف مع الأنوار، أما خواص الخواص فلم يحجبهم عن الله شئ حتى قال قائلهم: لو كلفت أن أرى غيره لم أستطع فإنه لا غير معه حتى أشهده معه.

٢٢- من لم يقبل على الله بملاطفات الإحسان قيد إليه بسلاسل الامتحان.

فالناس ثلاثة، أما أهل الشمال فلا كلام عليهم وأما أهل اليمين فلهم إقبال بوجه ما. لكن لا خصوصية لهم لأنهم قنعوا بظاهر الشريعة ولم يلتفتوا إلى سلوك طريقة ولا حقيقة ووقفوا مع الدليل والبرهان ولم ينهضوا إلى مقام الشهود والعيان، وأما السابقون فقد أقبلوا على الله متوجهين إليه طالبين الوصول إلى معرفته وهم في ذلك قسمين، إما أصحاب بلاء وامتحان وإما أصحاب لطف وإحسان.

وقد مدح الله الغنى الشاكر فقال: ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب﴾^(١٩) ومدح الفقير الصابر فقال: ﴿إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب﴾^(٢٠) فمدحها بمدح واحد فعلم أن الفقير الصابر هو الغنى الشاكر لأن الغنى والفقير هو غنى القلب وفقره ولا عبرة بما في اليد.

خرج الحسن بن علي يوما في أبهى زينة فقابله يهودى رث الهيئة عليه أثر الفقر فقال له أما يقول جدك: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر». قال: نعم قال: فمالى أراك وأنت تزعم أنك مؤمن فى هذه الحال وأنا بهذا الحال فقال له الحسن عليه السلام لو رأيت ما أعد الله لنا فى الآخرة من الخير والكرامة لعلمت أننا اليوم فى سجن ولو قارنت ما أعد الله لك من العذاب لعلمت أن ما أنت فيه اليوم بالنسبة له إنما هو جنة.

فإنما يقال للمريد وما تلك بيمينك أيها المريد فيقول دنيای أعتمد عليها فيقال: ألقها من يدك فإذا هي حية كانت تلدغه وهو لا يشعر فإذا آيس منها واستأنس بالله قيل له خذها ولا تخف لأنك تأخذها بالله.

قالوا: من لم يعرف قدر النعم بوجودها عرفها بفقدانها.

٢٣- إذا رأيت عبدا أقامه الله بوجود الأوراد وأدامه عليها مع طول الإمداد فلا تستحقرن مامنحه مولاه لأنك لم تر عليه سيما العارفين ولا بهجة المحبين فلولوا وارد ماكان ورد .

أى: إذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى فى الصلاة والصيام والذكر وأدامه عليها مع تقويته فى الباطن وصرف الشواغل فى الظاهر لكنه لم يفتح عليه فى علم الأنواق والقلوب فلا تستحقرن حاله.

٢٤- قلما تأتى الواردات الإلهية إلا بغتة صيانة لها لئلا يدعيها العباد بوجود الاستعداد.

٢٥- الرجاء ما قارنه العمل وإلا فهو أمنية.

٢٦- لا صغيرة إذا قابلك عدله، ولا كبيرة إذا واجهك فضله.

٢٧- بسطك كى لا يبقيك مع القبض وقبضك كى لا يتركك مع البسط وأخرجك منهما كى لا تكون لشيء دونه.

٢٨- ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك.

فربما أعطاك ما تشتهيهِ النفوس فمنعك حضرة القدوس، وربما أعطاك متعة الدنيا وزهرتها فمنعك جمال الحضرة وبهجتها، وربما

أعطاك قوت الأشباح فمنعك قوت الأرواح، وربما أعطاك القطبانية فمنعك التمتع بشهود الفردانية، ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾ (٢١)

٢٩- متى فتح لك باب الفهم فى المنع عاد المنع وهو عين العطاء.

٣٠- إذا أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن بعزيفى .

٣١- العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله إحسان.

قال سيدى عبد السلام بن مشيش رحمته الله اهرب من خيرهم أكثر من أن تهرب من شرهم فإن خيرهم يصيبك فى قلبك وشرهم يصيبك فى بدنك ولعدو تصل به إلى ربك خير من حبيب يقطعك عن ربك، ولذلك قال رسول الله ﷺ «إذا أسدى إليكم أحد معروفا فكافئوه، أى لتسقطوا منه عليكم

٣٢- كفى من جزائه إياك على الطاعة أن رضيك لها أهلاً.

٣٣- ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح عليك القبول وربما قضى عليك الذنب فكان سبب الوصول.

٣٤- متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك.

قال رسول الله ﷺ «من أعطى الدعاء لم يحرم الإجابة».

٣٥- ليخفف ألم البلاء عنك علمك بأنه سبحانه وتعالى هو المبتلى لك فالذى واجهتك منه الأقدار هو الذى عودك حسن الاختيار.

قال سرى رضي الله عنه خاطبنى ربى فقال يا سرى خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتى فخلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم وبقي معى العشر فخلقت الجنة فهرب منى تسعة أعشار العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة أعشار عشر العشر فقلت للباقيين معى لا الدنيا أردتم ولا الآخرة أخذتم فماذا تريدون؟ قالوا إنك تعلم ما نريد فقلت إنى مسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم ما لا تقوم له الجبال الرواسى أتصبرون قالوا: إن كنت أنت المبتلى فافعل ما شئت، هؤلاء عبادى حقا.

٣٦- من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره.

٣٧- سبحانه من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وظهر بعظمة الربوبية فى إظهار العبودية

قال أبو العباس المرسى رضي الله عنه لو كشف عن نور الولي لعبد من دون الله، فالحلاج لما تجلى له هذا النور قال سبحانه سبحانى فقتل فمن لطفه تعالى أن ستر هذا النور.

٣٨- لا تطالب ربك بتأخر مطلبك ولكن طالب بتأخر أدبك.

٣٩- ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه.

أى ليس كل من ثبت تخصيصه بالكرامات كمل تخليصه من العوائد والشهوات وإنما تأتيه الكرامة إنهاضاً له على العمل أو اختباراً له يقف معها، أو زيادة له فى يقينه أو يقين الغير، والقاعدة تقول المزية لا تقتضى الأفضلية.

٤٠- لا يستحقّ الورد إلا جهول، يوجد فى الدار الآخرة والورد ينطوى بانطواء هذه الدار، الورد هو طالبه منك والوارد أنت تطلبه منه، وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه؟.

٤١- ورود الإمداد بحسب الاستعداد وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار.

٤٢- الغافل إذا أصبح نظر ماذا يفعل والعاقل ماذا يفعل الله به.

٤٣- إنما يستوحش العباد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن الله فى كل شيء فلو شهدوه فى كل شيء لم يستوحشوا من شيء.

٤٤- لما علم أنك لا تصبر عنه أشهدك ما برز منه، لكن لا بد للحسناء من نقاب وللشمس من سحب.

٤٥- متى طلبت عوضاً عن عمل طولبت بوجود الصديق فيه.

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ (٢٢)
ولم يقل منهم فعن تفيد التجاوز كأنه قال أولئك الذين نتجاوز عنهم
فى أحسن ما عملوا فنتقبلها منهم.

٤٦- إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق فيك ونسب إليك.

فإذا قلت يارب بفضلك استعملت وأنت أعنت وسهلت شكر الله
وقال يا عبدى بل أنت أطعمت وأنت تقربت وسأدخلك الجنة.

أما إذا قلت أنا عملت وأنا عبدت قال لك بل أنا يسرت وأنا سهلت
وأنا أعنت وسأدخلك النار.

وإذا فعلت المعصية فقلت أنا عملت وأنا أجرمت وأنا أسأت قال
تعالى بل أنا قضيت وقدرت وسأغفرها لك.

أما إذا قلت أنت قضيت وقدرت قال لك بل أنت عملت وأنت
أسأت وسأدخلك النار.

٤٧- كن بأوصاف ربوبيتك متعلقا وبأوصاف عبوديتك متحققا.

أوصاف الربوبية: العز والكبرياء والعظمة والغنى والقدرة
والعلم وعكسها أوصاف العبودية. فكل الأسماء والصفات تصلح للتعلق
فتكون فى باطنك عزيزا قويا بالله عظيما كبيرا عنده قويا فى دينه
ومعرفته عالما به وبأحكامه، وحاصلها استعمال الحرية فى الباطن
والعبودية فى الظاهر.

تتحقق بوجود أوصاف العبودية في الظاهر حتى يكون ذلك شرفاً عندك وتستحيله وتغيب به.

فأهل الظاهر ينافسون في العلو أيهما أعلى من الآخر، وأهل الباطن يتنافسون في الحنو أيهما أحلى من الآخر.

٤٨- منعك أن تدعى ما ليس لك مما هو للمخلوقين، أفبيح لك أن تدعى وصفه وهو رب العالمين.

من غيرته تعالى أن اختص بأوصاف الربوبية ونهانا عن إظهارها والتحلى بها في الظاهر أو ادعاء ذلك في الباطن.

٤٩- ليس الشأن وجود الطلب إنما الشأن أن ترزق حسب الأدب.

فالعارف المحقق لم يبق له شيء يطلبه لأنه قد حصل على الغنى الأكبر بمولاه.

والآداب إما آداب في الظاهر بإقامة الحقوق، وإما آداب في الباطن بالإعراض عن كل مخلوق، وإما آداب فيهما وذلك بالانحياش للحق والدوام بين يديه على بساط الصدق.

فإذا أردت العطايا فلا بد من المسكنة ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾^(٢٣) وإن أردت الإجابة فعليك بالإضطرار ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه﴾^(٢٤) وإن أردت النصر فعليك بالذلة ﴿ولقد نصركم ببدر وأنتم أذلة﴾^(٢٥)

٥٠- لو كنت لا تصل إليه إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل إليه أبدا ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه ستر وصفك بوصفه وغطى نعتك بنعته، فوصلك إليه بما منه إليك لا بما منك إليه

قاله تعالى إذا أراد أن يطوى عن عبده مسافة البعد أظهر له من أنوار قدسه نعوت وصفه ما يغيب به العبد عن شهود نفسه فحينئذ تغنى المساوى وتنمحق الدعاوى بما من الله إلى العبد من سابق العناية والوداد لا بما من العبد إلى الله من الكد والإجتهد.

٥١- أنت إلى حلمه إذا أطعته أحوج منك إليه إذا عصيته.

وفى الحديث «انا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى، ومن كان الله عنده فهو أعظم من ألف مطيع توجب له طاعته طرده وبعده.

الستر فى المعصية طلب العامة حتى لا يسقطوا من نظر الخلق، والستر عن المعصية طلب الخاصة.

أما خاصة الخاصة فلا يطلبون شيئا ولا يخافون من شيء، وأما أناس نظروا فرأوا الله فى أعين الناس فاستحيوا من الناس حياء من الله وهو معنى قوله ﷺ «من لم يستح من الناس لم يستح من الله».

٥٢- من أكرمك فإنما أكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك.

قال تعالى ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا﴾ (٢٦).

٥٣- ما ججبك عن الله وجود موجود معه إذ لا شئ معه ولك
حجبك عنه توهم موجود معه .

الحق تعالى منزّه عن الأين والكيف والجهة والمادة والصورة ومع
ذلك لا يخلو من أين ولا مكان ولا كم ولا كيف ولا جسم ولا جوهر
ولا عرض لأنه للطفه سارفى كل شئ ولنوريتّه ظاهر فى كل شئ
ولإحاطته متكيف بكل كيف غير متقيد بذلك .

ومانصبت الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها ﴿ قل انظروا
ماذا فى السموات ﴾ (٢٧) فلم يأمرك بالنظر إلى جرم السماء ولكن
إلى ما فى السموات من سر الذات .

وأعلم أن التجلى ذاتى أو صفاتى ، فالذاتى كله جلال والصفاتى
كله جمال ، والحق تعالى لما ندب عباده إلى معرفته درجهم شيئا
فشيئا فدلهم أولا على توحيد الأفعال فقال ﴿ وربك يخلق ما يشاء
ويختار ﴾ (٢٨) .

﴿ إن ربك فعال لما يريد ﴾ (٢٩) ﴿ ما يسكنهن إلا الرحمن ﴾ (٣٠)
﴿ وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ﴾ (٣١) .

ثم دلهم على توحيد الصفات ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾ (٣٢)
﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ (٣٣) .

ثم على توحيد الذات ﴿ هو الله فى السموات وفى الأرض ﴾ (٣٤)
﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ (٣٥) .

﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾^(٣٦) ﴿وإذا قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾^(٣٧) ﴿إن الذين يبائعونك إنا يبائعون الله﴾^(٣٨).

٥٤- الناس يمدحونك لما يظنون فيك، فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها.

قال المحاسبى رحمه الله مثل الذى يفرح بمدح الباطل كمن يقال له العذرة التى تخرج من جوفك لها رائحة المسك، وهو يفرح لذلك ويرضى بالسخرية به.

فالعوام يفرحون بالمدح ويكرهون الذم، والعباد والزهاد وأهل السلوك والرياضة يكرهون المدح ويحبون الذم والعارفون يفرحون بالمدح لشهوده من مولاهم وينقبضون من الذم لشهودهم جلال من تولاهم.

٥٥- إذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا يؤسك من حصول الاستقامة مع ربك فقد يكون آخر ذنب قدر عليك

مثل الفارس على فرسه إن زل أو كبا إستوى على جواده واستمر فى سيره فإذا سقط وجعل يتمرغ فى سقطته انقطع وتأمل ما وقع لكثير من الأكابر كانوا لصوصا فصاروا خصوصاً.

فالمؤمن لا يقف مع معصية ولا يركن إلى طاعة ولا يغلب عليه خوف ولا رجاء.

خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير ، حسن الظن بالله وحسن
الظن بالناس ، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بالله
وسوء الظن بالناس .

٥٦- ربما وقفت القلوب مع الأنوار كما حجت النفوس
بكثائف الأغيار .

قال الشيخ ابن مشيش رحمته الله لسيدى أبى الحسن رحمه الله أشكوا
إلى الله من برد الرضى والتسليم كما تشكوا أنت من حر التدبير
والاختيار ، خاف أن يحجب بحلاوة الرضى عن شهود الذات .

٥٧- سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث
الدليل عليه ، ولم يوصلهم إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه .
وصولك إلى الله ووصولك إلى العلم به ، ووصولك إليه ووصولك إلى
عارف به ، فلا طريق إلى معرفة الله إلا من طريق معرفتهم .

قال الشيخ أبو العباس المرسى معرفة الولي أصعب من معرفة الله ،
فإن الله معروف بكماله وجلاله ومتى تعرف مخلوقاً مثلك يأكل كما
تأكل ويشرب كما تشرب .

٥٨- ربما أطلعك على غيب ملكوته وحجب عنك
الاستشراق على أسرار العباد .

٥٩- لا تمدن يدك إلى الأخذ من الخلائق إلا أن ترى
أن المعطى فيهم مولاك .

الأخذ من غير سؤال له شرطان :

١- لا يأخذ ممن كسبه حرام أو فيه شبهه.

٢- لا يقبض حتى يرى أنما يقبض من الله.

الأخذ بسؤال: السؤال أصله الجواز ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ (٣٩)
ثم تعتريه الأحكام الخمسة:.

١- واجب: وهو ما يكون لسد الرمق فأوجبه الشرع خوفا من فوات الحياة البشرية وأوجبه الصوفية لمن خاف فوات الحياة الروحانية، فقد نقل القسطلاني في شرحه على البخاري عن ابن عربي المعافى أنه قال هو واجب على المريد في البداية.

٢- مندوب: فهو أن يسأل لغيره إن كان غيره يستحي، وقد سأل النبي ﷺ لأصحابه حين أتوه عراة.

٣- مكروه: فهو أن يسأل لقوت البشرية مع القدرة على الاستغناء وهذا مالم ينقطع للعبادة ويتجرد للذكر.

٤- مباح: أن يسأل الحاجة الغير ضرورية كسؤاله لقضاء دينه أو مايزيد على ستر عورته وسد رمقه.

٥- محرم: أن يسأل تكثرا وزيادة على ما يكفيه.

فمشروعيته لقتل النفوس لا لقبض الفلوس، أما ما يأخذه من السؤال فإن كان فقيرا إليه أخذه، وإن كان غنيا عنه تصدق به خفية بالليل.

٦٠- حقوق فی الأوقات يمكن قضاؤها وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها.

فالواجبات من صلاة وصيام إذا فاتتك أمكنك قضاؤها أما حق الوقت إذا فات فلا تستطيع قضاءه، وذلك أن كل لحظة تمر بك لها عندك حق أكيد من شكر أو استغفار فإذا مرت بغير إعطائها حقها دخلت لحظة أخرى لها حق آخر من الشكر والاستغفار فلم تستطع قضاء حق لحظة من الزمان في لحظة أخرى إذ أن لها حقاً آخر.

٦١- ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه.

٦٢- متى ألمك عدم إقبال الناس عليك أو توجههم بالذم إليك فارجع إلى علم الله فيك فإن كان لا يقنعك علمه وفيك فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم، إنما أجرى الأذى عليهم كي لا تكون ساكناً إليهم.

فهم قوم أن الشيطان لهم عدو فاشتغلوا بمحاربتة ففاتهم محبة الحبيب، وفهم قوم أن الشيطان لهم عدو وأن الله لهم حبيب فاشتغلوا بمحبة الحبيب فكفاهم عداوة العدو.

وجعل الله بحكمته الشيطان والنفس والناس حراساً للحضرة فلا يدخل الحضرة إلا من غلبهم، ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾^(٤٠) فإن كان هو يرانا من حيث لا نراه فالله يراه من حيث لا يرى الله، فالنفس والشيطان

نقمتان فى الظاهر لمن توقف معهما وحجب بهما، وجزاهما الله عن الأولياء خيراً ما عليهم إلا فضل الله وفضلها وهم لا ينسون جميلهما إذ لولا حركهما الله عليك لما دام إقبالك عليه.

٦٣- ليس المتواضع الذى إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع، ولكن المتواضع الذى إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع. قال أبو يزيد رحمه الله ما دام العبد يرى فى الخلق أشر منه فهو تكبر.

تواضع أهل اليمين عن مجاهدة وتصنع، وتواضع العارفين نتيجة لشهود عظمة المعبود، فلا يخرجك من شهود أوصافك اللثيمة إلا شهود صفاته القديمة، ولا يخرجك من شهود فعلك إلا شهود فعله، وعن شهود ذاتك بشهود ذاته.

٦٤- أنت مع الأكوان ما لم تشهد الكون فإذا شهدته كانت الأكوان معك.

فالكون كله يهابه ويعشقه وفى الحديث «اشتاقت الجنة إلى على وصهيب وبلال، والنار تهابه فقد ورد فى الحديث أن النار تقول «جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى».

٦٥- لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية .

فلا يلزم من رفع الهمة عن الأكوان استغناؤه عما تحتاج إليه البشرية ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق﴾^(٤١). ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من

قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية^(٤٢) إلا أن أهل الخصوصية انقلبت حظوظهم حقوقا، فالخصوصية محلها الباطن والبشرية محلها الظاهر.

٦٦- قوم تسبق أنوارهم أذكارهم وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم.

فالذين تسبق أنوارهم هم الواصلون فهذا ذاكرا استنار قلبه فذكر، والذين تسبق أذكارهم أنوارهم هم السائرون فهذا ذاكرا ذكر ليستنير قلبه.

فالذاكر قد أكرمه الله تعالى كرامات ثلاث: جعلك ذاكرا له ولولا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك، وجعلك مذكورا فقال ﴿اذكروني أذكركم﴾^(٤٣) ذكره في نفسه، ﴿ولذكر الله أكبر﴾^(٤٤) فحقق نسبته اليك، وجعلك مذكورا عنده ذكرته في ملاء خير منهم، فتم نعمته عليك.

٦٧- إن قرّة العين بالشهود على قدرة المعرفة بالمشهود.

قال رسول الله ﷺ «وجعلت قرّة عيني في الصلاة، فلم يقل بالصلاة ولكن قال في الصلاة أى قرّة عينه ﷺ بشهوده» في الصلاة، ومحال أن يراه ويشهد معه سواه.

قال ﷺ «أعبد الله كأنك تراه، فلو قال لأنك تراه لكان إفشاء لسر الربوبية».

وقال تعالى ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾^(٤٥) ولم يقل فبذلك فافرح يا محمد لأن فرحهم بالفضل وفرحك بالمتفضل.

٦٨- الناس في ورود المنن عليهم على ثلاثة أقسام، قسم فرح بالمنن لا من حيث مبدئها ومنشئها ولكن بوجود متعته فيها فهذا من الغافلين، وقسم فرح بها من حيث إنه شهدها منة ممن أرسلها ونعمة ممن أوصلها فيصدق عليه قوله تعالى ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾^(٤٦) وقسم فرح بالله ما شغله من المنن ظاهر متعتها ولا باطن منتها بل شغله النظر إلى الله عما سواه.

٦٩- رب عمر اتسعت آماده، وقلت أمداده ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده.

فنفس واحد من نفس المخلصين خير من ملء الأرض من عباده المتعبدین.

٧٠- وسعك الكون من حيث جسمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك.

ومن هنا قال عبد القادر الجيلاني رحمته الله والعرش والكرسى في طي قبضتي.

٧١- من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها.

قال الجنيد: الشكر أن لا يعصى الله بنعمة.

الشكر على ثلاثة أقسام: شكر اللسان وهو التحدث بنعم الله ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (٤٧) وشكر الأركان العمل بالطاعة لله تعالى قال تعالى ﴿اعملوا آل داود شكراً﴾ (٤٨) .

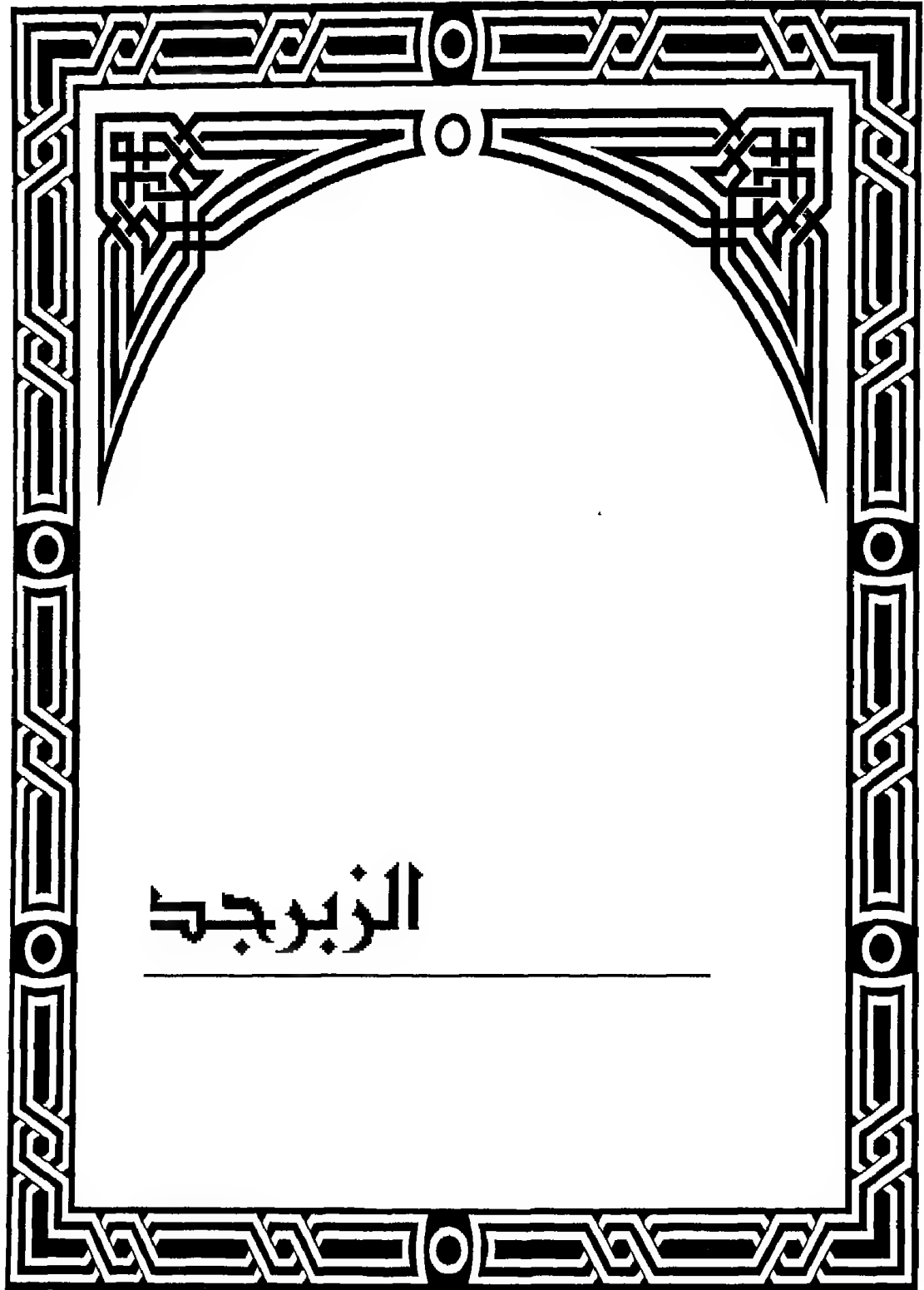
وشكر الجنان بالاعتراف بأن كل نعمة بك أو بأحد من العباد هي من الله تعالى ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (٤٩) ومن القسم الأول قول رسول الله ﷺ «التحدث بالنعم شكر»، ومن القسم الثاني أنه ﷺ قام حتى تورمت قدماه فلما سئل قال «أفلا أكون عبداً شكوراً» .

شكر العوام على النعم فقط، وشكر الخواص على النعم والنعم وشكر خواص الخواص الغيبة في المنعم عن شهود النعم والنعم.

الهوامش

- (١) سورة القصص الآية ٦٨
- (٢) سورة هود الآية ٤٠
- (٣) سورة هود الآية ٤٥
- (٤) سورة الأنعام الآية ٨٠
- (٥) سورة إبراهيم الآية ٣٤ وسورة النحل الآية ١٨
- (٦) سورة فاطر الآية ١٠
- (٧) سورة الرعد الآية ١٧
- (٨) سورة الأنعام الآية ١٨
- (٩) سورة القصص الآية ٨٨
- (١٠) سورة البقرة الآية ١١٥
- (١١) سورة الإسراء الآية ٦٠
- (١٢) سورة الأنفال الآية ١٧
- (١٣) سورة الفتح الآية ١٠
- (١٤) سورة الإسراء الآية ٨٠
- (١٥) سورة القصص الآية ٦٨
- (١٦) سورة الفاتحة الآية ٥
- (١٧) سورة الفاتحة الآية ٥
- (١٨) سورة الضحى الآية ٦
- (١٩) سورة ص الآية ٣٠
- (٢٠) سورة ص الآية ٤٤

- (٢١) سورة البقرة الآية ٢١٦
 (٢٢) سورة الأحقاف الآية ١٦
 (٢٣) سورة التوبة الآية ٦٠
 (٢٤) سورة النمل الآية ٦٢
 (٢٥) سورة آل عمران الآية ١٢٣
 (٢٦) سورة الدور الآية ٢١
 (٢٧) سورة يونس الآية ١٠١
 (٢٨) سورة القصص الآية ٦٨
 (٢٩) سورة هود الآية ١٠٧
 (٣٠) سورة الملك الآية ١٩
 (٣١) سورة هود الآية ٥٦
 (٣٢) سورة الإسراء الآية ١
 (٣٣) سورة الحديد الآية ٣
 (٣٤) سورة الأنعام الآية ٣
 (٣٥) سورة النور الآية ٣٥
 (٣٦) سورة البقرة الآية ١١٥
 (٣٧) سورة الإسراء الآية ٦٠
 (٣٨) سورة الفتح الآية ١٠
 (٣٩) سورة الضحى الآية ١٠
 (٤٠) سورة النحل الآية ٩٩
 (٤١) سورة الفرقان الآية ٢٠
 (٤٢) سورة الرعد الآية ٢٨
 (٤٣) سورة البقرة الآية ١٥٢
 (٤٤) سورة العنكبوت الآية ٤٥
 (٤٥، ٤٦) سورة يونس الآية ٥٨
 (٤٧) سورة الضحى الآية ١١
 (٤٨) سورة سبأ الآية ١٣
 (٤٩) سورة النحل الآية ٥٣.



- ١ - يا عبد كلما عملت بعلم أسفر لك عن صفة من صفاته .
- ٢ - يا عبد إذا استقررت في المعرفة كشفت لك عين اليقين بي فشهدتني فغابت المعرفة، وغبت عنك وعن حكم المعرفة لا غيبة ذهاب عن معارف بل غيبة ذهاب عن حكم معرفة وغيبة ذهاب عن حكم عارف، فإذا استقررت فلا تحكم عليك المعرفة. إنما أنا أحكم فإذا لم تحكم عليك المعرفة ولم تكن بحكمها أدركت مبلغ العلم وإذا أدركت مبلغ العلم قمت بحجتي في كل شيء وعلى كل شيء ووجب عليك النطق به فانتظر إذنى لك به تنطق عنى فتخبر عنى فتكون من سفرائى، فإن لم تنتظر إذنى نطقت عن العلم فأخبرت عن العلم فكنت سفيراً للعلم، ومن علامة إذنى لك النطق أن تشهد غضبى إن صمت وتشهد زوال غضبى إن نطقت .
- ٣ - يا عبد من لم يرنى فلا عمله نفع ولا جهله ارتفع .
- ٤ - يا عبد ما حجبك شيء ولا أوصالك شيء أنا الحاجب وأنا الموصل .
- ٥ - يا عبد إذا رأيتنى أصرفك عن السوى ولا أصرفه عنك ففر إلى من فتنتى، واستعد بى من مكرى، وسل عنى العالم والجاهل واسلك إلى الأمن والخطر .

- ٦ - يا عبد من عرفنى بى عرفنى معرفة لا ينكرنى بعدها أبداً .
- ٧ - يا عبد ذكرى لك هو تعرفى إليك .
- ٨ - يا عبد من لم أتعرف إليه لا يعرفنى ومن لم يعرفنى لم أسمع منه .
- ٩ - يا عبد ما أقبض إلا بما أبسط ولا أبسط إلا بما أقبض .
- ١٠ - يا عبد أنا القريب فلا تعرف قبرى معارف العارفين وأنا البعيد فما تدرك بعدى علوم العالمين وأنا الدائم فلا تخبر عنى الآباد وأنا الواحد فلا تشبهنى الأعداد .
- أنا الظاهر فلا ترانى العيون وأنا الباطن فلا تطيف بى الظنون وأنا الودود فلا ينصرف وجهى ما انصرفت وأنا الوهاب فلا أسلب ما وهبت وأنا المنيل فلا أسترده ما أنلت .
- ١١ - يا عبد قد رأيتنى فى كل قلب فدل كل قلب على لا على ذكرى لأخاطبه أنا فيهدى ولا تدله إلا على فإنك إن لم تدله على دللته على التيه فتاه عنى وطالبتك به .
- ١٢ - يا عبد انظر إلى عفوى كيف يتلقى الذنوب كلها ولا يدعها تصعد إلى .
- ١٣ - يا عبد لا تدعنى وأنت وراء الحجاب إلا بكشف الحجاب فهذا فرضك ونقلك .

١٤ - يا عبد تريد قيام الليل وتريد توفير أجزاء القرآن هنالك لاتقوم إنما يقوم الليل من قام إلى لا إلى ورد معلوم ولا إلى جزء مفهوم، هنالك ألتقاء بوجهي فيقف بقيوميتي لا يريد لي ولا يريد مني فإن شئت أن أحادثة حادثته وإن شئت أن أفهمه أفهمته، انصرف أهل الورد حين بلغوه وانصرف أهل الجزء من القرآن حين قرأوه ولم ينصرف أهلي فكيف ينصرفون.

١٥ - يا عبد إذا لم ترني فأنت من العموم ولو جمعت لك أعمال العاملين.

١٦ - يا عبد جالس العلماء تنفع وتنفع، وإن رأيتني فما أحد منك ولا أنت منه، إن رأيتني فالعلماء عليك حرام والعلم بك إضرار، وإذا لم ترني فجالس العلماء واستضيئ بنور العلم، نور العلم يضيئ لك عنه لا عني، العلماء يدلونك على طاعتي لا على رؤيتي.

١٧ - يا عبد معصيتي وأنت تراني محاربتي، معصيتي وأنت لا تراني معصيتي، أعددت لك عذرا في معصيتي أعددت لك حربا وسلبا في محاربتي، وحربي لك تخليتي بيني وبين ما حاربتني عليه.

١٨ - يا عبد لو عقلت عني لاستعذت بي من شر حاجتك.

١٩ - يا عبد ليس الأمين على العلم من عمل به، إنما الأمين من رده إلى عالمه.

٢٠ - يا عبد أعطيتك بالعطاء والمنع ومنعتك بالعطاء والمنع
فذهمتنى على العطاء بالمنع وشكرتني على المنع بالعطاء.

٢١ - يا عبد استعذ بي مما تعلم تستعذ بي منك، واستعذ بي مما
لا تعلم تستعذ بي مني.

٢٢ - يا عبد كيف لا تطلب مني وقد أحوجتك، أم كيف تطلب
مني وقد بدأتك.

٢٣ - يا عبد اصحبني إلى تصل إلى

٢٤ - يا عبد الحاجة لسانى عندك فخطبني به أسمع وأجب.

٢٥ - يا عبد عكوفك على الدنيا أحسن من عبادتك للآخرة.

٢٦ - يا عبد تراني يوم القيامة كما تراني يوم فرحك وحزنك.

٢٧ - يا عبد إن لم تنظر إلى في الشئ نظرت إليه، فإذا نظرت
إليه فجأة وهو أن تراه ولا تراني قبل رؤيتك له تداركتك وإن نظرت
إليه بعد رؤيتك إليه إياي فيه نظرت متعمدا فسلطته عليك.

٢٨ - يا عبد الكشف جنة الجنة والحجاب نار النار.

٢٩ - يا عبد ابن لقلبك بيتا جدرانه مواقع نظري في كل مشهود
وسقفه قيوميتي بكل موجود وبابه وجهي الذي لا يغيب.

٣٠ - يا عبد اهدم ما بنيته بيدك قبل أن أهدمه بيدي.

٣١ - يا عبد لم أرضك إلا لرؤيتي فلا ترضك لغيبتي.

٣٢ - يا عبد قلب أنظر فيه لا يعقد على حسنة ولا يصر على سيئة.

٣٣ - يا عبد من لم يرني في الدنيا لا يراني في الآخرة.

٣٤ - يا عبد علامة مغفرتي في البلاء أن أجعله سببا لعلم.

٣٥ - يا عبد طلبك مني أن أعلمك ما جهلت كطلبك أن أجهلك ما علمت فلا تطلب مني أكفك البتة.

٣٦ - يا عبد صنعت لك كل شيء فكيف أرضاك لشيء.

٣٧ - يا عبد لا تعتذر فمخالفتي أعظم من العذر وإن تعتذر فكمي أعظم من الذنب.

٣٨ - يا عبد أخلصتك لنفسى فإن أردت أن يعلم بك سوى فقد أشركت بي، وإذا سمعت من سوى فقد أشركت بي.

٣٩ - يا عبد اقشعرار الجلود من آثار نظري عن حكم إقبالى عليك وذكرى لا عن حكم إقبالك على وذكرك لى تقشعر جلودهم من ذكر الله، أى من ذكرى إياهم.

٤٠ - يا عبد إن لم يصعد عملك من الباب الذى نزل منه علمك لم يصل إلى.

٤١ - يا عبد أعلن توبتك لكل شيء يستغفر لك كل شيء.

٤٢ - يا عبد أظهرنى على لسانك كما ظهرت على قلبك
ولا احتجبت عنك بك.

٤٣ - يا عبد إن لم تأكل من يدى وتشرب من يدى لم تستو على
طاعتى.

٤٤ - يا عبد اطرح ذنبك تطرح جهلك، إن ذكرت ذنبك لم تذكر ربك.

٤٥ - يا عبد النعيم كله لا يعرفنى ولو عرفنى لانقطع بمعرفتى
عن التنعيم، والعذاب كله لا يعرفنى ولو عرفنى لانقطع بمعرفتى
عن التعذيب.

٤٦ - يا عبد الطبقة الأولى يعذبون بالسطة، والثانية بالعزة،
والثالثة بالجبروت، والرابعة بالكبرياء، والخامسة بالسلطان، والسادسة
بالعظمة، والسابعة بالذات الطبقة الأولى يتنعمون بالتنعيم، والثانية
بالكرم، والثالثة بالعطف، والرابعة بالود، والخامسة بالحب، والسادسة
بالرضا، والسابعة بالاصطفاء، والثامنة بالنظر. ﴿إليه يرجع
الأمر كله﴾^(١). فقف عندى تقف من وراء كل وصف.

٤٧ - يا عبد القرآن بينى والأذكار تغرس.

٤٨ - يا عبد إذا قلت لك قف فقف لى لا لك ولا لأخاطبك
ولا لآمرك ولا لتسمع منى ولا لما تعرف منى بل لتنظر إلى وأنظر
إليك، فإذا عرفت كيف تقول إذا قلت لك قف لى فقد فتحت لك الباب

(١) سورة هود الآية ١٢٣.

إلى ، فلا أغلقه دونك أبداً، وأذنت لك أن تدخله إلى فلا أمنعك أبداً، لك أن تدخل متى شئت وليس لك أن تخرج إذا شئت .

٤٩ - يا عبد العبدانية أن تكون عبداً بلا نعت، فإذا كنت بنعت اتصلت عبدانيتك بنعتك لا بى . عبد خائف استمدت عبدانيته من خوفه . عبد راج استمدت عبدانيته من رجائه . عبد محب استمدت عبدانيته من محبته . عبد مخلص استمدت عبدانيته من إخلاصه . قل لسريرتك تقف بين يدي لا بشئ ولا لشئ واجعل الملكوت الأكبر من ورائك واجعل الملك الأعظم تحت رجلك . فحينئذ تلجأ إليك الخليفة في شدائد الدنيا والآخرة وإليك يلجأ من رآنى ومن لم يرنى، من عرفنى ومن لم يعرفنى .

سأرسلهم إليك ابتلاء وأنا مؤذنك بأنى أرسلتهم إليك اجتباء وأنا معلمك كيف تعمل إذا ما أتوك اصطفاء .

٥٠ - يا عبد أقرر عينا بما أشهدتك من النار أشهدتكها تسبحنى وأشهدتكها تذكرنى وأشهدتكها تعرفنى وتفزع منى . وما أشهدتك ذاك منها حتى أشهدتها ذاك منك فأشهدتك منها مواقع ذكرى وأشهدتها منك مواقع نظرى ما كنت لأجمع بين ذكرى ونظرى فى انتقامى .

٥١ - يا عبد يتعلق العارف بالمعرفة ويدعى أنه تعلق بى ولو تعلق بى هرب من المعرفة كما يهرب من النكرة .

٥٢ - يا عبد إنما تأخذ أجرك ممن أصبحت له أجيراً فأنت أجير من تعمل من أجله . إن كنت أجيراً للعلم أعطاك العلم الثواب، وإن

كنت أجيراً للمعرفة أعطتك المعرفة، فكن أجيراً أرفعك فوق العلم
والمعرفة فتري أين يبلغ العلم؟ وتري أين ترسخ المعرفة؟ فلا تسعك
المعرفة ولا يستطيعك الرسوخ.

٥٣ - يا عبد لا بد من أن أتعرف إليك وتعرفني إليك بلاء أحببت
فيك البلاء، معرفتك بالبلاء بلاء إنكارك للبلاء بلاء.

٥٤ - يا عبد رأوني وحجبتهم برؤيتهم إياي عنى.

٥٥ - يا عبد ما سمعوا منى قط ولو سمعوا ما قالوا لا.

٥٦ - يا عبد تموت ولا يموت ذكرى لك.

٥٧ - يا عبد كالك يعرفني وليس كالك يجحدني.

٥٨ - يا عبد عرفني إلى من يعرفني يراني عندك فيسمع منى،
ولا تعرفني إلى من لا يعرفني يراك ولا يراني فلا يسمع منى
وينكرنى.

٥٩ - يا عبد إن عرفتنى بمعرفة أنكرتنى من حيث عرفتنى

٦٠ - يا عبد من سألك عنى فسله عن نفسه، فإن عرفها فعرفنى
إليه، وإن لم يعرفها فلا تعرفنى إليه فقد غلقت بابى دونه.

٦١ - يا عبد من أحببته أشهدته فلما شهد أحب.

٦٢ - يا عبد الليل لى لا للقرآن يتلى، الليل لى لا للمحامد

والثناء.

- ٦٣ - يا عبد لا ترجع إلى ذكر الذنب فتذنب بذكر الرجوع.
- ٦٤ - يا عبد انظر بعين قلبك إلى قلبك وانظر بقلبك كله إلى.
- ٦٥ - يا عبد إذا رأيته استوى الكشف والحجاب.
- ٦٦ - يا عبد ما صرفت عنك من الحجاب بالآخرة أكثر وأعظم مما صرفته عنك من الحجاب بالدنيا.
- ٦٧ - يا عبد فرق بين من غبت عنه ليعتذر ومن غبت عنه لينتظر، فارقت المنتظر وطالعت المعتذر.
- ٦٨ - يا عبد أسرع شئ عقوبة القلوب. فالقلب الذي لا يرانى هو محل البلاء.
- ٦٩ - يا عبد العلم على من رآنى أضر من الجهل.
- ٧٠ - يا عبد الحسنة عشرة لمن لم يرنى، والحسنة سيئة لمن رآنى.
- ٧١ - يا عبد إذا رأيته كانت سلامتك فى الفترة أكثر منها فى العبادة، وإذا لم ترنى كانت سلامتك فى العمل أكثر منها فى الفترة.
- ٧٢ - يا عبد شاور من لم يرنى فى دنياك وآخرتك، واتبع من رآنى ولا تشاوره.
- ٧٣ - يا عبد إذا رأيته فانظر إلى أكن بينك وبين الأشياء وإذا لم ترنى فنادنى لا لأظهر ولا لترانى لكن لأنى أحب نداء أحبائى لى.

- ٧٤ - يا عبد العلم بابى والمعرفة بوابى وهما غيرى .
- ٧٥ - يا عبد أن أردت لى كل شىء علمتك علما لا يستطيعه الكون، وتعرفت إليك معرفة لا يستطيعها الكون .
- ٧٦ - يا عبد إن ذهب قلبك عنى لم أنظر إلى عمالك .
- ٧٧ - يا عبد إذا أمرتك فامضى لما أمرتك ولا تنتظر به من عمالك إن كنت تنتظر بأمرى علم أمرى تعص أمرى .
- ٧٨ - يا عبد اجمع أول نهارك وإلا لهوته كله ، واجمع أول ليلك وإلا ضيعته كله فإنك إذا جمعت أوله جمعت لك آخره .
- ٧٩ - يا عبد أنا الله لا يدخل إلى بالأجسام ولا تدرك معرفتى بالأوهام .
- ٨٠ - يا عبد كما تدخل إلى فى الصلاة تدخل إلى فى قبرك .
- ٨١ - يا عبد آليت لابد أن تمشى مع كل واحد أعماله فإن فارقها فى حياته دخل إلى وحده فلم يضق به قبره وإن لم يفارقها فى حياته دخلت معه فى قبره فضاق به لأن أعماله لا تدخل معه علوما إنما تتمثل له شخصا فيدخل معه .
- ٨٢ - يا عبد قف بين يدي لأنى ربك ولا تقف بين يدي لأنك عبدى .
- ٨٣ - يا عبد عهد عهده إليك أن تعرفنى ، لا يطالب بفراق سنتى لكن يطالب بسنة دون سنة وبعزيمة دون عزيمة فإن كنت

ممن قد رآنى فاتبعنى واعمل ما أشاء بالآلة التى أشاء لا بالآلة التى
تشاء فالآلة هى سنتى فاعمل منها بما أشاء فيك لا بما تشاء لى وتشاء
منى فإن عجزت فى آلة دون آلة فعذرى لا يكتبك غادرا وإن ضعفت
فى عزيمة دون عزيمة فرخصتى لا تكتبك عاثرا إنما أنظر إلى
أقصى علمك إن كان عندى فأنا عندك.

٨٤ - يا عبد طلبك منى وأنت لا ترانى عبادة وطلبك منى وأنت
ترانى استهزاء.

٨٥ - يا عبد آليت لا أقبلك وأنت ذو سبب أو نسب.

٨٦ - يا عبد إن لم تظفر بى أليس يظفر بك سواى.

٨٧ - يا عبد كل واقف عارف، وما كل عارف واقف، فالواقفون
أهلى، والعارفون أهل معرفتى.

٨٨ - يا عبد اطلب كل شئ عند الواقف تجده واطلب الواقف عند
كل شئ لاتجده، فإذا نزل البلاء تخطى الواقف وانزل على معرفة
العارف وعلم العالم ولا يقدر العارف قدر الواقف.

٨٩ - يا عبد الوقفة عمود المعرفة والمعرفة عمود العلم فالعالم فى
الرق والعارف مكاتب والواقف حر.

٩٠ - يا عبد العارف يعرف ويعرف والواقف يعرف ولا يعرف.

٩١ - يا عبد احترق العلم فى المعرفة واحترقت المعرفة فى الوقفة
فالعارف يشك فى الواقف والواقف لا يشك فى العارف، فما بلغت
معرفة من لم يقف ولا نفع علم من لم يعرف.

٩٢ - يا عبد العالم يرى علمه ولا يرى المعرفة، والعارف يرى المعرفة ولا يرانى، والواقف يرانى ولا يرى سوى، العالم يخبر عن العلم والعارف يخبر عن المعرفة والواقف يخبر عنى.

٩٣ - يا عبد أنا أقرب إلى كل شئ من نفسه والواقف أقرب إلى من كل شئ.

٩٤ - يا عبد إن خرج العالم من رؤية بعدى احترق وإن خرج العارف من رؤية قري احترق وإن خرج الواقف من رؤيتي احترق.

٩٥ - يا عبد العلم حجابى والمعرفة خطابى والوقفة حضرتى.

٩٦ - يا عبد العارف ذو قلب، والواقف ذو رب، فإخبارى للعارفين ووجهى للواقفين.

٩٧ - يا عبد القرب الذى تعرفه فى القرب الذى أعرفه كمعرفتك فى معرفتى، فأنا القريب البعيد، قريبا هو البعد وبعدا هو القرب، فأنا أقرب إلى كل شئ من معرفته بنفسه.

٩٨ - يا عبد لو نطق ناطق العز لصمتت نواطق كل وصف ورجعت إلى العدم مبالغ كل حرف ولتبرأ أهل المعرفة من معرفتهم.

كلمة مختصرة عن مؤلف الكتاب

بقلم المهندس خالد شحات حماد

الحمد لله الذي فرغ لعبادته وخدمته أهل محبته وتقواه، وحلى ظواهرهم بطاعته وبواطنهم بمعرفته ليسكنهم من محل مرضاته الجنة أعلاه، والصلاة والسلام على خير خلقه ومصطفاه، والذي لا يقبل ربنا تعالى إلا من اتبع سنته واهتدى بهداه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن مؤلف هذا الكتاب النفيس هو العبد الصالح الطائع لمولاه، والراقي درج المعرفة إلى أعلى علاه، الذي هدى الله الضالين بسناه وبلغ به المهتدين كلا سؤله ومناه، الشيخ المربي الحافظ لكتاب الله والتمسك بسنة رسول الله ﷺ.

الشریف النسیب سیدی صلاح الدین التجانی بن السید محمود بن أبی طالب.

والذي لا يصرح بنسبه إلا أنه ابن سیدی أحمد التجانی رحمته الله.

أتم رحمته الله حفظ القرآن الكريم بالقراءات العشر المتواترة بالسند المتصل من شيخه في ذلك الفن إمام القراءات بالأزهر الشريف

والمتبحر في العلم المنيف، الذي لم يكن في وقته مثله، المنقطع للقرآن نهاره وليله، الشيخ محمد بن إسماعيل الهمداني، وله من ذلك الإمام إجازة في القراءات العشر الكبرى (وهي أعلى إجازة في هذا الفن) وذلك بعد أن قرأ على شيخه المذكور ختمة كاملة لكل قارئ منهم بالتحريير والإتقان وأكثر من ختمه بالعشر، ثم أراد رحمته الله كما هي عادته تيسير ذلك العلم النفيس لطالبيه بعدما وجد من المشقة البالغة في تعلمه فألف كتابه النجوم السائرة حيث ميز فيه كل قراءة على حدة قواعد وفرشا وهو مالا نظير له في علم القراءات بخلاف ما صنف قبل ذلك من الكتب في هذا الفن ومع ذلك الكتاب فرش الأحرف العشرة على المصحف الشريف فصار تدريس هذا العلم بهذه الصورة الجديدة من أيسر الأمور بعد أن كان من أشقها وأصعبها فجزاه الله خيرا عن المسلمين وعن خدمته للكتاب الكريم.

أما الفقه فقد أتى فيه البيوت من أبوابها وتعلم من أهل كل مذهب أصولهم وفروعهم، فمذهب الإمام مالك رحمته الله على شيخ المذهب بالحجاز وأعلم من استجاز أو جاز، الفقيه العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم المبارك رحمه الله، ومذهب الإمام الشافعي رحمته الله من العالم النحرير ذي العلم الغزير شيخ المذهب بالشام الشيخ عبدالسلام النابلسي وذلك مدة إقامته بالإحساء بالمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله على الشيخ الشريف العالم المتبحر والفقيه المتبحر الشيخ أبي بكر الحنبلي

شيخ المذهب بالإحساء، وأما مذهب الإمام الأكبر أبي حنيفة النعمان رحمته الله فعلى الشيخ العالم المهيب والفقيه النابه الأديب الحسيب النسيب مولانا أحمد بن محمد الدهلوى الصغير وذلك مدة إقامته بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام أما فى الحديث الشريف والسنة المطهرة فقد درسه رحمته الله أتم دراسة وأكملها وهو مولع به منذ الصغر وله فى هذا العلم الشريف عدد من الشيوخ الحفاظ المحدثين من أجلهم محدث مصر بل والعالم الإسلامى وحافظها وإمام أهلها فى هذا العلم سيدى الولى المحدث الفقيه محمد الحافظ التجانى رحمته الله، وكذلك أخذ عن إمام الحجاز الجامع لشتات الأسانيد والذى منها كل عال وفريد الشيخ الفادانى، وكذلك المحدث الكبير والعالم الجهبذ النحرير الشيخ العجيل إمام أهل اليمن فى كل علم وفن، وكذلك الشيخ المحدث الطائع لربه الشيخ محمد نجيب المطيعى المصرى رحمه الله، أما الحديث المسلسل بالأولية فقد تلقاه عن جمع من الشيوخ أجلهم سيدى أدریس العراقى بفاس المحروسة من المغرب الأقصى.

وقد جمع الشيخ رحمته الله كل هذا وعمره لا يتجاوز الخامسة والعشرين بالإضافة إلى هذا فقد مرفى طريق القوم بالطرق الموجودة كلها ودرسها طريقة طريقة وفى آخر مطافه أقر له سيدنا رسول الله صلی الله علیه وآله الطريقة التجانية فأنحاش إلى جناب سيدى أحمد التجانى رحمته الله وانتظم فى سلك طريقه وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة

من عمره المديد، وقد تلقى هذه الطريقة المباركة من عدة مشايخ
أعلاهم سيدى أبى الكمال العلامة الشيخ سيدى محمد الحافظ التجانى
رحمته الله وكذلك حفيد سيدنا سيدى الشيخ بن سالم ابن سيدى محمد الكبير
وكذا أبى العلاء الحافظ المحدث العارف بالله سيدى إدريس العراقى .

وقد كان مولده الشريف صبيحة يوم الخميس الخامس والعشرين
من شهر ذى القعدة سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة
النبوية الشريفة الموافق الثانى عشر من يونيو (حزيران) سنة ثمان
وخمسين وتسعمائة وألف . رحمته الله ومد فى عمره آمين .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
إهداء	٥
التقديم	٧
المقدمة	١١
اليواقيت :	
ياقوتة فى الجهاد	٣٥
ياقوتة فى نفس الرحمن جل جلاله	٣٩
ياقوتة فى الورع	٤٤
ياقوتة فى العزلة	٤٦
ياقوتة فى الخلوة	٤٩
ياقوتة فى الخواطر	٥٢
ياقوتة فى العلم اللدنى	٥٦
ياقوتة فى الإشارات	٥٩
ياقوتة فى النار	٦٢
ياقوتة فى الخوافل	٦٩
ياقوتة فى الزهد	٧٠
ياقوتة فى الجود	٧١
ياقوتة فى الكرم	٧٢
ياقوتة فى السخاء	٧٢
ياقوتة فى الإيثار	٧٣
ياقوتة فى الصدقة	٧٣
ياقوتة فى الهدية	٧٣
ياقوتة فى العوض	٧٤
ياقوتة فى العطاء	٧٤
ياقوتة فى الكلام	٧٥
ياقوتة فى القيومية	٧٦
ياقوتة فى النوم	٧٦
ياقوتة فى الخوف	٧٧

الموضوع	الصفحة
ياقوتة فى الرجاء	٧٩
ياقوتة فى الصبر	٨٠
ياقوتة فى المراقبة	٨٢
ياقوتة فى العبودية	٨٤
ياقوتة فى الولى	٨٦
ياقوتة فى الملائكة	٨٩
ياقوتة فى الله	٩١
ياقوتة فى المعرفة بالله تعالى	١٠٣
ياقوتة فى الواحد الأحد	١١٧
ياقوتة فى المقدم المؤخر	١١٨
ياقوتة فى الفقر	١١٩
ياقوتة فى الأول والآخر والظاهر والباطن	١٢٤
ياقوتة فى مقام المحبة	١٣٢
ياقوتة فى مقام الخلّة	١٥٦
ياقوتة فى مقام الشوق والاشتياق	١٥٨
ياقوتة فى العلى	١٥٨
ياقوتة فى الولى	١٥٩
ياقوتة فى الوهاب الرزاق	١٦٠
ياقوتة فى الرحمن الرحيم	١٦٣
ياقوتة فى الحس والمعنى	١٧٢
ياقوتة فى مراتب العلماء	١٨٥
ياقوتة فى القلب	٢٠٢
ياقوتة فى السماع	٢١١
ياقوتة فى الكرامة	٢١٢
ياقوتة فى السلوك	٢١٤
ياقوتة فى حديث عهد بربه	٢١٦
ياقوتة فى المكر	٢١٨
ياقوتة فى التوبة	٢٢١
ياقوتة فى الذكر	٢٢٥
ياقوتة فى الجميل	٢٢٦
ياقوتة فى المعصية	٢٢٧
ياقوتة فى عبس وتولى	٢٢٨
ياقوتة فى المعلومات	٢٣٠

الموضوع	الصفحة
ياقوتة فى الجنة	٢٢٢
ياقوتة فى القضاء والقدر	٢٢٣
ياقوتة فى وهو معكم	٢٢٥
الجواهر :	
جوهرة فى التوسل	٢٥٣
جوهرة فى السبحة	٢٧٧
جوهرة فى أهل الصفة	٢٧٨
جوهرة فى والدى رسول الله ﷺ	٢٨١
جوهرة فى الذكر	٢٩١
جوهرة فى عظيم فضل الله	٢٩٧
جوهرة فى السر	٢٩٩
جوهرة فى العلم	٣٠٠
جوهرة فى أهل البيت	٣٠٢
جوهرة فى أصحابه وإخوانه ﷺ	٣٠٥
جوهرة فى السيد	٣٠٨
جوهرة فى التمثل	٣٠٩
جوهرة فى النفس	٣١٠
جوهرة فى الإقامة	٣١١
جوهرة فى المحدثين	٣١١
جوهرة فى نجد	٣١٢
جوهرة فى الحال	٣١٤
جوهرة فى رؤية رسول الله ﷺ	٣١٥
جوهرة فى النسب	٣١٨
جوهرة فى القرآن	٣١٩
جوهرة فى أصحاب المراتب	٣١٩
جوهرة فى الساعة	٣٢٠
جوهرة فى العمر	٣٢١
جوهرة فى ليلة القدر	٣٢٢
جوهرة فى الكسوة	٣٢٢
جوهرة فى الإمامة	٣٢٣
جوهرة فى التربية	٣٢٣
جوهرة فى المولد	٣٢٤

	الآلئ
٣٣١	لؤلؤة فى لا إله إلا الله
٣٣٦	لؤلؤة فى السماع
٣٣٨	لؤلؤة فى الظلم
٣٣٩	لؤلؤة فى الغيبة
٣٤٠	لؤلؤة فى الصدقة
٣٤١	لؤلؤة فى النظر
٣٤٢	لؤلؤة فى السمع والبصر واللسان
٣٤٣	لؤلؤة فى المنازل العالية
٣٤٤	لؤلؤة فى الخبز
٣٤٤	لؤلؤة فى التجاة
٣٤٥	لؤلؤة فى التواضع
٣٤٧	لؤلؤة فى التعظيم
٣٤٨	لؤلؤة فى التعوذ
٣٤٨	لؤلؤة فى المحبة
٣٤٩	لؤلؤة فى الزهد
٣٥١	لؤلؤة فى اليلاء
٣٥٥	لؤلؤة فى المكر
٣٥٦	لؤلؤة فى النوم
٣٥٧	لؤلؤة فى التحمل
٣٦١	لؤلؤة فى حسن الظن
٣٦٥	لؤلؤة فى المعصية
٣٦٥	لؤلؤة فى مكة
٣٦٦	لؤلؤة فى الرحمة
٣٦٨	لؤلؤة فى المسجد
٣٦٨	لؤلؤة فى الجماع
٣٧٣	الفصوص :
٤٠١	الفيروز
٤٣٥	الزبرجد

To: www.al-mostafa.com